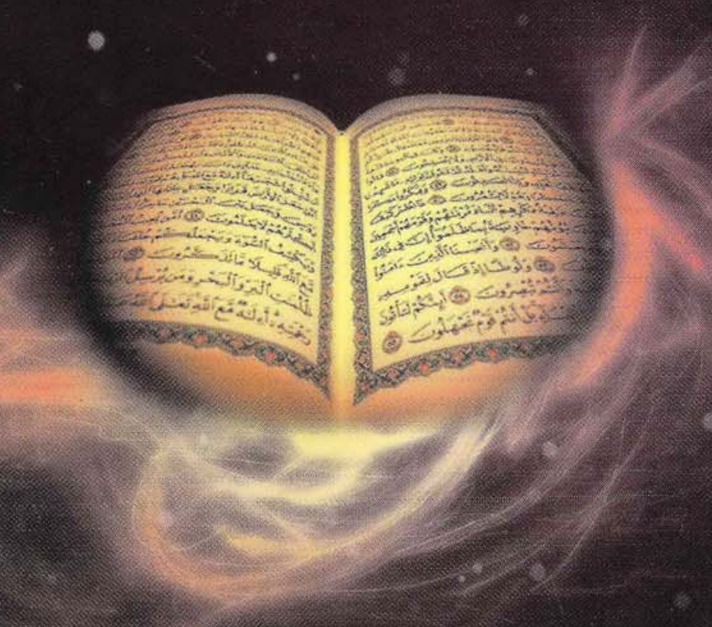
نظرية المعرفة

بين القرآن والفلسفة



تأليف

عبد الزهرة تركي فريح الفتلاوي

نظـــرية المعــــرفة

بين القرآن والفلسفة

- دراسة مقارنة -

تأليف

عبدالزهرة تركي فريح الفتلاوي

النجف ــ المشخاب

١٤٣٠هـ ٢٠١٢م

الكتاب:.......... نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة
المؤلف:........... عبد الزهرة تركي فريح الفتلاوي
الطبعة:................ الأولى ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م
عدد النسخ المطبوعة:................... ١٠٠٠ نسخة
المطبعة: دار الضياء للطباعة - النجف ٠٧٨٠١٠٠٠٦٠٣

التصميم والأخراج الفني
محمد الخزرجي ٠٧٨٠٠١٨٠٤٥٠

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٨٦٥) لسنة ٢٠١٣م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾

سورة الانعام الآية ١٠٤

صدق الله العلي العظيم

الى نبينـــــا الأمجـــــد
المؤيـــــد المســـــدد
حبيـــــب قلوبنا محمـــد ﷺ

أهدي هذا الجهد المتواضع



تقديم

عالم النحو العربي ، صاحب اعراب القرآن ،أستاذ الحوزة العلمية في النجف الاشرف : الشيخ محمد جعفر شيخ ابراهيم الكرباسي قدم لهذا البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين في كل انسان مواهب جمة يمكن بها أن تزدهر إذا ما تعهدها بالاكراث والتنشيط وهي كذلك عرضة للخمول والذبول إذا ما اهملها ولم يتعهدها بالرعاية والانماء ولهذا ترى جميع المجتمعات البشرية في مشارق الارض ومغاربها حافلة بصنوف شتى من ذوي المواهب المزدهرة وايضا حافلة بصنوف شتى من ذوي المواهب الخاملة عن النزوع الى الانماء المستانق <

واني اقرؤك معجبا فيك من بعث وتطوع للفلسفة واهدافها الصالحة وإني اليك مهنئا على هذا المستقبل الفلسفي الذي ينتظرك واني لارجو ان ترفع فكرة هذه الامة بما اتيت من نعمة القرآن والفلسفة فتخلد صفحة مزدهرة بين الفحولة من رجالاته، والحق أقول إني لم أكن أتوقع منه ان يرشحني لاكون

أول من يستفيد من هذا التطواف الذهني على الاطلاق ثم كان منه ماكان لقد جعلني اشعر في قرارة نفسي شيء يمكن ان يبدي رأياً في مؤلف كهذا خصب الشأن في علم الفلسفة ومهما يكن من امر وقد وجدت في هذا المؤلف على الرغم من اجتذائه بالقرآن والفلسفة ماافادني واضعني والقى في روعي انه سيفيد غيري ويمنعه كذلك ان كان ممن يستهديه والله يهدي الى مراشد البيان.

الشيخ محمد جعفر شيخ ابراهيم الكرباسي

٢٢ جمادي الآخرة / ١٤٢٠ هـ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل القرآن بالحق وأفضل الصلاة وأزكاها وأتم السلام وأسماه على نور اليقين وسيد المرسلين وأفضل الخلق أجمعين أبي القاسم سيدنا محمد ﷺ سيد الكونين ونبي الثقلين وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين. وان أفضل العلم بعد العلم بالله عز وجل العلم بكتابه لانه جل جلاله نزل القرآن لنتدبره ليلا ونهارا و نقرأه سرا وجهارا ونجعله شرعة ومنهاجا ويكون لنا سراجا وهاجا فنحل حلاله ونحرم حرامه ، وكانت الفلسفة منذ فجر التاريخ تمثل أرقى تجليات العقل البشري واكثرها عمقا إذ جسدت الطريق الآخر الموازي لكتب السماء التي تلتقي معها مرة وتفترق مرات وفي هذا البحث اخترنا ركنا مهما من صراع القرآن بعده لب كتب السماء مع الفلسفة ممثلة للتفكير الانساني الحر الذي لايلتزم إلا بضوابط العقل البشري وحسب ، ان هذا الركن يتعلق بأسس التفكير واتخاذ القرار في الذهن البشري وهو ما يسمى بنظرية المعرفة.

لقد إحتلت المعرفة موقع الصدارة في الكتب السماوية وفي الابحاث العقلية والفلسفية معا" وهي العمود الذي بنيت عليه الحضارة على هذا الكوكب الجميل فعلى صعيد الكتب السماوية وفي مقدمتها القرآن الكريم نجد ان أول كلمة نزلت منه هي(إقرأ) وعلى صعيد الفكر الانساني نجد إن الاهتمام بالمعرفة من أكثر القضايا حيوية منذ بدايات التفكير الفلسفي المنظم عند

فلاسفة اليونان، فقد كتبت نظريات كثيرة بخصوص المعرفة من حيث مصادرها وآلياتها وحدودها ودارت مناقشات حادة بين الفلاسفة وحصل اضطراب شديد ومتناقضات حفلت بها الفلسفة الغربية وصارت طابعها المميز وتعرض العقل البشري الى محنة واهتزت قيم الميتافيزيقا وقد أولد هذا الجدل ما عرف اليوم بنظرية المعرفة (التي أسست وطرحت في أوربا بصورة علم مستقل في العصر الحديث ١٦٠٠- ١٩٠٠ م وكان أول من كتب فيها بمنهجية مستقلة الفيلسوف الانجليزي جون لوك عندما نشر سنة ١٦٩٠م كتابه : مقالة في التفكير الانساني ، فعد أول بحث علمي في أصل المعرفة وماهيتها وحدودها ودرجة اليقين بها)[١] إن نظرية المعرفة تحتل مكانة مرموقة في التفكير البشري فهي أساس كل معرفة يتبناها الانسان سواءاً كان معتقده الهيا أم ماديا ، فيلسوفا أم عالما طبيعيا فهي الحجر الاساس لكل رأي ونظر يتبناه الانسان، إن الباحثين في الفلسفة منقسمون على طائفتين الهية ترى نطاق الوجود أوسع من المادة وان العقل والحس أدوات المعرفة ويقرون بوجود ما وراء المادة من قوى خفية، وطائفة اخرى مادية تنظر الى عالم الوجود بمنظار انه مادة وطاقة وإن الحس هو أداة المعرفة فلا شيء وراء المادة ولاتوجد قوى خفية وسنتابع هذا الجدل بين ثنيات هذا البحث .ان القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وان لم يطرحا هذه النظرية بصورة مستقلة فان تمعن الباحث في مضامين هذا الكتاب الكريم واقوال الرسول الاكرم محمد – ص- يوقفه على آيات وأحاديث كثيرة تشير الى تصور رائد لبناء نظرية المعرفة على وفق صياغات جديدة.

---

١ الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب، محمد عبدالرحمن بيصار بيصار، بيروت دار الكتاب اللبناني ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م ص ٣٨

ان معرفة أعماق النفس مورد نبه له القرآن الكريم فحث على تأسيس نظرية المعرفة كما في قوله تعالى (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)١ وهناك آيات كثيرة تؤلف في مجموعها قوانين متكاملة في هذا المضمار: ورد في السيرة النبوية المطهرة عن النبي محمد – ص- ألآتي (دخل على رسول الله رجل أسمه مجاشع فقال : يارسول الله كيف الطريق الى معرفة الحق ؟ فقال-ص- معرفة النفس)٢ فيما ورد عن الامام علي بن ابي طالب (ع) قوله(من عرف نفسه فقد انتهى الى غاية كل معرفة وعلم) ٣ وقوله (الجاهل بمعرفة نفسه جاهل بكل شيء)٤ و(من شغل نفسه بغير نفسه تحير في الظلمات وارتبك في الهلكات)٥

أما المعرفة عند الفلاسفة والفقهاء المسلمين كعلم مستقل فقد بقي هذا اللون من العلم راكدا زمنا طويلا وركز العرب والمسلمين جل اهتمامهم على علم الكلام وفي طرق ابطال انحراف الآخرين مثل إبطال قول السوفسطائية وتعريف العلم وأقسامه واحكامه وأنواع النفس. وتعد نظرية المعرفة متأخرة في مقام الاثبات عن كثير من المسائل العقلية في الوقت الذي كان ينبغي ان تكون لها مرتبة متقدمة على كثير من الابحاث وفي العقود الثلاثة الاخيرة عكف بعض المفكرين المسلمين على التأليف في هذا المضمار ولكل منهم وجهة

---

١ سورة الذاريات الآية ٢١

٢ التفسير المعين، محمد هويدي، دار المجتبى ايران، قم ٢٠٠٦ م، ١٤٢٧هـ، ص ٥٧٧

٣ غرر الحكم ودرر الكلم، عبدالواحد بن محمد الآمدي، مطبعة طهران ١٣٨٠هـ،١٩٦٠م، ج ١ ص ٢٠٠

٤ المصدر نفسه

٥ نهج البلاغة، الشريف الرضي، شرح محمد عبده، مطبعة النهضة، بغداد ١٣٩٨هـ، ١٩٧٧م، خطبة ١٥٧

وطريق وقد لف الغموض وغياب المنهجية بحوث بعضهم فيما توسع آخرون باسهاب أضاع معالم الصورة ولكنهم جميعا كانوا لنا نبراسا فهم الاساتذة ونحن الطلبة وفي هذه الدراسة سنعرض أهم نظريات المعرفة عند الفلاسفة غير المسلمين١ بايجاز مع تقديم نقد في المفاهيم الاساسية تاركين التفاصيل الى الكتب والمصنفات الاصيلة لان الاغراق في الشرح والنقد سيخرج البحث عن الهدف والاتجاه المعد له وهو المقارنة بين نظرية القرآن الكريم ونظريات الفلاسفة ومن ثم سنحاول عرض نظرية المعرفة في القرآن الكريم بإسلوب جديد قبل ان نذكر نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف ونتائج الدراسة . اننا سعينا قدر المستطاع الى صياغة المعاني بعبارات تقربها الى الافهام وتسهل ادراكها لان المطلوب اولا وآخرا هو النفع والبيان لا الالغاز والابهام وأشرت الى مصادر البحث وبينت أعلامه ومذاهبه وعلقت عليه بما يسعه ظرف الدراسة حتى خرجت على ما هي عليه الآن فأسأل الله سبحانه ان يتقبل هذا المجهود بقبولٍ حسنٍ ويعم به النفع في محافل العلم والمعرفة ليبقى نورا يشع الضياء على دروب المهتدين بنبيه وآله وصحبه الطاهرين الطيبين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين .

ومن الضروري أن نستدرك بالاشارة الى عدم وجود أثر يذكر للصراعات المذهبية في الفكر الجاد فلا شيعة ولا سنة في الفلسفة ولا في العلم وقبل أن اختتم هذا التقديم لايفوتني أن أتقدم بالشكر والامتنان الى الاستاذ الدكتور محمد حسن محيي الدين والاستاذ الدكتور داود سلمان لمساهمتهما في

---

١ لان هذه النظريات تتقاطع وتختلف عن نظرية القرآن الكريم في أساسياتها فيما تعد نظريات الفلاسفة المسلمين في المعرفة كأنها امتداد طبيعي لنظرية القرآن . وتوجد عشرات النظريات الغربية والشرقية في مجال المعرفة ولكننا اخترنا ابرزها

تقويم المادة العلمية والى عالم النحو العربي الشيخ محمد جعفر شيخ ابراهيم الكرباسي والاستاذ كريم جبار جساب الفتلاوي لمساهمتهما في التدقيق اللغوي وبقية الاساتذة النجباء ممن أسهم في تقويم البحث،

الدراسة مقسمة على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ،كان الفصل الاول في نظرية المعرفة في الفلسفة حيث طرحنا تعريفا جديدا للفلسفة يناسب مقامها واهتماماتها وكذلك طرحنا تعريفا جديدا سهلا واضحا لنظرية المعرفة ومن ثم تطرقنا الى أهم نظريات الفلسفة بايجاز مع عرض لاهم الثغرات التي اكتشفت فيها وطرحت في محتويات الدراسة مسميات جديدة لهذه النظريات تعبر عن محتواها بشكل مناسب لاول مرة ومن هذه المسميات على سبيل المثال لاالحصر نظرية الافكار الفطرية ونظرية الغرائز الضامرة ونظرية الاتحاد مع الله ونظرية انعكاس العالم الموضوعي ونظرية الاثارة والاستجابة ونظرية السيل الشعوري ونظرية القوة الكامنة وكان الفصل الثاني في نظرية المعرفة في القرآن الكريم باسلوب موجز كذلك طرحنا عناوين جديدة لنظرية القرآن في المعرفة مثل: الألهام ، الفطرة ، الوحي، الهداية ، التعليم ، الرؤيا المنامية ، القلب ، الغريزة الجنسية ، الشياطين ، التفكر والنظر والتجربة ، الروح أو النفس ، الميزان ، الذاكرة ، الكتب السماوية والانبياء ، المعرفة الشهودية الخارقة ،

الاساتذة الكرام ان المفردات المذكورة آنفا متداولة بكثرة في حياتنا اليومية ولكنها في هذه الدراسة طرحت بمنهجية جديدة بعيدة عن الاسهاب قريبة من الايجاز هي للوضوح واليسر والتنظيم والمنهجية اقرب، وفي الفصل الثالث قارنت بين ركني الدراسة مبينا نقاط الاتفاق بين القرآن والفلسفة ونقاط الاختلاف ثم وضعت نتائج البحث كما سجلت عرضا منهجيا لمصادر البحث

وخلاصة البحث باللغة الانجليزية ، قاصدا من عملي هذا خدمة الدين الاسلامي الحنيف ورسالته العظيمة الخالدة متمنيا ان تتلقاه نفوسكم وقلوبكم وعقولكم بقبول حسن واعاهدكم اني ساستقبل ملاحظاتكم لتطوير البحث بروح التواضع العلمي لان غايتنا الحقيقة لانفسنا وكما قال الحكماء (نحن اتباع الدليل حيثما مال نميل) ارجو من الله العلي القدير أن يمن على أمة الاسلام باليسر والخير والامان والمحبة إنه نعم المولى ونعم المجيب .

والحمد لله رب العالمين

الفصل الول

نظرية المعرفة في الفلسفة

نظرية المعرفة في الفلسفة

١ – الفلسفة لغة واصطلاحا

(الفلسفة: كلمة يونانية مكونة من مقطعين: فيلا بمعنى المحب، وسوفا: العلم والحكمة. ومنها اشتقت كلمة الفلسفة ، فالفيلسوف هو محب العلم والحكمة)[١] (وللفلسفة مفاهيم تختلف باختلاف المذاهب والنظم والمراحل التاريخية ومن المفيد أن نعرض بعض التعريفات للفلسفة قبل ان نسجل ماهية العلاقة بين الفلسفة ونظرية المعرفة .

أ - الفلسفة هي علم الكل.

ب - الفلسفة هي علم اصعب الاشياء .

ج - الفلسفة هي علم المباديء والعلل الاولى .

د - الفلسفة هي معرفة الامور الالهية والبشرية .

ه - الفلسفة هي فن الفنون وعلم العلوم .

و – الفلسفة هي حكمة الحياة في ضوء مايقضي به العقل

ز – الفلسفة مجموعة من الافكار المترابطة في صورة مذاهب فكرية تبحث عن الحقيقة الكونية وظواهرها الطبيعية والبشرية

ح – الفلسفة : الكشف عن الحقيقة، والحقيقة معناها مطابقة الفكر للواقع)[٢] وفي حياتنا اليومية عندما يتحدث الفرد بشكل عميق وبطيء يقال انه

---

١ نظرية المعرفة في القرآن الكريم، جوادي آملي، دار الاسراء للتحقيق والنشر، ١٤٢٨ هـ، ص ٤

٢ فلسفة التربية، د حسين رحيم التكريتي، د- ماهر فاضل القيسي د ماهر اسماعيل الجعفري، دار الكتب للطباعة والنشر بغداد ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م ص ١٣

يتفلسف ومن خلال التعريفات السابقة يمكننا ان نستنبط تعريفا جامعا للفلسفة فنقول : هي البحث في جذور الافكار واعطاء صورة منظمة مترابطة لهذه الجذور

ومن أهم موضوعات الفلسفة :

(١) علم الكونيات :ومعناه التفكير في الكون كيف نشأ ؟ وكيف تطور ؟ ويسمى هذا العلم أيضا: نظرية الوجود ، أي هل هو مادي فقط ؟ أم روحي فقط؟

(٢) نظرية القيم : أي التمييز بين القيم النسبية المتغيرة (الاعراف الاجتماعية والعادات والتقاليد) والقيم المطلقة الثابتة (الحق والخير والجمال وغيرها)

(٣) نظرية المعرفة[1]

وهي الموضوع الاساس في اركان هذه الدراسة.

٢ ـ نظرية المعرفة: أي (مبحث المعرفة)

المعرفة : مفردة استعملت منذ القدم فقد عرفها طيطاطوس أحد فلاسفة اليونان القدماء فقال (المعرفة هي الظن الصادق المصحوب بالدليل)[2] وهذا التعريف يقودنا الى القول ان معرفة الشيء تقوم في تحليله الى العناصر التي يتالف منها ، وقد اهتم فلاسفة المسلمين القدماء بدراسة المعرفة والقاء الضوء الساطع عليها ولكن اهتمامهم بنظرية المعرفة جاء في طيات البحث اللغوي والمنطقي وهو ما يختلف تماما عما عليه مصطلح نظرية المعرفة لدى حكماء أو

---

١ المصدر نفسه ص ١٨

٢ تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، مؤسسة عز الدين بيروت ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م ص ٢٠١

فلاسفة الديار الاوربية في القرون المتأخرة ٠ فقد اثار المتكلمون في الديار الاسلامية جدلا طويلا بخصوص تعريف العلم والمعرفة قبل ان تتقارب المفاهيم والمصطلحات لتتصادم فيما بينها من جديد ومن هذه التعريفات نقتبس الآتي :

الشيخ أبو الحسن الباهلي الأشعري
(ت ٣٢٤ هـ ، ٩٣٥م) [١] قال:العلم (هو ادراك المعلوم على ما هو عليه)[٢]

أبو المعالي الجويني [٣] (ت ٤٧٨ هـ ، ١٠٨٥م) قال : (إن تعريف العلم ليس ضروريا بل هو نظري ولكن يعسر تحديده) [٤]

إبن فورك الاشعري (ت ٤٠٦ هـ ، ١٠١٥م) [٥] قال : العلم (ما يصح ممن قام به اتقان الفعل٠ أي إحكامه وتخليته عن وجوه الخلل) [٦]

الامام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ ، ١١١١م) قال (يعسر تحديد العلم بعبارة محررة جامعة للجنس والفصل الذاتيين فان ذلك متعسر في أكثر الاشياء) [٧]

---

١ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري : المتوفي سنة ٣٢٤هـ، ٩٣٥م، هو علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، المتكلم صاحب الكتب والتصانيف في الرد على الملحدة والمعتزلة وله خط خاص في الفقه ٠ انظر : وفيات الأعيان - (ج ٣ / ص ٢٨٤)

٢ شرح المواقف، الشيخ نصير الدين الطوسي، مطبعة عامرة عثمان حلمي – تركيا ١٣٧٧ هـ، ١٩٥٧م ج ١ ص ٦٩

٣ والملقب امام الحرمين وهو من المفسرين المعروفين في القرن الخامس الهجري

٤ المصدر السابق

٥ هو أبو بكر بن محمد بن الحسن بن فورك ٠ شيخ أهل خراسان في النظر والكلام والأصول ألف قريبا من مائة مصنف توفي سنة ٤٠٦هـ، ١٠١٥م ٠ انظر الوافي بالوفيات ج ١ ص ٢٨٩

٦ المصدر السابق

٧ الغزالي (١٠٥٨- ١١١١ م) (٤٥٠ – ٥٠٥ هـ) ابو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي الفقيه الصوفي – عالم نفسي وتربوي- فقيه ومتكلم- حجة الاسلام والمسلمين – المفكر الاسلامي المبتكر-

الامام الفخر الرازي(ت ٦٠٦ هـ ، ١٢٠٩م) [١] قال : (ان العلم أمر ضروري وهو مستغنٍ عن التعريف) [٢]

ونقل عن المعتزلة تعريفهم للعلم (اعتقاد الشيء على ما هو عليه ، وزاد أبو هاشم الجبائي : مع سكون النفس اليه) [٣]

القاضي ابو بكر الباقلاني (ت ٦٣٥ هـ ، ١٢٣٧م) [٤] عرف العلم (معرفة المعلوم على ما هو عليه)[٥]

والمشهور عند جمع كبير من الفقهاء ان المعرفة (حضور المعلوم عند العالم) [٦]

ونستنتج من ذلك ان (المعرفة على لسان الحكماء المسلمين هي العلم فكل علم معرفة وكل معرفة علم وكل عالم عارف بالله تعالى وكل عارف عالم) [٧]

ومن تعارف العلم عند قدماء الحكماء هو (حصول صورة الشيء لدى العقل أو انطباع صورته في الذهن)[١] ويؤخذ على هذا التعريف عدم شموله

اشهر كتبه- احياء العلوم- تهافت الفلاسفة- احياء علوم الدين- آداب الصحبة_ آداب المتعلمين- الادب في الدين) انظر: الوافي بالوفيات ج ١ ص ١٢٠

١ الرازي : فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني الاصولي المفسر -كبير الاذكياء والحكماء والمصنفين ، انظر : طبقات النسابين، بكر أبو زيد ج ١ ص ٢٢

٢ شرح المواقف، نصير الدين الطوسي، مصدر سابق ج ١ ص ٦٧

٣ اصول الدين، أبو منصور طاهر التميمي البغدادي، مكتبة الدولة استنبول ١٣٤٦هـ، ١٩٢٥م ص ٥

٤ القاضي محمد بن الطيب الباقلاني احد علما الاشاعرة الكبار وهوصاحب كتاب اعجاز القرآن وغيره من المصنفات.

٥ نظرية المعرفة، المدخل الى العلم والفلسفة والالهيات، جعفر السبحاني، تحقيق حسن محمد مكي العاملي، مؤسسة الامام الصادق قم ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣م ص ١٩

٦ المصدر نفسه ص ٣٤

٧ الرسالة القشيرية، أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري، دار أسامة بيروت ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م ص ٢٤١

العلم الحضوري وقيل : المعرفة (العلم بعد الجهالة) [٢] وهذا التعريف مبهم عام صدر المتألهين الشيرازي[٣] (ت ١٠٥٠هـ ، ١٦٤٠م) قال : العلم (حضور مجرد عند مجرد)[٤] وهذا التعريف مُفرط في المثالية فهو لايشمل العلم بالماديات.

اما صاحب التفسير الموضوعي لبيان القرآن فقال (المعرفة عبارة عن تبديل الواقعيات الخارجية الى حقائق ذهنية وانعكاسها كما هي في مرآة الفكر) [٥] إن

---

١ نظرية المعرفة : جعفر السبحاني، مصدر سابق ص ٢٠

٢ المصدر نفسه

٣ ورد في مقالة السيد محمد حسين الطبطبائي بمناسبة مرور اربعمائة سنة على ولادة صدر المتألهين الآتي : احدث تطورا في الفلسفة الاسلامية بعد القرن العاشر الاسلامي فادهش العقول وحير اصحاب الفكر بعد ان بزغ نجمه ونبغ علمه . هو اسوة الحكماء والمتكلمين محمد بن ابراهيم الشيرازي المعروف بصدر الدين أو صدر المتألهين . فقد اسس اساسا فريدا راسخا وبنى قواعد لم يسبقه اليها أحد -. وهو مبدع طريق للبحث والتحليل ذاع صيته بين الفقهاء والفلاسفة ومعاشر المثقفين . توفي في البصرة ودفن فيها وقبره غير معروف . ولكن يؤاخذ عليه فكرة : ان الجسد المعاد في يوم القيامة هو ليس الجسد العنصري المادي بل المراد صورة البدن بلا مادة . أي البدن القائم بالنفس وهذا النوع من المعاد مختص للمتوسطين من الناس وأما الكاملون من الناس فقيامتهم بالروح فقط . انظر: الاسفار الاربعة، صدر المتألهين الشيرازي، دار المعارف الاسلامية، ايران طهران، ١٣٨٩هـ، ١٩٧٩م

ص ٢١ – ٣٩ في حين ان مجموع الآيات والروايات يقول بوضوح ان نشأة يوم القيامة هي عبارة عن حشر الناس بأبدانهم العنصرية المادية الدنيوية نفسها بالاضافة الى أرواحهم . كما في قوله تعالى (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه. قال من يحي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي انشأها أول مرة) يس ٧٨ – ٨٠ وقوله تعالى (أيحسب الانسان الن نجمع عظامه) القيامة٣ وقوله تعالى (وان الله يبعث من في القبور) الحج ٧ وغيرها الكثير.

٤ المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، محمد تقي مصباح اليزدي، مؤسسة النشر الاسلامي ايران قم ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٦م، ج ١ ص ١٣٧

٥ التفسير الموضوعي لبيان القرآن، سميح عاطف الدين، دار الكتاب اللبناني١٤١٢هـ، ١٩٩١م، ج ١ ص ١٠١

هذا التعريف فيه مغالاة في قيمة الظواهر المادية وهو بعبارة الفقهاء لايتضمن العلم الحضوري والعلم الحصولي ثم ان مرآة الفكر مفهوم عام غير محدد ٠ ان تعريف العلم بكونه صورة حاصلة من الخارج لدى النفس(علم حصولي) تعريف ناقص لايعم الاجزاء جميعها لان هناك علوما لا تقف النفس عليها بالاتصال بالخارج وانما تقف عليها من صميم ذاتها في ظل عمليات ذهنية خاصة ٠ ان المعرفة كما نرى هي اكتشاف شيء جديد في حين ان العلم هو تثبيت وتسجيل ذلك الاكتشاف في اعماق الذات وعده من المسلمات ٠

إن نظرية المعرفة كمصطلح حديث ظهر الى الوجود في العصور المتأخرة وله تعاريف عدة فقد عرفتها الموسوعة الفلسفية المختصرة بأنها (مجموعة متنوعة من المشكلات الفلسفية ليس بينها رباط وثيق تتعلق بأفكار من قبيل المعرفة ، الادراك ، التيقن ، التخمين ، الوقوع في الخطأ ، التذكر ، التبين ، الاثبات ، الاستدلال ، التأكيد ، التعزير ، التساؤل ، التأمل ، التخيل ، رؤية الاحلام ، وهلم جرا)[1] ولا يخفى ما في هذا التعريف من عمومية وإبهام ٠أما الدكتور عبدالرحمن بدوي في موسوعته الفلسفية فقد بين نظرية المعرفة بأنها (دراسة المدى الذي يستطيع عقلنا من خلاله الوصول الى ادراك حقيقة الكون والطبيعة والانسان ؟ وماهي ادوات المعرفة الصحيحة ؟ وما قيمة هذه الادوات وادوارها في تحصيل المعرفة البشرية)[2] ان تعريف الدكتور بدوي هو تعريف بأهم مشكلات المعرفة وبعبارة اخرى هو طرح لمجموعة من الاستفهامات وليس جوابا عن فحوى السؤال!

---

١ الموسوعة الفلسفية المختصرة، فؤاد كامل، جلال العشري، عبدالرشيد الصادق، إشراف د- زكي نجيب محمود، المكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٥م، ص ٣٦٥

٢ الموسوعة الفلسفية، د- عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط١، ١٩٨٤م، ج ١ ص ٣٧٠

الشيخ مصباح اليزدي: قال(العلم هو حضور ذات الشيء أو صورته الجزئية أو مفهومه الكلي لدى موجود مجرد) [١] وهذا التعريف شامل للعلمين الحصولي والحضوري٠

ولاقسام المعقولات والمفاهيم ٠ والمعرفة كما نرى هي مجموعة عمليات عقلية وحسية مترابطة توصل الى ادراك الحقائق، وفي مفاهيم الفلسفة (يتناول البحث في نظرية المعرفة ثلاث مسائل أساسية هي:

١ – البحث في امكان المعرفة وحدودها٠ هل المعرفة ممكنة؟ وهل يستطيع الانسان أن يدرك جميع المواصفات ؟ وهل يتمكن من الوصول الى جميع الحقائق؟ وهل يطمئن الى مايصل اليه ؟ والى أي حد تبلغ قدرة الانسان على المعرفة ؟ وهل هي معرفة محدودة أو مطلقة ؟

٢ – البحث في مصادر المعرفة ومنابعها وما هي الطرق التي تؤدي الى المعرفة ؟ وهل العقل هو الوسيلة الصحيحة لمعرفة الاشياء أو أن الحواس هي المصدر الاساس للمعرفة ؟ وهل تقتصر منابع المعرفة على العقل والحواس فقط أو توجد مصادر اخر للمعرفة ؟

٣- البحث في صيغة المعرفة هل المعرفة ذات طبيعة عقلية مثالية أو إنها ذات طبيعة تجريبية واقعية) [٢]

وبعد هذا التقديم وفي ضوء تعريفنا الجديد للفلسفة نقول :

إن نظرية المعرفة في منظور هذه الدراسة هي الجواب على السؤال الآتي : ماهي جذور التفكير الانساني لادراك الحقائق ؟ وبعبارة اوضح : كيف تدرك النفس حقائق الاشياء ؟

---

١ المصدر السابق ج ١ ص ١٣٧

٢ فلسفة التربية، حسين رحيم التكريتي، مصدر سابق ص ١٨

٣ ـ السوفسطائية والمعرفة[1]

إن السوفسطائية (أو منهج الانكار) لاتقر بوجود معرفة ذات قيمة فلسفية وتتلخص مفاهيمها بالآتي[2] (إن الانسان هو مقياس الاشياء كلها . مقياس لما يوجد ومقياس للاشياء التي لاتوجد. فالاشياء تبدو لي بالصورة التي أراها وتبدو لك بالصورة التي تراها. وكل ما يقال بانه موجود انما هو موجود لان الانسان يظنه موجودا . والا فهو زائف ومن ثم هناك ثلاث قضايا أساسية في التفكير البشري وهي :

١) لايوجد شيء

٢) إذا وجد شيء فلا يمكن معرفته.

٣) إذا امكنت معرفته فلا يمكن نقل معرفته الى الآخرين

فلا يوجد قانون اخلاقي فكل ما يبدو لكل انسان انه صواب فانما هو صواب بالنسبة له ليس غير . كذلك مفاهيم الصدق والوفاء والخير والشر

---

١ يقول المحقق الطوسي في كتاب نقد المحصول ص ٤٦ كلمة سوفسطا : يونانية، كلمة سوفا في اللغة اليونانية معناها العلم والحكمة . كلمة إسطا أي المغالطة - فالسوفسطائية : علم المغالطة / ويقول الاستاذ يوسف كرم في كتابه : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٤٥ - السفسطة نسبة الى سوفيسطوس : ويدل الاصل على العلم في أي فرع كان من العلوم والصناعات وبنوع خاص على علم البيان :

٢ ويعتبر اليوناني بروتاجوراس ٤٨٠ – ٤١٠ ق م هو رائدها وهو الذي الف كتابا عن الآلهة قال فيه : أما بالنسبة للآلهة فانني عاجز عن القول ما اذا كانت موجودة أم لا . وقد احرق الكتاب علنا وهرب بروتاجوراس الى صقلية لكنه غرق في البحر وجاء بعده جورجياس فالف كتابا بعنوان – حول الطبيعة او اللاوجود - وهو الذي قال في القضايا الثلاث المركزية في السفسطة التي سيرد ذكرها) انظر : انظر تاريخ الفلسفة اليونانية وولتر ستيس

فهي مشاعر فردية لايمكن تعميمها، وان القانون الاخلاقي هو من صنع السياسيين المحترفين لتخويف العوام من الناس والسيطرة عليهم)[١]

السفسطة في مختبر التحليل العقلي

اذا كانت الحقائق من وضع عقولنا فهذا يعني أن حقائق العالم الموضوعي لاوجود لها وعلى تعبير الحكيم سقراط فلا شمس ولا قمر ولا ارض ولا انسان فمن الذي يتكلم ويعمر الارض ويصنع الحياة ؟ ولو سلمنا بمبدأ (إذا وجد شيء لايمكن معرفته) (لقضينا على كل حقيقة، فلا علم ولا معرفة لان العلم والمعرفة يقومان على المباديء الثابتة)[٢] كما قال افلاطون،أما القول بعدم وجود قيم اخلاقية ثابتة فان قيم الخير لاتتعلق بالصيرورة والتغيير ، فالخير شيء خالد ازلي منذ آلاف السنين وعند جميع البشر يعد الخير حسنا والشر قبيحا ، إن قيم الجمال والخير موحدة مصنفة بين جميع افراد الجنس البشري انها ماهيات ثابتة، لايمكن انكارها، وبعد هذا ماذا تقول السفسطة في هذا الكم الهائل من المتناقضات في دنيا الحياة بل وفي عقل الانسان نفسه (الجمال والقبح) (الخطأ والصواب) (الفجور والتقوى) (الحب والبغض) (اليأس والامل) وبتعبير الفيلسوف اليوناني ارسطو (ان المعلومات الحسية والمعلومات العقلية الاولية هي حقائق ذات قيمة قاطعة)[٣] إن السفسطة انكار للقيم الاخلاقية والقوانين العلمية وهي سقوط في العبثية ، وهي على ما فيها من تصورات انفعالية تعد نقطة انطلاق لابد منها في عالم التفكير المنظم ولكنها بداية جوفاء لم تصمد في حلبة الجولة الاولى في صراع البقاء ،

---

١ تاريخ الفلسفة اليونانية وولتر ستيس، بيروت- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ٢٠٠٥ ص ٩٧-١١٢ وهذا التصور للسوفسطائية تم من خلال التصرف في شكل النصوص من دون المساس بجوهرها

٢ الموسوعة الفلسفية، عبدالرحمن بدوي، مصدر سابق ج ١ ص ١٥٩

٣ فلسفتنا، محمد باقر الصدر، مطبعة أوفسيت الميناء - بغداد ١٣٩٨هـ، ١٩٧٧م، ص ١٠٥

والخلاصة: أن المفاهيم السوفسطائية التي لاتعترف بوجود معرفة ذات قيمة فلسفية ثبت بطلانها وفندت اقوالها من خلال الادلة والبراهين

٤ـ نظرية الاستذكار الافلاطونية

مؤسسها افلاطون أشهر فلاسفة اليونان الأقدمين ٤٢٨ – ٣٤٨ ق م وهو من أوائل الذين أبدوا إهتماما جديا حول كيفية الادراك والعلاقات بين المحسوس والمعقول مما يدخل في نطاق مباحث نظرية المعرفة،تقول نظرية افلاطون (ان الروح قبل حلولها في البدن كانت في عالم المعقولات والمجردات أي المثل وقد ادركت هناك الحقائق كلها ونسيتها بمجرد دخولها في عالم الكون والفساد إلا انها لم تنمح عنها بالكامل فالانسان كالظل أو الشبح لما هو في عالم المثل يتذكره بمجرد الالتفات إليه، فكسب العلم والمعرفة تذكر في الحقيقة وفي عبارة اوضح ان الادراك هو عملية استذكار واستحضار للمعلومات السابقة فالنفس الانسانية موجودة بصورة مستقلة عن البدن قبل خلقه في المثل النورانية المجردة فتعرفت على المثل تعرفا كاملا، لقد كانت النفس متحررة عن المادة مما اتاح لها الاتصال بالحقائق المجردة عن المادة وقوانينها وحينما هبطت من ذلك المقام الشامخ وتعلقت بالبدن المادي نسيت بسبب هول الصدمة كل ما كانت تعلمته من المثل والحقائق وعندما يعي الانسان في مرحلة الطفولة يبدأ يستذكر ماكانت تعلمته نفسه ويتصل تدريجيا بذلك العالم الشامخ عالم المثل وان الاحساس يقوم بدور المحفز لعملية

الاستذكار فمتى احست بمعنى خاص انتقلت فورا الى الحقيقة المثالية التي كانت تدركها قبل اتصالها بالبدن وغفلت عنها) [١]

ان نظرية الاستذكار الافلاطونية وضعت امامها علامات استفهام كبيرة بدت عاجزة عن الاجابة عنها وسنعرض لأهم ما اثير حولها من اسئلة :

١) ان نظرية الاستذكار تعني ان الروح المجردة تناسخت من عوالم سابقة وتكررت في اجساد عديدة مما يجعل النفس تكتسب خبرات كل الاجساد التي دخلت فيها سابقا، وهذا غير حاصل لان الانسان وان كان في أواخر العمر فانه لايتذكر غير تجارب حياته الحالية وحسب [٢]

٢) ان الاستذكار من المثل العليا يعني انقطاع علاقات الصفات الوراثية بين الآباء والابناء وبين الاشقاء فيما بينهم وان موضوع التشابه الوراثي في الطبائع امر لايمكن انكاره بل ان التوارث في الصفات يمكن ان يمتد لمئات من الاقارب ولعشرات من السنين •

٣) ان نظرية الاستذكار فيها اعتراف ضمني بعودة الارواح الى الاجساد ومن ثم وجود الثواب والعقاب فلو افترضنا ان النفس عند جسد عمرو ارتكبت اعمال شريرة قبيحة وبعد ان انتقلت الى جسد زيد ارتكبت اعمال خيرة محمودة وهكذا لعشرات من الاجساد التي انتقلت اليها النفس فعلى أي مرحلة من المراحل يكون حساب النفس ؟

---

١ مؤلفات افلاطون الكاملة، فريد وجدي، دائرة معارف القرن الرابع عشر، دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٤٧م ج ٥ ص ١٩٧

٢ تناسخ الارواح عقيدة فارسية هندية قديمة تقول ان الروح أزلية لاتفنى بخراب البدن وهي تنتقل من جسد الى آخر • وهذه الفكرة ليس لها شاهد عقلي او نصي) انظر : الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مصدر سابق ج ١ ص ١١١

٤) يقول ارسطو(إن نظرية المثل أضعفت الثقة بالمحسوس واعتمدت بالكلية على عالم المثل، ومن الواضح ان للوجود الحسي أهمية لايمكن تجاوزها في المعرفة وتحديد حقائق الاشياء ، زيادة على ان افلاطون لم يبين كيفية ارتباط عالم الحس بعالم المثل)[1]

والخلاصة ان نظرية المثل فشلت في قاعة الامتحان،

٥ ـ النظرية الحسية في المعرفة:

ومن أبرز روادها الفيلسوف الانجليزي جون لوك (١٦٣٢ – ١٧٠٤ م) وهي من النظريات القديمة[2] وقد عرضها لوك بشكل جديد فقال(ان العقل في بداية حياة كل انسان عبارة عن صحيفة بيضاء والطفل يبدأ باكتساب المعرفة منذ ان يولد من خلال التجربة فهي السبيل الاوحد والاعظم الى المعرفة ونقصد بالتجربة سلسلة محاولات اللاحق منها يصلح السابق واي تجربة جديدة قد تغير فكرة سابقة حصلنا عليها من تجربة سابقة وان افكارنا هي نتاج احساساتنا وعملياتنا العقلية ولما كان العقل نفسه يتكون عن طريق الحس فان

---

١ نظرية المعرفة والادراكات الاعتبارية عند العلامة الطابطبائي، علي امين جابر آل صفا دار الهادي، بيروت ١٤١١هـ، ١٩٩٠م، ص ٦٥

٢ المشهور ان مؤسس هذا المذهب هو جون لوك ولكن الحقيقة انها نظرية قديمة لها جذور تاريخية تمتد الى الفلسفة اليونانية القديمة وكان الفيلسوف أبيقور ٣٤٢ – ٢٧٠ ق م من أوائل المعتقدين بها ، كما ان الفيلسوف فرانسيس بيكون سبق لوك في القول بهذه النظرية وان كان له اسلوب خاص في نظريته ،ويمكن ان نضع جملة كبيرة من الفلاسفة تحت راية هذه النظرية منهم ، الفرنسي بيران ١٧٦٦ - ١٨٢٤ م والفرنسي تين ١٨٢٨ – ١٨٩٣ م والامريكي ديوي ١٨٥٩ – ١٩٥٢ م والفرنسي ياشلار ١٨٨٤- ١٩١٣ والايطالي نافنتورا ١٢١٧- ١٢٢١ م والنمساوي لودفيج فتغشتين ١٨٨٩- ١٩٥١ م على اختلاف في الطرائق والاشكال) انظر : الموسوعة الفلسفية، عبدالرحمن بدوي، مصدر سابق

الاحساسات هي المصدر النهائي للمعرفة،ان فعاليات الذهن البشري تمثل مصدرا آخر للادراك ولكن بالاعتماد على الموضوعات الحسية فصفات المر والحلو ، والاحمر والاخضر ، والبارد والحار، الناعم والخشن، صفات قابلة للحس وهي تأتينا من العالم الخارجي والاحساس هو الذي ينقل الينا هذه الصفات فهو الممون الوحيد للذهن البشري بالتصورات والمعاني، ان القوة الذهنية هي القوة العاكسة للاحساسات المختلفة وان المعاني التي لايمتد اليها الحس لايمكن ابتكارها ذاتيا، فالذهن يقوم بتجزئة وتركيب الصور الحسية التي تشير الى الحقائق الموضوعية القائمة في العالم الخارجي ومن فقد حسا فقد علما ومن فقد احساساته فقد علومه ومعرفته، ان اختلاف الناس افرادا وشعوبا في المباديء الاساسية في الدين والمنطق والاخلاق والفلسفة لهو دليل واضح على تاثير الحس الخاص في تكوين صور خاصة، ان الافكار المعقدة تعتمد على الافكار البسيطة التي يقدمها الاحساس الى العقل ليدركها من خلال التكرار والمقارنة والربط ، فلا وجود لما يقال عن عوالم مجهولة او ما يطلق عليه ميتافيزيق ولا اثر يذكر عن مباديء اولية عقلية، ان هذه الغيبيات هي اكبر مايعيق تقدم المعرفة ويقضي على إدراكنا الصحيح، وتقسم المعارف الانسانية على ثلاثة أقسام هي:

١) المعرفة الوجدانية : وهي معرفة حقيقية ذات قيمة فلسفية كاملة،

٢) المعرفة التأملية : وهي معرفة صحيحة تتم من خلال الاستعانة بالمعرفة السابقة كمعرفتنا بأن زوايا المثلث تساوي قائمتين وهي معرفة صحيحة لها قيمة فلسفية وان احتاجت الى استدلال صحيح

٣) المعرفة الحسية : وهي الحاصلة من تعلق الحس بالمعلوم وهذه المعرفة ليست لها قيمة فلسفية كاملة لوقوع الاخطاء فيها) [1]

يعد الحكيم سقراط هو من اوائل المعترضين على هذه النظرية فقد سأل تلميذه طيطاطوس وهو يحاوره عن الحواس (أليس ماندركه باحدى حواسنا كالسمع هو غير ماندركه بحاسة اخرى كالبصر ؟ ان لي فكرة عن البرتقالة التي احسها باللمس والذوق والشم والبصر ٠ هل هذه الفكرة هي أي من هذه الاحساسات ؟ ان النفس – في رأي افلاطون – هي التي تكون افكارا عن الموجودات وعن الجمال والقبح وعدد كبير آخر من الامور٠ والحس ليس هو المسؤول عن هذه الافكار فالنفس هي التي تحكم وتصل الى وجود البرتقالة وليس كأحساسات لمسية وذوقية وشمية وبصرية مبعثرة) [2]

أما الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقد سجل اعتراضه بالملاحظة الآتية (لو رأيت حجرا يرتفع في الهواء علمت ان راميا رمى به ٠ فليس هذا العلم من قبل البصر ٠ بل من قبل العقل لان العقل هو الذي يميزه ٠ فيعلم ان الحجر لايذهب علوا من تلقاء نفسه ٠ أفلا ترى كيف وقف البصر على حده ؟ فلم يتجاوزه !) [3] وفي الجانب المنهجي.

يؤاخذ على هذه النظرية الآتي:

١) ان من الامور المسلم بها ان الحس مفتاح مركزي من مفاتيح المعرفة بل هو احد ينابيعها الاساسية ولكن السؤال بخصوص قيمة الحس ففي ضوء

---

١ تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، مصدر سابق ص ٥٦ ٠ الموسوعة الفلسفية، عبدالرحمن بدوي، مصدر سابق ج٢ ص٣٧٤

٢ تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، مصدر سابق ص ١٨٧

٣ توحيد المفضل، املاء الامام الصادق على المفضل بن عمر الجعفي، المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م، ص ١٦٣

النظريـة الحسـية ان الاشـياء تـنعكس صـورتها في الـذهن كمـا تـنعكس صـور الاشياء في مرآة المنزل وهذا لايجعل المرآة عالمة ٠ان المعلومات الحسية عندما تـدخل الى الـذهن عبـارة عـن مـواد خـام يمكـن أن نشـبهها بالمـاء والضـوء والنتروجين فهذه الاشياء يستلمها الشجر وبعد مرحلة اختمار تخرج الثمار فـالمرآة تسـتلم ظـاهر الاشـياء مـن دون باطنهـا ولـيس لهـا قـدرة التحليـل والاستنباط ٠

٢) لو افترضنا ان الصور تنعكس في الدماغ كما تنعكس الصور في آلة التصوير(الكاميرا) فانها قابلة للتحليل والتقسيم والتركيب والتشكيل فهل هذا ينطبق على الوجدانيات مثل الحب والبغض ، الكرم والبخل ، الجمال والقبح ، الصواب والخطأ ، الصدق والكذب ، الخير والشر ، الحق والباطل ؟ كيف تكون صورة البخل وصورة الكرم داخل الدماغ ؟ كيف تكون صورة الشجاعة والجبن داخل الدماغ ؟ وهلم جرا الى صور الحق والباطل وصور الخطأ والصواب فالوجدانيات غير قابلة للتصوير مطلقا ٠

٣) لو قلنا ان الحس هو المعرفة فسيطرح سؤال مهم وهو لماذا لاتدرك الحيوانات كما يدرك الانسان وهي تمتلك أدوات الحس نفسها ؟ بل ان بعض الحيوانات والطيور تفوق الانسان في كثير من القدرات الحسية كحاسة الشم عند الكلاب وحاسة البصر عند الصقر الذي يستطيع رؤية السمك في داخل الماء ٠والخفاش لديه قدرة تفوق الانسان في معرفة الموانع في الليل المظلم وهكذا دواليك٠٠٠ فالمعرفة الحسية سطحية ظاهرية مشتركة بين الانسان والحيوان لاتتجاوز السمع والبصر والشم والذوق واللمس٠

٤) هناك جملة كبيرة من المفاهيم لايمكن ارجاعها الى الحس كمفاهيم العلة والمعلول ، الجوهر والعرض ، الوحدة والكثرة ، ، الوجود والعدم ٠

فعندما نرى سقوط القلم على الارض مثلا لايمكن ادراك السبب الا من خلال ماهو اسمى من الحس لتحليل الظاهرة وادراك اسبابها بعد استعمال مفهوم الرفض والقبول، كذلك المباديء العقلية الاولية البدهية (الكل اكبر من الجزء ، الحادث لايوجد من دون سبب) والمباديء الرياضية (٢+ ٢= ٤) (الواحد نصف الاثنين) ان جملة هائلة من المباديء الاولية التي تنظم عمل العقل لايمكن ارجاعها الى الحس

٥) ان للتجربة دورا جبارا في العلوم والمعارف ولكن التجربة ليس لها قيمة لولا القوانين العقلية الضرورية أي المباديء العقلية الاولية (فالتجربة شأنها شأن الفحص الطبي الذي يجريه الطبيب على المريض فلولا ما يمتلكه الطبيب قبل الفحص من معلومات ومعارف لم يكن فحصه سوى لغو مجرد عن كل فائدة) [١] فلا قيمة للتجربة لولا وجود الميزان العقلي والقواعد المنطقية البديهية،

٦) (ان الاحلام في اثناء النوم وحالات المرض العقلي وخداع الحواس هي حالات لايكون فيها للاحساس أي قيمة صدق) [٢]

٧) بقي السؤال الكبير الذي حير النظرية الحسية وقلب حسابات أقطابها رأسا على عقب وهو : الذاكرة ، كيف يستطيع الانسان أن يحتفظ بملايين الصور الذهنية والعقلية والرياضية ، كيف تنسق أحجامها وتفرز صورها ؟ كيف تستعمل في اتخاذ القرارات خلال ثوان قليلة من الزمن ؟

٨) (ان اعتقاد لوك بان المعرفة الوجدانية والمعرفة التأملية ذات قيمة قاطعة من الناحية الفلسفية يتناقض مع رأيه الخاص في تحليل المعرفة الذي

---

١ فلسفتنا، محمد باقر الصدر، مصدر سابق ص ١١١

٢ نظرية المعرفة والموقف الطبيعي، فؤاد زكريا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٢م، ص ٣٣

يرجع الادراك كله الى الحس والتجربة)[١]

الخلاصة : ان المعرفة الحسية نظرية مادية قديمة اعتقد بها عدد كبير من الفلاسفة وهي عاجزة عن الجواب على تساؤلات عقلية سهلة طرحت عليها منذ مئات السنين • ولاتستطيع ان تعطي اجابة عن سؤال هذه الدراسة وهو • كيف تدرك النفس حقائق الاشياء ؟

٦ – النظرية العقلية في المعرفة

وتسمى أيضا بالنظرية المثالية•إقترن المذهب العقلي بالفلاسفة افلاطون (٤٢٧- ٣٤٧ ق م) وسقراط (٤٦٩ - ٣٩٩- ق م) وهيجل (١٧٧٠- ١٨٣١م) في الغرب وابن سينا (٣٧٠ – ٤٢٨ ه) وابن مسكويه (٩٣٢ - ١٠٣٠ م) في الشرق واقترن حديثا باسم الفيلسوف الالماني عمانوئيل كنت (١٧٢٤- ١٨٠٤ م)[٢] فيما عد بعض الباحثين ان رائد العقلية أو المثالية هو الفيلسوف الانجليزي باركلي (١٦٨٥- ١٧٥٣م)[٣] (تستعمل كلمة مثالي في اللغة غير الفلسفية حين يقال عن شخص أو عن شيء إنه كامل ونموذجي فيعبر عنه : مثالي فيقال استاذ مثالي • وقد يوصف الشخص الذي لايراعي

---

١ فلسفتنا، محمد باقر الصدر، مصدر سابق ص ١١١

٢ فلسفة التربية، حسين رحيم التكريتي، مصدر سابق ص ٣٨

٣ ورد في الموسوعة الفلسفية، عبدالرحمن بدوي، مصدر سابق ج ١ ص ٢٩١ الآتي : لقد صاغ بركلي الموضوعة الاساسية لكل مثالية عام ١٧١٠ في كتابه – بحث في مباديء المعرفة البشرية- ومنذ ذلك الوقت أكثرت الفلسفات المثالية من الوانها الروحانية واللاادرية والتجريبية والعقلانية والانتقادية والظاهراتية والوجودية من دون ان تخرج بشكل حاسم عن المباديء العامة للمثالية • وخلاصة الرأي عند باركلي هي ان الوجود هو الادراك • فلا يوجد غير ارواح وافكار • نفوس وعقول • فالعقل اللامتناهي افاض على العقل المتناهي مانسميه بالمعرفة • واشتهرت عنه عبارته المعروفة • الشيء ان يوجد هو ان يُدرِك أو يُدرَك •

الاحوال الواقعية بانه مثالي مقابل الواقعي أما التصورات المثالية فهي افكار منطقية محضة) [1] وفي هذا الفصل سوف لانتطرق الى مثالية افلاطون لاننا عالجناها في فصل سابق وارتأينا ان نطرح هذه الفلسفة بوجه عام كافضل وسيلة لتحقيق الغاية المرجوة من هذه الفصل .

(وترتكز الفلسفة العقلية على المباديء الآتية :

١ – العالم المادي ليس واقعا مطلقا.

٢ – العقل او الروح جوهر العالم.

٣ – الغائية : القائلة ان لكل ظاهرة طبيعية غاية .

٤ – المعرفة مستقلة عن التجربة الحسية) [2]

(وترى المثالية أن المعرفة يقينة ثابتة أو مطلقة منبعها العقل الثابت وهي مستقلة عن الخبرة الحسية لان الانسان جوهره العقل والحواس مشكوك في صحتها ودقتها والاشياء المادية لاقيمة لها وان المعرفة مجردة عن الادراكات الحسية ٠ ان العقل يتمكن من الادراك والحكم والتمييز والتحليل والتركيب من دون الحاجة الى الحواس٠ فالحقيقة كل الحقيقة تكمن في افكار العقل وليس في العالم الفيزيائي المادي ٠ ان بدهيات المعرفة ثابتة لاتتغير مع تغير الظروف الاجتماعية أو المعطيات الثقافية لان اساسها ثابت يتصل بالقوانين العقلية البدهية التي لاتعرف الشك او التناقض ٠ ان التجربة الروحية وليس التجربة العملية هي اساس تطور المعرفة كما ان قيم الحق والخير والجمال هي قيم عليا ثابتة ازلية مطلقة معطاة للانسان وليست من صنع البشر ٠ ان دور

---

١ الموسوعة الفلسفية، عبدالرحمن بدوي، مصدر سابق ج ٢ ص ٤٣٩

٢ المصدرالسابق ص ٤٢

الانسان هو حمل القيم على عاتقه ليحقق غاية الله في الارض) [1] ويلاحظ على هذه النظرية الآتي :

١) يقول الاستاذ محمد باقر الصدر (ان الادراكات والمعارف البشرية اذا كانت لها خاصية الكشف الذاتي عن مجال وراء حدودها وجب ان تكون جميع العلوم والمعارف صحيحة لانها كاشفة بحكم طبيعتها وذاتها والشيء لايتخلىَ عن وصفه الذاتي مع ان جميع مفكري البشرية يعترفون بأن كثيرا من المعلومات والاحكام التي لدى الناس هي ادراكات مخطئة ولاتكشف شيئا عن الواقع فكيف يفهم في ضوء ماتزعمه هذه النظرية من ان العلم يتمتع بالكشف الذاتي ؟ وهل لهذه الفلسفة من مهرب الا التنازل عن منح العلم هذه الصفة ؟!) [2] (ان التفكير البشري يملك نوعين من المعارف

الاول : معارف مضمونة الصحة هي القاعدة العامة للتفكير لايمكن الشك فيها مطلقا كمبدأ عدم التناقض ، ومبدأ الوجود والعدم

الثاني : معارف ثانوية تستنتج من المعارف السابقة وهي التي يقع فيها الخطأ ، كما في قوانين الفيزياء والكيمياء) [3]

٢) لايمكن انكار الواقع الموضوعي للاشخاص الآخرين ف (اذا كانت الحقيقة مقتصرة على نفس الادراك والشعور باعتبار إننا لانتصل بشيء وراء حدود الذهن ومحتوياته الشعورية ، فهذا الادراك معناه ادراك فردي لايتصل بادراك الآخرين وشعورهم ، وهذا يفرض على الفرد عزلة عن كل شيء ،

---

١ فلسفة التربية، حسين رحيم التكريتي، مصدر سابق ص ٤٠ – ٤١

٢ فلسفتنا، محمد باقر الصدر، مصدر سابق ص ١٢١

٣ المصدر السابق ص ١٢٣

وهذا يعني اننا لانسلم بوجود الناس الآخرين لانهم ليسوا الا تصورات ذهنية وفكرية ٠ اذن فمع من نتكلم ؟ ولمن نحاور ونكتب ؟)[1]

٣) الواقع الموضوعي والواقع المثالي (ان من الضروري ان نميز بين مسألتين احداهما مسألة وجود واقع موضوعي للادراكات والاحساسات والاخرى مطابقة هذا الواقع لما يبدو لنا في ادراكنا وحواسنا ٠ وإذا ميزنا بينهما استطعنا أن نعرف ان احساساتنا هي عبارة عن انفعالات نفسية بالاشياء الخارجية فلابد من شيء خارجي حينما نحس وننفعل)[2] ولابد لنا من ان نتساءل هل (ان وجود الاشياء في المكان خارج العقل هو وجود مشكوك فيه أو زائف)[3] (ان من يشك في وجود العالم المستقل عنا هو مجنون بلا شك)[4]

٤) رب سؤال آخر يطرح امام المثالية وهو: هل تكون افكار الشخص الذي فقد حاستي البصر والسمع مثلا متكاملة متساوية متوازية مع افكار الشخص السوي الذي لم يفقد هاتين الحاستين ؟ ان الاجابة على هذا السؤال بأي وجه جاءت تنسف التفكير المثالي من اساسه

والخلاصة : ان هذه النظرية لايقرها العقل والمنطق السليمان وهي تلغي مسألة المعرفة الانسانية ودراسة قيمتها من ناحية موضوعية إلغاء تام لانها لاتعترف بموضوعية الفكر والادراك ووجود شيء خارج حدودهما.

---

١ المصدر نفسه ص ١١٨

٢ المصدر نفسه ص ١١٧

٣ الموسوعة الفلسفية، عبدالرحمن بدوي، مصدر سابق ج ٢ ص ٤٤٠

٤ فلسفتنا، محمد باقر الصدر، مصدر سابق ص ١٢٤

٧ ـ نظرية الافكار الفطرية

رائدها الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت[١] ومفادها(أن هناك منبعين للافكار احدهما الاحساس فنحن نتصور الحرارة والنور والطعم والصوت من اجل احساسنا بها ، والآخر الفطرة فالذهن البشري يمتلك معاني وتصورات لم تنبثق عن الحس وانما هي ثابتة في صميم الفطرة ، سأعد ان السماء والهواء والارض والالوان والاشكال والاصوات وسائر الاشياء الخارجية ليست الا أوهاما أو احلاما ، وسأعد نفسي من دون يدين ولاعينين ولا لحم ولا دم ولا أملك أية حواس واني مخدوع ، ولكن كوني مخدوعا يؤكد أنني موجود ، وهذه حقيقة يقينية - فأنا افكر اذن أنا موجود – إني اجد فكرة الله في ذهني فلابد من ان يكون لها من مصدر ولايمكن ان اكون انا مصدرها ، ان هذه الظاهرة الذهنية بما لها من كمال يمتنع ان يكون الذهن مصدرها بل لابد أن يكون سببها اكمل من النفس والذهن وهذه الفكرة فطرية وكل فكرة فطرية ليس لها مصدر الا الله وكذلك كل البدهيات وكل فكرة تنتهي الى الله هي فكرة صادقة فلو لم تكن صادقة لكان تزويد الله الانسان بها خدعة وكذبا وهو مستحيل على الله الكامل المطلق ومن ثم ان كل فكرة فطرية في الطبيعة الانسانية هي فكرة صادقة ملقاة من جانب الله، وانها معرفة صحيحة صادقة ، ان الافكار الانسانية في هذه نظرية تقسم الى ثلاثة اصناف هي:

---

١ ، ولد في مدينة لاهية الفرنسية عام ١٥٩٥ وتوفي في السويد عام ١٦٥٠ ونقل جثمانه الى فرنسا بلغ ديكارت مبلغا عظيما في الفلسفة والمنطق ، وكان رياضيا بارعا وعالما في البصريات والفلك ابتكر الهندسة التحليلية في الجبر والهندسة استنادا الى رؤيا منامية وقد اعترف بدورهذه الرؤيا في مؤلفاته ، يوجد ضريحه الآن في كنيسة سان جرمان دي بريه في باريس انظر : الموسوعة الفلسفية، عبدالرحمن بدوي، مصدر سابق

١) الافكار الفطرية : التي يدركها الانسان بالبداهة وليس للخطأ اليها سبيل كفكرة الله والافكار الرياضية والحركة والشكل والامتداد والجهل واليقين والشك والامور الفطرية التي اقصدها هي المعلومات البدائية الاصيلة التي نتوصل بها الى جميع المعارف (فالافكارالسرمدية توجد فينا بالفطرة إذ يولد الانسان مزودا بها منذ الولادة يدركها الانسان دفعة واحدة بكل جلاء ووضوح وفي ضوء النور الداخلي الساطع الذي ينطلق من الداخل الى الخارج ومن الذهن الى الاشياء)[١] هي (موجودة قبل التجربة على هيئة امكان وان التجربة ضرورية لتحصيل هذه الافكار، ان العقل يعاين الفكرة ولكن الارادة هي التي تقرر حقيقة هذه الفكرة، والعلم هو في جوهره اقرار الارادة بالافكار الضرورية والسرمدية التي جاءت الى العقل من الله) [٢]

٢) المحسوسات : كالصوت والرائحة والضوء والطعم والحرارة واللون

٣) الصور : وهي التصورات التي تخلقها القوة المتخيلة في الذهن كتصور رجل برأسين وفرس بجناحين) [٣]

وقد وجهت لهذه النظرية انتقادات عديدة منها

١) ان نزعة الشك قديمة قدم الانسان نفسه وهي اتجاه واضح في الفلسفة اليونانية القديمة تزعمه بيرون المولود سنة ٣٦٠ ق م فهو القائل(إن كل قضية

---

١ تاريخ الحضارات العام، أندريه إيمار، جانين اوبوابه، منشورات عويدات، بيروت، باريس ٢٠٠٣، ج ٤ ص ٢٩٣

٢ الموسوعة الفلسفية، عبدالرحمن بدوي، مصدر سابق ج ١ ص ٤٩٦ ومما يذكر ان الرواقيين في العصر اليوناني قالوا ايضا بنظرية الافكار الفطرية مع اختلاف في بعض التفاصيل ولكنها اشتهرت باسم الفيلسوف ديكارت الذي صاغها بشكل نظرية شاملة ،

٣ مسيرة الفلسفة في اوربا، محمد علي فروغي، المكتبة التجارية مصر شارع محمد علي ١٩٣٧ م ج ١ ص ١٥١

تحتمل الايجاب والسلب وحتى العلوم الانسانية تخضع لعوامل خارجية وداخلية تبلور ذهن الانسان ولو تبدلت تلك العوامل لتبلورت مدارك جديدة بشكل آخر مختلف، وان الحقيقة تصور مرحلي يمر على الانسان فلا يمكن معرفة الخطأ والصواب لاننا نفقد الميزان الذي يعين حدودهما، ماهي الاشياء ؟ وكيف تتكون ؟ لانعرف شيئا ، كيف نرتبط بهذه الاشياء؟ ماهو موقفنا منها؟ وعليه يجب التوقف التام عن الحكم لاننا لانستطيع التيقن في أي شيء) [١] وفي نزعة الشك كتب أبو حامد محمد بن محمد الغزالي(٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) (١٠٥٨- ١١١١ م) (إن من لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقي في العمى والحيرة والضلال) [٢] إن الكلام آنف الذكر يثبت ان نزعة الشك ليس من ابتكار الفيلسوف ديكارت بل سبقه كثيرون وفي الوقت نفسه فان نزعة الشك نفسها محل اخذ ورد في عالم الفلسفة فلا يمكن الشك في كل شيء فهناك معارف وحقائق لايختلف عليها الناس هي المعارف البدهية التي أجمع الناس على صحتها وصدقها ، ان نزعة الشك ذاتها هي استدلال عقلي يحاول فيه المفكر اثبات ما يتبناه فلو لم يكن للادراك العقلي قيمة ولا وزن فما معنى هذا الاستدلال والبرهنة؟ وعلى طريقة الشيخ الرئيس ابن سينا نسأل (هل تعلمون ان انكاركم للاشياء حق أو باطل ؟ فان قالوا اعتقادنا حق أو قالوا اعتقادنا باطل فقد اعترفوا بالاعتقاد) [٣]

٢) (ان قاعدة أنا افكر فانا اذن موجود قد نقضت في الفلسفة الاسلامية قبل ديكارت بعدة قرون حين افشل هذا الطرح الشيخ الرئيس ابن سينا فقال

---

١ نظرية المعرفة والموقف الطبيعي، فؤاد زكريا، مصدر سابق ص ٦٣

٢ ميزان العمل، محمد بن محمد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٩م ص ٢١٦

٣ الهيات الشفاء، الشيخ الرئيس ابن سينا، طبعة طهران ١٣١٤ هـ، ص ١١

: لايمكن الاستدلال على الوجود من خلال التفكر فانك حين تقول : أنا أفكر فانه اثبت وجوده من اول الامر مع كلمة أنا ولاحاجة لان يبرهن على وجوده من خلال فكره)[١]

٣) (ان ديكارت قد اعترف ومن حيث لايدري بوجود اصول من سياق حديثه وهذه أمثلة

مثال : قول ديكارت : إني أجد فكرة الله في ذهني فلابد ان يكون لها من مصدر

الاصل الذي اعترف به ديكارت : ان الشيء لايخرج من لاشيء

مثال : لايمكن ان اكون انا مصدر هذه الفكرة لان حقيقة هذا الجوهر تتجاوز ماهيتي وحقيقتي.

الاصل الذي اعترف به ديكارت : الشيء لايمكن ان يكون اكمل من سببه.

قول ديكارت : ان هذه الفكرة فطرية وكل فكرة فطرية ليس لها مصدر الا الله وكذلك كل البدهيات.

الاصل الذي اعترف به ديكارت : الافكار المنظمة لاتأتي الا من عاقل

قول ديكارت : الخداع مستحيل على الاله

فمن اين عرف ان الاله لايخدع لولا الاساس الوجداني)[٢]

الاصل الذي اعترف به ديكارت : الكامل المطلق لايخدع

---

١ فلسفتنا، محمد باقر الصدر، مصدر سابق ص ١٠٩

٢ نظرية المعرفة : جعفر السبحاني، مصدر سابق ص ١٠١

ان كـل مـا توهمـه ديكـارت مـن اسـس المعرفـة اليقينيـة سـبقته اسـس ومنطلقات اخر بني عليها التفكير الانساني كان ديكارت معترفا بهـا في صـميم ذاته.

٤) (ان الانسان لحظة وجوده على وجه الارض لاتوجد لديه أية فكـرة مهما كانت واضحة وعامة في الذهنية البشرية) [١] فلاتوجد عند الطفل مثلا ايـة فكرة عن الرياضيات مهما كانت سهلة أو بسيطة ،

٥) (ان الآثـار الكـثيرة لايمكـن أن تصـدرعن البسـيط باعتبـاره بسـيطا ، والنفس بسيطة فلايمكن ان تكون سببا لعـدد هائـل من التصـورات والافكـار والادراكات ، ،فلا بد من وجود عوامل خارجية كثيرة لهـذه الادراكـات) [٢] ان مصنع ابرة الخياطة مثلا لايمكـن ان ينـتج غـواصـات وسـفنا عملاقـة وطـائرات ومكائن ثقيلة ، ويلاحظ على ديكارت انه تحدث في مؤلفاتـه عـن رؤيـا عجيبـة الهمته ابتكار الهندسة التحليلية ولكنـه لم يقـرر ان الرؤيـا المناميـة مصـدر مـن مصادر المعرفة ، ان نظرية ديكارت في المعرفة هي نوع من السطحية في الـتفكير لاتستطيع ان تصمد امام التفكير الهاديء المنظم ولا تعطي اجابات شـافية عـن سر المعرفة.

٨ـ نظرية الغرائز الضامرة

اشتهرت باسم (نظرية التحليل النفسي مؤسسها عـالم الـنفس النمسـاوي سيجموند فرويد ١٨٥٦- ١٩٣٩ م) [٣] تقول نظرية التحليل النفسي للمعرفة (ان

---

١ فلسفتنا، محمد باقر الصدر، مصدر سابق ص ٦١

٢ المصدر نفسه ص ٦٠

٣ ورد في الموسوعة الفلسفية، عبدالرحمن بدوي، مصدر سابق ج ٢ ص ٢٣ (هـو يهـودي درس طب الاعصاب وبدأ نشاطه في معالجة الامراض النفسية باستعمال التنويم المغناطيسي وطريقة

الغرض الاساس من كل فكرة ومعرفة يطرحهما الانسان هو تحصيل اكبر لذة وجعل الالم اقل ما يمكن لان السلوك يتجه نحو السعادة من خلال تحصيل اللذة واشباع الحاجات الحسية وهكذا يبدأ الطفل حياته بسعيه الى اللذة بغض النظر عن نتائجها وكلما كبر تعلم كيف يضبط سلوكه ويكيفه بما يقلل الضرر ويحقق اكبر لذة ممكنة وهذا غرض السلوك الاساسي ٠ ان الدوافع وتجارب الحياة والقيم الاخلاقية والتحريمات الاجتماعية كلها تتفاعل لتكوين الشخصية٠ وينقسم عقل الانسان بوجه عام على قسمين هما :

١) العقل اللاشعوري : ويتكون من مجموعة الشهوات والغرائز المختزنة في اعماق الشخصية الانسانية وهذا هو الجانب الحيواني في الانسان وهي دوافع وحشية لاشعورية يعبر بها عن نفسه ليظهرها في العلن نهاية المطاف ولايمكن للانسان السيطرة على هذا العقل أو التحكم في تكوينه أو تطوره ٠

٢) العقل الشعوري : هو ذلك الجزء من شخصية الانسان الذي ينشد العثور على مخارج واقعية لدوافع الشهوة والغرائز ويحاول ان يحفظ ماء وجه بما يؤمنه من الوقوع في نزاع مع محيطه ٠ وليست اعمال الانسان الشعورية إلا تعبيرا لاشعوريا عن الشهوات الجامحة والغرائز المختزنة في اعماق الشخصية الانسانية ولنفترض أن شابا عشق فتاة جميلة فاتنة فحاول ان ينال منها ففشل فستصيبه خيبة شديدة ويعاني من آلام ولايجد وسيلة لإراحة نفسه من ذلك العذاب الا بمحاولة تناسي تلك الخيبة وهنا يقوم الذهن بدفع تلك الخيبة الى منطقة اللاشعور لتكمن هناك ولكن هذا النشاط الجنسي المستعر لايخبو بل

العلاج بالمحادثة حتى توصل الى مايسمى بنظرية التحليل النفسي القائمة على ارجاع كل سلوك الانسان وتصرفاته الى دوافع غرائزه الجسمية وخالفه في هذا المنهج جميع زملائه وانفصلوا عنه فسلك طريقه وحده حتى مات في لندن بعد ان جاوز الثالثة والثمانين)

يظل يواصل نشاطه من منطقة اللاشعور مديرا تصرفات ذلك الشاب المسكين من دون أن يشعر فتراه يتحول الى اعمال الخير التي لها علاقة بذلك الحب الجنسي وينصرف الى دور الايتام والعناية بالعجزة وليس هذا التوجه العاطفي الا صورة محرفة عن ذلك الحب الجنسي بلا شعور ولا ارادة منه)[1] (فالاحلام مثلا وهفوات اللسان هي تجليات مقنعة لمضمورات لاشعورية افلتت من الضمور وصارت علنية ٠إن التخلف في المواد الاندفاعية من شأنه لو بقي حبيسا ان يحدث اضطرابا في النوم وفي نشاطات اخر) [2]

وقد اثيرت حول هذه النظرية اشكالات كثيرة نذكر أهمها :

١) السؤال الاول الى فرويد عن مصدر البدهيات العقلية والقوانين الرياضية والفطرية التي يؤمن بها الانسان من دون ان يطلب دليلا وأين موضعها من هذه الغرائز الضامرة ؟ مثلا ٢+٢= ٤ ، الكل يساوي مجموع الاجزاء ، المستقيم اقرب نقطة الى الهدف

٢) ان هذه النظرية تعني الغاء جميع الحقائق العلمية والرياضية والفلسفية والتربوية والعقائد والديانات لأن هذه الحقائق حسب رأي فرويد مجرد تعبير عن الدوافع الشهوانية المختزنة في اللاشعور٠ وجهود الفلاسفة والعلماء ورجال الدين كما يرى فرويد ماهي إلا تعبير عن سعي غير مباشر لوصول هؤلاء الى منفذ لاشباع غرائزهم الجنسية ٠

٣) لو صح ما ذكره فرويد من ان كل ما يقوم به الانسان من خير وشر أو اصلاح أو إفساد هو تعبير محرف عن الغريزة الجنسية فهذا يعني ان نشطب بقلم عريض على جميع القيم الاخلاقية والمثل الانسانية التي تميز الانسان عن سائر الحيوانات إذ ينعدم في منظور هذه النظرية الفرق بين الامين والخائن بين الشريف

---

١ الموسوعة الفلسفية، عبدالرحمن بدوي، مصدر سابق ج٢ ص ١٢٣

٢ المصدر نفسه ص ١٢٤

والوضيع باعتبار ان هؤلاء جميعا يتحركون بلا شعور منهم للتعبير عن غرائزهم المختزنة في اعماق شخصياتهم •

٤) ان نظرية الغرائز الكامنة هذه لم تتطرق البتة الى السؤال المهم وهو : كيف يستطيع الانسان ان يميز بين الاشياء المتناقضة • الحق والباطل • التقوى والفجور • الصواب والخطأ • الجمال والقبح •

٥) لو قلنا لفرويد ان نظريتك في الغرائز الضامرة صحيحة سنصل الى نتيجة : ان نظرية التحليل النفسي هي تعبير عن غرائزك الجنسية المكبوتة الخاصة بك ياسيد فرويد والضامرة في اعماق لاشعورك ومن ثم لايمكن تعميمها لجميع الاشخاص ولجميع الازمنة ولجميع الحالات وهي لاتعني الناس الآخرين من بعيد أو قريب •

٦) ان مفهوم اللذة لايقتصر على اللذة الجنسية فقط فهناك لذة الطعام ولذة النظر ولذة المطالعة فماهو المقياس الذي يختار من خلاله الانسان هذه اللذة او تلك اليس هو العقل •

٧) أن حقيقة وجود مشاعر مكبوتة واسرار وضغائن واحقاد وغرائز جنسية ضامرة يحاول الانسان دفنها ومحوها من ذهنه ليرتاح من دوامة الالتفات اليها هذه الحقيقة لايختلف عليها اثنان • كذلك حقيقة وجود عقد نفسية كعقدة النقص وعقدة التحقير وعقدة الكبر في النفس البشرية ان هذه العقد أو المكبوتات في اعماق الذات البشرية تؤثر على وجه التأكيد في طبيعة السلوك وقد اشار الامام علي بن ابي طالب-ع- الى هذا الامر بقوله (ما أضمر أحد شيئا الا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه)[١] ولكن ان تنسب المعرفة الانسانية الى هذه المكبوتات ففيه مغالاة وتجن على الحقيقة الواقعية المنظورة•

---

١ نهج البلاغة، الشريف الرضي، مصدر سابق، قصار الحكم ت ٢٦

٩ـ النظرية النسبية في المعرفة

يعد(الفيلسوف بول فورييه١٧٧٢- ١٨٣٧ م)[1] (واحدا من ابرز رواد هذه النظرية)[2] ان الخطوط العامة لهذه النظرية يمكن اجمالها بالآتي(ان ما يدركه الانسان ليس حقيقة خالصة من الشوائب بل هي مزيج من الناحية الموضوعية للشيء- الخارج كالمنظر الطبيعي - والناحية الذاتية للفكر المدرك – طبيعة شخصية الفرد- فهناك عاملان رئيسان يشتركان في اخراج الصورة الذهنية وهما

١) الظروف الزمانية والمكانية المحيطة بالمدرك فهي تسهم في بلورة الاشياء بصور مختلفة إذ نرى شخصا معينا يتجلى في ظرف خاص جميلا وفي ظرف آخر غير جميل. وما هذا الا لأن للظروف تأثيرها في اظهار كيفيات الاشياء .

٢) الجهاز العصبي . له دورجوهري في تبلور الصور العلمية فالاشياء الخارجية تظهر لدى مدارك الانسان بألوان مختلفة فالشخص يدرك الشيء الواحد في حالات مختلف فنرى الانسان في سلامته يلتذ بالطعام دون حالة سقمه والرائحة تكون طيبة له في حالة دون أخرى وغير ذلك فالصور الذهنية ليست سوى اشارات الى الخارج وليست كاشفة عنه كشفا تاما لان كيفياتها متوقفة على مدى تأثير العاملين آنفي الذكر فيها. ان جميع الحقائق ذات طابع نسبي حسب الدور الذي يلعبه حس كل فرد وعقله في عملية ادراكه للحقائق ولما كانت الظروف والشروط تختلف في الاشخاص والحالات المتنوعة كانت

---

١ هو مصلح اجتماعي فرنسي كان يحمل كراهية شديدة للثورات وخاصة الثورة الفرنسية . وكان يندد دائما باعمال العنف ويقول ان لاسبيل لاصلاح الحياة الا بالاقناع والبرهان العلمي . انظر موسوعة بدوي ج ٢ ص ١٩٨

٢ مقدمة في الفلسفة العامة، يحيى هويدي، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٨م، ص ٧٧

الحقيقة في كل مجال حقيقة نسبية بما انطوت عليه من ظروف وشروط فلا حقائق مطلقة البتة)[١]

وقد طرحت مؤاخذات على هذه النظرية لعل أهمها :

١) نظرية المعرفة النسبية المذكورة آنفا هل هي حقيقة مطلقة او حقيقة نسبية ؟ فاذا كانت الاجابة بانها حقيقة تامة خالدة مطلقة فقد تم الاعتراف بوجود الحقائق المطلقة واذا كانت الاجابة بأنها حقيقة نسبية فستكون هذه النظرية خاصة بمن ابتكرها او آمن بها ولايمكن تعميمها على جميع الاشخاص والحالات لاختلاف الشروط والظروف كما يزعم رواد هذا اللون من التفكير.

٢) لو كانت الحقائق كلها نسبية فكيف اعتقدنا بصحة النظريات العلمية الفيزيائية والكيميائية والطبيعية والرياضية ٠ ان هذه النظريات ستكون خاصة بالاشخاص الذين اكتشفوها أو اخترعوها ٠ فالارض ليست دائما اكبر من القمر فقد يبدو لآخرين العكس تبعا لظروفهم وحالاتهم النفسية فيقولون ان الارض اصغر من القمر ٠ و(٢+٢=٤ ليست دائما صحيحة فقد تبدو لاشخاص آخرين ٢+٢= ٧ تبعا لظروفه الخاصة وطبيعة الجهاز العصبي للشخص وهكذا سيقضى على جميع القوانين العلمية اذا ما نظر الى الامور بمنظار النظرية النسبية .

٣) اذا كانت جميع الامور نسبية فكيف يمكننا التمييز بين الخطأ والصواب وبين الجمال والقبح بين الخير والشر بين الحب والبغض وغيرها من مئات المتناقضات العقلية والوجدانية ؟

---

١ نظرية المعرفة : جعفر السبحاني، مصدر سابق ص ١١٣

٤) لايمكن القول إن مسائل مثل البدهيات الاولية هي من القضايا النسبية مثل (الواحد نصف الاثنين) (الكل اكبر من الجزء) ((الخط المستقيم اقرب من الخط المتعرج الى الهدف) لان البدهيات اذا اصبحت امورا نسبية ستدخل التفكير البشري في ضرب من الجنون المستحكم ٠

١٠ ـ نظرية الاشراق الالهي:

قبل ان نعرض لهذه النظرية لنعيد اولا طرح سؤال هذه الدراسة وهو : كيف تدرك النفس حقائق الاشياء؟ ان نظرية الاشراق الالهي ورائدها الاول أوغسطين (٢٥٤- ٤٣٠ م)[١] تجيب على هذا السؤال بقولها (ان مصدر المعرفة وادراك الحقائق هو الاشراق الباطن من الله على النفس٠ فكما ان العين تبصر الاجسام بالنور كذلك النفس تدرك الحقائق بالاشراق وهو ظهور الانوار العقلية ولمعانها وفيضانها على النفس كما ان الشمس مصدر للنور المادي الذي يجعل الاجسام مرئية فان الله هو مصدر النور الذي يجعل الحقائق العقلية مدركة للعقل٠ الشمس مصدر النور والله مصدر الحقائق٠ وهناك تعاون ضروري بين العقل الانساني والحواس والاشراق الالهي من اجل معرفة الحقائق)[٢] ويقول توما الاكويني[٣] وهو احد عمداء هذه النظرية

---

١ وهو لاهوتي وفيلسوف مسيحي كاثوليكي كما وردت ترجمته في موسوعة بدوي الفلسفية

٢ الموسوعة الفلسفية، عبدالرحمن بدوي، مصدر سابق ج ١ ص ٢٥٠

٣ ورد في المصدر نفسه ج ١ ص ٤٢٧ (القديس توما الاكويني ١٢٢٥- ١٢٧٤م اكبر فلاسفة العصور الوسطى المسيحية ولايزال تأثيره عظيما في الكنيسة الكاثوليكية٠ درس الكتب المقدسة وكتب أرسطو ثم ترهب ٠ كان يمثل دور القاريء البابوي وقد سماه البابا بيومس الخامس دكتور الكنيسة الكاثوليكية ٠ وقد تاثر بشروحات ابن سينا له شروح ومؤلفات عديدة اشهرها، مسائل في الحقيقة، في مباديء الطبيعة، في الوجود والماهية، الخلاصة ضد الكفار، خلاصة اللاهوت)

(فالفكر هو مرآة العالم العاكسة له بأمانة على ان الفكر والواقع هما من الله تعالى مما يعني ان المعرفة الانسانية مستمدة منه تعالى)[١] (ان علماء الغرب وفلاسفتهم كانوا غارقين في العلوم الطبيعية فلم يشيروا الى هذا النوع من المعرفة الا عابرا ومن ابرز من أيد هذا النوع من النظريات هو الفيلسوف الفرنسي هنري بركسن (١٨٥٩- ١٩٤١ م) إذ ذهب الى ان الانسان انما يدرك بعقله ظواهر الاشياء وقشورها أما حقائق الاشياء فتدرك بالمكاشفة وشهود الواقع)[٢]

واثيرت على هذه النظرية الاشكالات الآتية :

١) هناك ابهام في مفهوم هذه النظرية فما نصيب العقل من المعرفة وما نصيب الله وما نصيب الحس ؟ ما نصيب الانسان وما نصيب الله ؟

٢) ما آليات هذا الاشراق وما اصنافه ؟ هل يحدث في الليل او النهار؟ عند الحاجة اليه او في كل حين ؟

٣) هل جميع الناس على درجة متساوية في هذا الاشراق او هناك اختلاف بين الناس في التشرف بهذا الاشراق ؟

٤) ما الدليل على حصول الاشراق هل هناك حجة أو برهان ؟

٥) ان من المغالاة القول ان الاشراق اكثر مساهمة في المعرفة من الحس والعقل كما يبدو من سياق طرح هذه النظرية لان الحس والعقل اوسع نفعا من الاشراق ٠ ان الاشراق لاينتفع به الا القلة من اصحاب الاوصاف الخاصة في حين ان الحس والعقل ينتفع بهما جميع الناس.

---

١ محاضرات في فلسفة الغرب، عقيل الشيخ محسن، مطبعة كلية الرسول الاكرم بيروت ١٩٩١م ص ٩٨

٢ مسيرة الفلسفة في اوربا، محمد علي فروغي، مصدر سابق ج ٣ ص ٢٦٤

ان هذه النظرية على اقترابها من الحقيقة فان فيها من اللبس والغموض ما يجعلها لاتجيب جوابا شافيا عن سؤال هذه الدراسة وقد سجلت عليها مآخذ لايمكن تغافلها.

١١ـ نظرية الاتحاد مع الله

وهي المعروفة باسم النظرية الصوفية يقول ابن السراج [١] (ان هذه التسمية الصوفية نسبة الى ظاهر اللبسة لان لبسة الصوف دأب الانبياء عليهم السلام وشعار الاولياء والاصفياء) [٢] (وقيل ان اسم الصوفية مشتق من الصفاء وقيل انهم صفوا من الشرور واكدار الدنيا وشهواتها، ومن الآراء التي قيلت انهم ينسبون الى بني صوفة وهي قبيلة بدوية كانت تخدم الكعبة في الجاهلية) [٣] ولعل الرأي الراجح (ان لبس الصوف الخشن كان شائعا عند عامة الناس ولاسيما عند اولئك الذين سلكوا سبيل الزهد وعبارة لبس الصوف ترد مرارا في نصوص القرنين الاول والثاني بمعنى ان الشخص زهد في الدنيا وصار زاهدا وننتهي الى تأييد ماذهب اليه إبن السراج وكثير من المؤلفين المسلمين الذين قالوا ان الصوفي نسبة الى الصوف) [٤] (ويحدد المؤرخون اول تاريخ لظهور لفظ صوفي بالنصف الثاني من القرن الهجري الثاني- أي الثامن الميلادي – مع جابر بن حيان الكوفي الذي كان يسمى الصوفي ويقال ان له مذهب صوفي خاص) [٥] أما عن النظرية الصوفية في المعرفة فهي جزء من العقيدة الصوفية

---

١ ابن السراج أبو بكر محمد بن السري بن سهل : عالم في النحو العربي توفي سنة ٣١٦ هـ، ٩٨٨م

٢ تاريخ التصوف الاسلامي، عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت ١٩٩٧م ص ٦

٣ المصدر نفسه ص ٩

٤ المصدر نفسه ص ١١

٥ المصدر نفسه

بشكل عام (وتقوم فكرة التصوف على أساسين الاول التجربة الباطنة للاتصال بين العبد والرب إذ يقوم العقل الباطني وهو غير العقل المنطقي بأخذ مقام التصورات والاحكام والقضايا العقلية والمعرفة فيغمر صاحبها شعور عارم كفيض من النور الباهر أو يغوص فيها كالامواج العميقة فتأتيه واردات ونفحات علوية وقوى فيتحرر من الافكار والخواطر وتنطلق الطاقات الحبيسة العميقة الغور في النفس فيشعر الفرد بهواتف واصوات ورؤى خارقة تظهر على جسده كأنها نوبات هستيرية او صرعات وقد يستعان على استدعاء هذه الاحوال بالسماع – سماع الموسيقى مثلا أو الرقص بطريقة منتظمة وبايقاع متفاوت الشدة ، فتنكشف العناصر السلبية في النفس مثل الرياء والشهوة والشرك ووساوس الشيطان وكل الخواطر المذمومة ويتصل الانسان اتصالا متفاوتا وعلويا في المراتب حتى يصل الى مرتبة الاتحاد التام أي صعود السلم تصاعديا حتى يتحد بالذات العلية الله وهذا هو اعلى مراتب ذروة الاتحاد، وهو وحدة الوجود والموجود)[1] (والقلب عند الصوفية هو محل الكشف والالهام وأداة المعرفة، والمرآة التي تتجلى على صفحتها معاني الغيب)[2] (ان المعرفة التي يصل اليها الصوفي كما يقولون معرفة فوق عقلية تسمى كشفا وهي علم الصديقين وهي من مواهب الله- واذا فاضت عليه معارف الله سمي عارفا ، وكان علماء الصوفية حين يريدون الاستخفاف باقرانهم يسمونهم علماء لان العالم قائم بنفسه والعارف قائم بربه)[3] ان علم اليقين يحصل بالمجاهدة وهذا المعنى كما يعتقد الصوفيون مستوحى من القرآن

---

١ بحث في نشأة المصطلح الفني للتصوف الاسلامي، لويس ماسينيون مطبعة باريس ١٩٥٤م ص ١٥٦
٢ فصوص الحكم، محيي الدين بن عربي، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٠م ج ٢ ص ٤
٣ كشف المحجوب، علي بن عثمان الجلابي، مطبعة طهران ١٣٣٦هـ ج ١ ص ٦٢٦

الكريم في قوله تعالى (كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ٠ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ) [١] (والصوفية يعرفون انفسهم بانهم قوم آثروا الله على كل شيء فآثرهم الله على كل شيء)[٢] (ان التصوف في التاريخ الاسلامي يرتقي من فكرة العشق الالهي عند رابعة العدوية في النصف الثاني من القرن الهجري الثاني حتى قولة الحلاج المشهورة: أنا الحق ، في نهاية القرن الهجري الثالث)[٣] وقد سجلت مؤاخذات على هذه النظرية يمكن اجمالها بالآتي

١) (ان هذه النظرية ليست من ابتكار المتصوفة المسلمين بل كانت موجودة في العصر المسيحي الهليني وعرف معتقدوها بالغنوصيين الذين قالوا ان الانسان لايستطيع بقواه العادية الوصول الى المعرفة العليا ولهذا يحتاج الى مصدر عالٍ لايصالها اليه وهذا المصدر هو طهارة القلب ويقول رائد الغنوصيين فالنتينوس من له قلب مطهر يشع بالنور هو الذي يظفر برؤية الله)[٤]

٢) (إذا كان المخلوق يتحد مع الخالق فبم يستدل على أن أحدهما خالق صاحبه)[٥] ان الانبياء وهم اعلى مرتبة واشرف اعتبارا من جميع الصوفية لم يمارسوا هذه الدبكات والرقصات ولم يدع أي منهم انه اتحد مع الله ٠ ان بين أيدينا الكتب السماوية الثلاثة التوراة والانجيل والقرآن ٠ فلا يوجد فيها أية فكرة عن الاتحاد مع الله أو عن هذه الحركات البهلوانية التي تفتقر الى الاساس العقائدي والفلسفي والايديولوجي٠ فالانبياء كما تذكر الكتب

---

١ سورة التكاثر الآية ٥

٢ اللمع في التصوف الاسلامي وتاريخه، لأبي نصر عبدالله بن علي السراج، تحقيق كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١ ص ٢٦

٣ الموسوعة الفلسفية، عبدالرحمن بدوي، مصدر سابق ج ٣ ص ٧١

٤ المصدر نفسه ج ٣ ص ٧٠

٥ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٤٠٣ هـ،١٩٨٣م، ج ٢ ص ٢٣٥

الخاصة بحياتهم كانوا يمارسون الخضوع والعبادة لله وهذه نصوص القرآن الكريم واضحة تقول (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ) [١] (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) [٢] (فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى)[٣] فهل يكون ارباب الصوفية قد شرفهم الله بما لم يشرف به انبياءه ورسله ؟ وهل يدلنا ارباب الصوفية على نبي او آية في القرآن الكريم او نص في التوراة او الانجيل تدعو للرقص أو الموسيقى من اجل الاتحاد بالله ؟ ان افكار الصوفية ليس لها جذور في العقائد السماوية ولاسيما الاسلامية منها٠

٤) لماذا تتعارض مكاشفات ومشاهدات الصوفية من شخص لآخر ؟ فلا بد من ان بعضهم يكذب على بعضهم الآخر أو أن مكاشفاتهم المزعومة ما هي الا انفعالات نفسية ناتجة عن ممارسة هذه الرياضات الطويلة٠ حسنا لو ان شخصين من أرباب الصوفية وصلا في عشقهم الى حد الاتحاد مع الله ٠ وبعد يوم أو يومين تخاصم هذان الشخصان فكيف يكون وضع الله ؟ هل يقف مع اتحاده المقدس مع الشخص – س- أو يقف مع الشخص – ص- أو ان الله سينقسم الى نصفين كل نصف يقاتل مع واحد من هذين المتخاصمين٠ هل يتخاصم نصف الله مع نصفه الآخر ؟ ثم ماذا لو كان عدد المتخاصمين خمسة عشر شخصا كلهم وصلوا الى مرحلة الاتحاد مع الله ؟ هل ينقسم الله الى سبعة اقسام ضد ثمانية ؟ واين يكون الجزء ثمانية ولماذا يكون هنا وليس هناك ؟ وهذه الانقسامات سببها الاختلاف في الرأي فهل معرفة الله متناقضة مع بعضها تجاه البعض الآخر؟

---

١ سورة الاسراء الآية ١١١

٢ سورة الاخلاص الآية ٤

٣ سورة النجم الآية ١٠

٥) اذا اتحد الوجود بالموجود هل يتخلى الاله عن مبادئه ومعرفته وأوامره وقيمه الاخلاقية فاننا نلاحظ الانحلال الاخلاقي والخلقي لمن يزعم انه وصل الى مرحلة الاتحاد بالله فهو صاحب قرار كما ان الله صاحب قرار فهو قد اصبح شريكا لله، إذ ستلغى الفواصل بين الاله والبشر وسيصبح لدى البشر معرفة بالغيب ويكون لديه القدرة على الخلق لانه عرف سر الصنعة وسيبعد عن نفسه واحبابه الموت والفناء ،بعد ان اتحد مع الله وهذا غير حاصل على ارض الواقع ، فان زعماء الصوفية تعرضوا للموت والفناء مع هذه المعرفة التي حصلت لهم كما يزعمون من خلال الاتحاد بالله ،

٦) ان علم اليقين يحصل من خلال الالتزام بأوامر القرآن الكريم وتقليد النبي(صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم) في اوامره ونواهيه والالتزام بجميع قواعد الشريعة في العبادات والمعاملات الظاهرية والباطنية وليس اختلاق حركات ماانزل الله بها من سلطان (فالعرفان الحقيقي هو اعتبار مظاهر الشريعة تؤدي الى بواطن الحقيقة ، فعلى السالك ان يجعل من ظاهره انسانا عاقلا وشرعيا و يحكم بحكم الشرع وان يقتدي بالنبي – ص - في جميع حركاته وسكناته وفي جميع ما يفعل ويترك فيتجلى في قلبه نور المعرفة وتتكشف العلوم الباطنية واسرار الشريعة ، وبعد انكشاف الحقيقة سيستمر في تأدبه بالآداب الشرعية الظاهرية، وان القول بانه بعد الوصول الى العلم الباطن ينتفي الحاجة الى الآداب الظاهرية يرجع الى جهل من يقول بها وجهله بمقامات العبادة)[1]

٧) (ان تصوف الامام الغزالي والتقوى والحب والاخلاص للانسانية كان حقا وهداية وأما تصوف المرائين والمنافقين فهو بدعة وضلال فمن اثبت

---

١ الاربعون حديثا، الامام الخميني، دار التعارف للمطبوعات بيروت ١٩٩١ م ص ٢٥

فكرة التصوف في الاسلام نظر الى المتصوفين المخلصين ومن نفاها عن الاسلام نظر الى تصوف الدجالين)[١]

٨)ان النظرية الصوفية هي نظرية فلسفية يونانية قديمة ،تقول كتب الفلسفة القديمة (ان النزعة نحو المعرفة الالهية – الثيوسوفية- هي من خصائص التفكير اليوناني القديم)[٢] فالنظرية الصوفية ليست من النظريات الفلسفية كما يعتقد الكثيرون ولكن التمعن في جذورها ومزاعمها يجرنا الى الاعتقاد بانها نوع من الفلسفة حتى لو قال روادها بانهم في واد بعيد عن الفلسفة ولاعلاقة لهم بالفلسفة البتة

٩)إن نظرية الاتحاد مع الله تجعل مقام الصوفي فوق مقام النبي باعتبار انه يأخذ العلم مباشرة عن الله تعالى في حين ان النبي يأخذ العلم بوساطة الملك ، وهذه تقودنا الى تسفيه أهمية الانبياء وفي الوقت نفسه يصبح لدينا آلاف من الناس كل منهم يتصور نفسه بمقام أرفع من النبي ويعطي تشرعاته الخاصة وفق نظرية (حدثني قلبي عن ربي) وقول الآخر (أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت) وبعضهم يتجرأ على تصحيح الأحاديث وتضعيفها بالكشف والإشراق وفي هذا ضياع لضوابط علوم الإسلام واختلاط للحق بالباطل سيوصلنا الى حالة الفوضى الفكرية الكاملة،

الخلاصة :

ان فكرة الاتحاد بالله ليس لها سند ديني في جميع الكتب السماوية وسيرة الانبياء ولا يقبلها العقل ولم يدع أي نبي انه اتحد مع الله بل قالوا

---

١ معالم الفلسفة الاسلامية، محمد جواد مغنية، دار الهلال بيروت ١٤٠٦ هـ --- ١٩٨٦م ص ٢٥٧

٢ اللمع في تأريخ التصوف الاسلامي وتأريخه، لأبي نصر عبدالله بن علي السراج، تحقيق كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠١م ص ٢١

جميعهم انهم عبيد لله منذ طفولتهم حتى مماتهم • كما ان الفكرة الصوفية مليئة بالتناقضات الداخلية وهي من دون دليل • فإذا كانت الصوفية بمعنى الزهد في الحياة ولبس الخشن من الصوف بدلا من الحرير الناعم فهي شيء روحي سام جميل وبهذا المعنى كانت صوفية الامام الغزالي• اما الصوفية على الوجه التقليدي المكون من الرقص والدبكات والموسيقى وترك العمل فهي شعوذة لاطائل منها • انها فلسفة ممزوجة بالدجل ليس الا ! انها ضياع وضلال وضحك على الذقون هي وهم وخداع وتلاعب بالكلمات

١٢ـ نظرية انعكاس العالم الموضوعي

وتشتهر بأسم النظرية المادية الجدلية في المعرفة وقد تبناها الفيلسوف الالماني كارل ماركس ١٨١٨- ١٨٨٣م وصديقه الفيلسوف فردريك انجلز ١٨٢٠- ١٨٩٥م وخلاصة نظريتهم (ان لاشيء في دار الوجود غير المادة وقواها فالوجود هو المادة• ان الانسان جزء من الطبيعة فيجب ان يسود حياته مايسود الطبيعة بأسرها من سنن ونواميس ومن طبيعة الاشياء وأهم مرتكزات هذه النظرية ما يأتي :

١) ان المادة وكل مافي الكون في حالة تكامل و تبدل وتغير مستمرين .

٢) ان هذا التبدل أو التغير ينشأ نتيجة لصراع داخلي في جوهر الاشياء بين جانب سلبي وجانب ايجابي ثم يتولد من هذا الصراع شيء ثالث هو الصورة المتكاملة للشيء • فحبة الحنطة مثلا اذا وضعت في التراب وسقيت بالماء ينشأ في صميم ذاتها صراع بين ما يريد نفي وجودها وما يريد ثباتها

وبقائها فيتولد من هذا الصراع تفتح الحبة ثم نموها واخضرارها ولا تزال تتطور في ظل هذا الصراع حتى تصير نبتة متكاملة .

٣) ان الصراع الاقتصادي بين طبقتي المستغِلين والمستغَلين يعتبر المحرك الاول والعامل الاساس الحاسم في حركة التاريخ .

فالعلاقات بين ظواهر الطبيعة متداخلة مترابطة ارتباطا عضويا وثيقا ، وليس حركة الفكر الا انعكاسا لحركة الواقع منقولة ومحولة في مخ الانسان)[1] فالتفكير عبارة عن الاثر المتولد من الطبيعة في الاعصاب والدماغ، ان تفاعل المادة الخارجية المتحركة المتطورة مع المادة الدماغية ينتج منهما العلم والتفكير، والادراك هو اثر هذا التفاعل فالعقل لايملي اوامره على الواقع بل ان الواقع الخارجي هو الذي يملي اوامره على العقل ، قال كارل ماركس (لايمكن فصل الفكر عن المادة المفكرة، فان هذه المادة هي جوهر كل التغيرات) [2] وقال انجلز (ان شعورنا وفكرنا مهما ظهرا لنا متعاليين ليس سوى نتاج عضو مادي

---

١ المادية اليالكتيكية والمادية التاريخية، ستالين، مكتبة النهضة، بغداد ١٩٧١م ص ٨٣ ان اول من قال بالفلسفة المادية هو الفليلسوف اليوناني ديمقريطس الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد ، وتقول نظريته الذرية ان المادة عبارة عن جزيئات صغيرة صلبة لاتقبل التغير والانقسام – جوهر – اما الظواهر الطبيعية كالانسان والحيوان والنبات فهي ناتجة من انتقال تلك الجواهر من مكان الى مكان وكل حركات المادة مفروضة عليها وليس نابعة من ذاتها وصميمها، فالريح تحرك الهواء والهواء يحرك الماء والماء يحرك النبات وان ادوات الحس تنقل الخارج الى الذهن فالعين تنقل صورة الاشياء الى الذهن والاذن تنقل الصوت وهكذا وقد عرف هذا المنظور بالاتجاه المادي الميكانيكي وعلى ضوء هذا المنهج وباتجاه مغاير قال ماركس وانجلز نظريتهم في الخلق و المعرفة فقالا ان الحركة في المادة امر ذاتي نابع من صميمها ولا تفرض من عامل خارج عنها

٢ المصدر السابق ص ١٩

جسدي هو الدماغ)[1] قال العالم الروسي لجاكوب (ان حقيقة العلم هي القوانين التي نراها خلال الواقع)[2]

المادية الجدلية في الميزان

ان النظرية الجدلية في المعرفة سطحية خالية من العمق مليئة بالتناقضات والثغرات وسنذكر أهم الإنتقادات التي وجهت لها بايجاز :

١) الانعكاس :ان الانعكاس الفيزيائي اذا تحول الى فسلجي لايبرر المعرفة أو يفسرها ٠ ان صور الاشياء اذا انطبعت في اذهاننا كاشباح متحركة ستكون اشبه بممارسة تمارين رياضية امام المرآة ٠ والمرآة لاتدرك ولا تقرر وليس لها ارادة التأويل٠ان المعرفة ليست من خواص المادة والا اتصفت كل مادة بالادراك ٠ ان ما يحصل للمعلومات الحسية في الذهن انها تدخل كمواد خام ثم تخرج الى العالم الخارجي بقرار منظم له ارادة وفائدة يمكن تشبيهه بالشجرة التي تتسلم الضوء والاملاح والنتروجين فتمزج هذه الاشياء وتخرج الينا الثمر في حين تقول النظرية الجدلية إن هذه المواد : الضوء والاملاح والنتروجين هي التي تصنع الثمر : فالوليد لايعادل مكوناته الكيمياوية وفي حقيقة الامر ان للشجرة شخصية روحية مادية خلاقة وكذلك الفكرة لاتعادل مواد الحس الداخلة الى الدماغ فالانعكاس لايمكن ان يكون سببا للادراك او المعرفة ٠

٢) استحالة انطباع الكبير في الصغير: قال صدر المتألهين الشيرازي (اننا نتصور جبالا شاهقة وكواكب عظيمة فلو كان محل هذه الاشياء مقدم الدماغ

---

١ لودفيج فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية، فردريك انجلز، ترجمة جورج استور منشورات الفكر الجديد بيروت ١٩٩٥م ص ٥٧ /

٢ مجلة العلوم البيروتية، حزيران سنة ١٩٦٣م

لوجب ان تحصل تلك الامور فيه وانطباع العظيم في الصغير مما لايخفى بطلانه)[١] ومن ثم فأن مقدم الدماغ هو مظهر معد لمشاهدة النفس تلك الصور والاشباح في عالم المثال الاعظم وان قلتم ان ملايين الصور تختزل في الحاسبة الالكترونية فان هذه الصور خالية من الادراك ٠

٣) التغير:(ان التغير وعدم الثبات من ابرز خواص المادة كما تؤمن الماركسية ويقول علماء الاحياء ان الخلايا تتغير ملايين المرات في الثانية الواحدة فلماذا يكون الفكر ثابتا ؟ اليس هذا دليلا على تجرد الفكر عن الدماغ ؟ ولو كان الفكر جزء من المادة لحدث النسيان في كل لحظة لجميع المعلومات السابقة، واذا رجع الانسان الى ما مضى من حياته يجد ان شعوره ثابت بذاته لم يتغير بمرور السنين وتبدل الظروف والاحوال)[٢] منذ الطفولة حتى الكهولة ،ان الذاكرة هي السؤال الاهم الذي تهربت النظرية الماركسية الجدلية من التطرق اليه وحيرها فهي عاجزة امام هذا السؤال الكبير؟!

٤)النسبي والمطلق : ان قانون الديالكتيك [٣] يلزم ان الحقائق تتغير دائما فلا توجد عقائد ولا احكام ولا قوانين علمية ولا فلسفات لانها خاضعة لقانون التبدل ومن ثم هل النظرية الجدلية نفسها عرضة للتبدل والتغير او لا ؟ هل هي حقيقة مطلقة أو حقيقة جدلية ؟ فاذا قال اصحابها انها حقيقة جدلية متطورة فينبغي ان تتغير وتتبدل وهذا غير حاصل لانها ثابتة منذ عشرات

---

١ الاسفار الاربعة، صدر المتألهين الشيرازي، مصدر سابق، ج ٣ ص ٤٧٥

٢ اصول الفلسفة، العلامة محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الامام الصادق ايران قم، ط٢،، ١٤١٤ هـ، ص ١٣٧

٣ الديالكتيك : كلمة يونانية معناها اللغوي فن الحوار والمناقشة من خلال السؤال والجواب ٠ انظر الموسوعة الفلسفية، عبدالرحمن بدوي، مصدر سابق ج ١ ص ٤٨٦

السنين ، وان قالوا بانها حقيقة مطلقة ثابتة فقد اعترفوا بوجود الحقائق المطلقة الثابتة !

٥) ثبات القوانين : إن القوانين الرياضية والاخلاقية والظواهرالوجدانية والبدهيات العقلية ثابتة لاتتغير منذ مئات السنين حتى اليوم و لاتخضع لقانون التطور الديالكتيكي ذلك ان (٢+ ٢= ٤) ثابتة منذ فجر التفكير البشري حتى يومنا هذا وكذلك (حب الخير وبغض الشر) أو (ان الكل اكبر من الجزء)

٦) المعيار: ماهو معيار تشخيص الخطأ والصواب في المذهب الجدلي اليس هو التجربة العلمية ، الا ان هذا المعيار عقيم تماما لان التجربة نفسها لاتدرك بالحس بل بالاسس العقلية الاولية البدهية ، ان مفاهيم رئيسة لايمكن ادراكها بالحس المجرد مثل العلة والمعلول والضرورة والامكان ولايمكن لاي جهاز حسي ان يدركها ولاننسى التذكير بان الحيوان يمتلك الاجهزة الحسية نفسها التي يمتلكها الانسان كذلك فان هذا المفهوم ينطبق على ماهية التمييز بين الاضداد مثل الحق والباطل الفجور والتقوى ، الحب والبغض ومئات من هذه النظائر التي لاتستطيع النظرية الجدلية الاجابة عليها ،

٧) التأثير الوراثي في المعرفة البشرية: انها احدى المشكلات الكبرى لهذه النظرية فماذا تقول نظرية الانعكاس عن هذا التشابه العجيب بين الاخوة في تصرفاتهم وطباعهم وكذلك الامر بين ألاجداد والابناء والاحفاد ؟

٧) اذا كان العامل الاقتصادي هو المحرك للتاريخ الانساني وان الفكر ليس الا انعكاسا للصراع الاقتصادي الطبقي فسيكون للفقير لون من التفكير والاعتقاد يختلف عن لون التفكير والاعتقاد الذي يفكر به الغني فهل ترى النظرية الجدلية ان الغني مثلا يرى ان الكذب من مكارم الاخلاق في حين

يعتقد الفقير ان الصدق من مكارم الاخلاق هل تتغير القيم الاخلاقية والوجدانية تبعا للمستوى المعيشي الذي يمر به الفرد ؟

٨)(ان للانسان جانبين احدهما مادي يتمثل في تركيبه العضوي والآخر روحي لامادي وهو مسرح النشاط الفكري والعقلي فليس الانسان مجرد مادة معقدة وانما هو مزدوج الشخصية من عنصر مادي وآخر لامادي وان العلاقة بينهما وثيقة حتى ان احدهما يؤثر في الآخر باستمرار فاذا رأى الشخص شبحا في الظلام اعترته القشعريرة فهذا من اثر الروح في الجسم واذا دبت الشيخوخة في الجسد وهن النشاط العقلي وهذا من اثر الجسد في الروح) [١]

انا في هذا الفصل المقتضب لانريد ان نتابع بشمولية ثغرات هذه النظرية الفاشلة في تفسير الادراك البشري و في تطور المعرفة لانه سيخرج الدراسة عن خطها العام ، بل استعرضنا بعض الصعوبات التي واجهتها وثبت من خلالها ان النظرية الجدلية في المعرفة هي ادعاءات علمية ضخمة براقة قائمة على أسس واهية لاتصمد في مسرح التفكير المنظم.

١٣ـ نظرية الاثارة والاستجابة

وتسمى أيضا نظرية السلوك ومن رواد هذه النظرية عالم الفسلجة الروسي بافلوف(١٨٤٩ – ١٩٣٦م) وعالم النفس الامريكي ثورندايك (١٨٧٤ – ١٩٤٩م) وهي واحدة من اشهر نظريات علم الفسلجة في تحليل او تفسير المعرفة وقبل ان نشرحها سنستعرض تعريف جيتس للتعلم يقول (يمكن تعريف التعلم بأنه تغير السلوك تغيرا تقدميا يتصف من جهة بتمثل مستمر للوضع ومن جهة اخرى بجهود متكررة يبذلها الفرد للاستجابة لهذا الوضع استجابة

---

١ فلسفتنا، محمد باقر الصدر، مصدر سابق ص ٣٦٩

مثمرة وبعبارة اخرى : ان العلم احراز طرائق ترضي الدوافع وتحقق الغايات)[١] (ان المثير م مرتبط بالاستجابة س أو يقود اليها فالبيئة تحتوي على منابع للطاقة تؤثر في حواس الكائنات الحية ونحن نسمي هذه المنابع المثيرة بالمؤثرات فالموجات الضوئية تقع على العين فترى والموجات الصوتية تقع على الاذن فتسمع والمثيرات الكيمياوية تقع على اللسان فتتذوق وهذه الاستجابات فطرية ٠أما التعلم فان الانسان يقترب من هذه المؤثرات ويستقرئها فيرتب العلاقات بين المثيرات والاستجابات وهكذا يكون فن التعلم) [٢] ان الادوات الفسلجية التي نسميها المنعكسات الشرطية الغرائز تقع في المراكز الدماغية التي تقع تحت المخ وفي الحبل الشوكي حسب درجة تعقدها وهي تقدم استجابات فطرية ازاء منبهات بيئية) [٣] (وثبت من خلال التجارب والاختبارات ان القشرة الدماغية مقسمة على مناطق مخية متعددة تسهم بدرجات مختلفة وتم عن طريق مختبرات التشريح والتجارب تشخيص مناطق محددة للابصار والسمع والكلام والحركة والخلل العصبي ٠ وهناك خلايا دماغية مختصة بالاصوات والالوان والروائح وغيرها تصل اليها رسائل الاعصاب من مختلف التاثيرات البيئية فتتحول التاثيرات الفيزيائية الى فسلجية عند وصولها الى المراكز المخية تعمل بطريقة الاثارة والاستجابة)[٤] (فاذا علمنا ان الكائن

---

١ اصول علم النفس وتطبيقاته، فاخر عاقل، دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٣ م، ص ٣٤٠

٢ المصدر نفسه ص٣٤٠

٣ طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف، نوري جعفر، مكتبة التحرير بغداد ١٩٧٨م، ص ٤١٥ ومن الجدير بالذكر ان بافلوف قام بتجارب مستمرة على مدى خمسين سنة اثبت من خلالها مئات الارقام المحددة لكل نقطة مخية ودورها السمعي او الحركي او المعرفي كما بحث مختلف التاثيرات الغذائية والحرارية والميكانيكية والنفسية على المراكز المخية التي حددها ٠ وتعتبر تجارب ثورندايك على الحيوانات والقطط رديفة لتجارب بافلوف

٤ المصدر نفسه ص ٤١٥

الحي متماسك بتلاحم مع ظروف وجوده)[١] فينتج من ذلك ادراك شامل لطبيعة الاشياء ٠ إن هذه النظرية لاتخلو من الثغرات ويمكن اجمالها بالآتي

١) ان مجرد الوصف الخارجي السطحي العام للتاثير والاستجابة لايكفي لتفسير المعرفة وإن افترضنا صحة هذه النظرية فاذا قال احد ما ان مجرد الضغط على زر الكاميرا يجعلها تخرج الصور الجميلة لانني رأيت ذلك الامر بأم عيني فاننا لو صدقناه وهو صادق فيما رأى فذلك لايفهم منه انه عرف ماهية اجزاء آلة التصوير وطبيعة حركتها وسراختراعها من خلال هذه النظرة السطحية للكاميرا .

٢) (ان الفكرة في هذه النظرية مرتبطة بمنبهاتها لابدليلها فمن الجائز ان تتبدل الفكرة بفكرة اخرى مناقضة اذا اختلف المنبه والشرط الخارجي ٠ وعبثا مناقشة المفكر في فكرته وادلتها وانما يجب الفحص عن المنبهات المادية لتلك الفكرة وازالتها)[٢] فاذا اكل شخص ما خروفا مشويا سيرى الصدق احد اركان الخير أما اذا اكل سمكة مشوية لابد ان يرى الصدق احد اركان الشر تبعا لطبيعة المنبه وقد يرى ٣+٣= ٦ اذا أكل طماطة وتتحول ٣+٣=٨ اذا أكل بطاطة

٣) (ان هذه النظرية للمعرفة تجعل ولادة الافكار اشبه بعمليات الهضم فلايمكن التحقيق في صواب أو خطأ اية فكرة فلا نستطيع ان نتساءل عن ايهما على صواب مادية ابيقور او الهية ارسطو ٠ نيوتن في جاذبيته أم اينشتاين في نسبيته ماركس في جدليته ام ريكاردو في استرساله لان تساؤلا كهذا وفي ضوء هذه النظرية شبيه تماما بالتساؤل الآتي : ايهما الصحيح عمليات الهضم عند

---

١ المصدر نفسه ص ٣٦

٢ فلسفتنا، محمد باقر الصدر، مصدر سابق ص ١٥٠

أبيقور ونيوتن وماركس او عند ارسطو واينشتاين وريكاردو ٠ فافكار هؤلاء المفكرين كعمليات الهضم في مِعَدهم ليست الا وظائف جسمية ونشاطات عضوية ومادام لايجوز ان نتساءل عن نشاط المعدة هل هو صادق او كاذب فكذلك بالنسبة الى النشاط الفكري)[١]

٤) (اذا كان الادراك عملية فسلجية خالصة وتفاعل مادي خاص بين الخلايا المخية والاشياء المادية الحسية فيجب ان تكون كيفية عمل هذه الخلايا المخية مرتبط بطبيعة الاحساس من دون زيادة فمن أين جاء الادراك ؟)[٢] وهو شيء آخر مختلف عن هذه المكونات أو المنبهات أو الاثارات والاستجابات ٠

٥) لاتستطيع نظرية الاثارة هذه ان تجيب على التساؤل الذي يقول : كيف يميز الانسان بين الاضداد ٠ الحق والباطل ٠ الخير والشر ٠ الجمال والقبح وغيرها الكثير لانها أي هذه النظرية عدت الانسان بوصفه آلة ميكانيكية لايوجد لديها شعور ٠ وماذا يقول عن صدور المتناقضات من رجل واحد في موقف واحد؟ ولنأخذ مثال من ارض الواقع : ويعد من الظواهر العجيبة التي حيرت علماء النفس مجتمعين وهو صدور المتناقضات عن الشخص الواحد قي مسألة واحدة : يتقدم شاب وسيم مراهق بمحاولة ممارسة الجنس من دون علمك مع شقيقتك او ابنتك فيثير ذلك عندك رد فعل عاصف يهتز له كل كيانك وضميرك وجسدك ووجدانك وقد يكون الانفعال هستيريا قاتلا ، وعندما يأتي ذلك الشاب خاطبا تلك الفتاة لغرض الزواج يتلقاه ذلك الرجل نفسه بعقل هادىء وصدر رحب مع ان الموضوع واحد ٠ ماذا يجيب بافلوف ؟

---

١ المصدر السابق ص ١٤٩

٢ المصدر نفسه ص ١٥٠

٦) لاتستطيع هذه النظرية تفسير الذاكرة البشرية التي تتكون من مليارات الصور والمفاهيم والذكريات ، فلا يوجد أي مساحة لتأويل الذاكرة التي هي واحدة من اهم ادوات المعرفة ،

والخلاصة : ان تجارب بافلوف المختبرية والميدانية والنفسية لاكتشاف الاثر الفسلجي للوعي البشري على خلايا المخ تحقق فوائد علمية وطبية لاغبار عليها ولكن تفسير المعرفة بهذه الطريقة السطحية الساذجة امر لايقبله كل ذي عقل لبيب .

١٤ـ نظرية السيل الشعوري

رائدها ومهندسها الفيلسوف وعالم النفس الامريكي وليم جيمس (١٨٤٢- ١٩١٥م)[١] تقول هذه النظرية (ان المعرفة قائمة على اساس التجربة التي تعطينا تيارا من الشعور سيالا مثل النهر الجاري وليس تيارا من الذرات المنفصلة التي رص بعضها مع البعض كقطع الموزاييك ، ان تيار الشعور تتداخل فيه الاشياء بعضها في بعض زمانا ومكانا ويتداخل فيها السابق واللاحق وكل شيء فيه يسيل ويتدفق ، صحيح ان التجربة تميل الى ان تتكدس وتغلظ على هيئة جواهر ولكن هذه المواد تميل الى ان تنصهر في بعضها البعض لتصبح مادة سائلة تغلظ بدورها على شكل مواد جديدة)[٢]

وامام هذه النظرية اسئلة لاتستطيع الاجابة عنها وهي (لماذا تتحد التجربة في كتل ؟ ولماذا تكون اسمك واصلب ههنا مما هي هنالك ؟ وكيف

---

١ عالم نفساني وفيلسوف برجماتي امريكي تتلخص فلسفته بالبحث عما هو مفيد في حياة الانسان وسلوكه وفكره وترك ماغير ذلك ويطبق هذا المبدأ على جميع الوان المعرفة ، انظر الموسوعة الفلسفية، عبدالرحمن بدوي ج١ ص٤٥٠

٢ المصدر نفسه ج ١ ص ٤٤٨

تؤلف عالما ؟ ولماذا تكون هذا العالم بالذات من دون غيره ؟ وكيف توجد افكار تعبر عن نفسها ؟ ولماذا نقول عن بعض هذه الافكار انها صحيحة ونقول عن بعضها الآخر انها باطلة ؟

ويجيب وليم جيمس : ان عالم الاشياء هو من صنعنا نحن البشر ذلك ان الشعور يتجلى عن اهتمام وانتباه ، انه ارادي وحسي معا فهو ليس فقط يحس بل هو يؤثر بعضه في بعضه الآخر ويكره ويحب ويتلبث عند بعض مضمونه ويرفض الآخر أو ينساه ويسقطه فما ينتقيه ويؤثره ويختاره يعده حقيقيا وحيويا وما يرفضه وينبذه يعده غير مهم نسبيا وغير حقيقي)[1]

ان تبرير السيد وليم جيمس هذا فاشل تماما لان مضمون الشعور لايتألف من معطيات الحس الحاضرة مباشرة بل يوجد الى جانب التجربة التي نعانيها الآن في الحاضر افكار تمكننا الذاكرة والمخيلة من استخراجها من الادراكات الحسية، وهذه الافكار تنهل من امور تتجاوز التجربة الحسية الحاضرة وتزودنا بمعرفة عن تجربة ماضية واخرى مستقبلية، فالفكرة المُدركة لاتنحصر في الفعل الحاضر الآني، بل لها علاقات مع مايسبقها وما يتلوها)[2] يتبين من هذه المداخلة ان نظرية السيل الشعوري لاتستطيع الصمود مع وجود هذه المنعطفات الصعبة والاسئلة المحيرة .

---

[1] المصدر نفسه

[2] الموسوعة الفلسفية، عبدالرحمن بدوي، مصدر سابق ج ١ ص ٤٤٨

١٥ ـ نظرية المعرفة العلمية

مفاد هذه النظرية (ان كل معرفة متقدمة تكون مقدمة لحصول معرفة أوسع وأكمل . فاذا لاحظ مريض ما مبتلى بالصداع مثلا انه قد بريء عند استعمال عشبة طبية معينة فهذه هي المرحلة الحسية فاذا تكرر العلاج مرات عدة واثبت انه مبرأ من الصداع فيستنتج قانون أو قاعدة علمية عامة وهذه هي المرحلة العلمية، أما المرحلة الفلسفية فهي عبارة عن المعرفة العامة المنتزعة من غالب العلوم وهي معرفة فوق المعرفة العلمية تجمع القوانين العلمية في تصور عام كما هي قوانين العلوم الفيزيائية والكيميائية والعلاقات المسيطرة عليها) [١]
ويؤاخذ على هذه النظرية :

١) ان هذه المراحل للمعرفة لايمكن انكارها ولكن المعرفة العلمية تتم عن طريق التجربة التي تحتاج بدورها الى الميزان العقلي لان التجربة بذاتها لاتعطي قانونا في مجال العلم ولو تكررت ملايين المرات . فلولا الميزان العقلي لما امكن للتجربة الوصول الى المرحلة العلمية.

٢) ان المعرفة الفلسفية تختلف عن المعرفة العلمية لان الاولى تبحث في مواضيع عامة غير مقيدة بقانون ولاعلاقة لها بالتجربة المادية في حين ان المعرفة العلمية قائمة على اساس خواص المواد كماهو ملاحظ في علم الفيزياء وعلم الكيمياء مثلا ومن ثم لايمكن ان تؤدي المعرفة العلمية حتما الى المعرفة الفلسفية.

٣) ان المراحل الحسية والعلمية والفلسفية لايمكن لها ان تكون ذات قيمة معرفية لولا وجود المباديء العقلية الاولية . فهي لاتاتي بعفوية مفروضة من المجهول وانما تعتمد في اصل تكونها على اسس راسخة للتفكير والاستنباط .

---

١ نظرية المعرفة : جعفر السبحاني، مصدر سابق ص ١٩٥

٤) لايمكن القطع بان جميع المعارف تمر بالمراحل الثلاث المذكورة آنفا ان مباديء الرياضيات لايمكن ان تمر بالمراحل الحسية والعلمية والفلسفية ذلك ان ١+١= ٢ سواءا كنت عالما أم جاهلا أم شاعرا ام كاتبا، ان هذه الحقيقة مثلا راسخة منذ فجر التفكير البشري ولا يمكن تصنيفها الى أي مرحلة، وكذلك المعارف الوجدانية كحب الخير وبغض الشر وحب الجمال وبغض القبح الخ

والخلاصة : ان نظرية المعرفة العلمية تصف الشكل الخارجي لبعض حالات المعرفة من دون ان تصل الى الخيوط الاولية للتفكير أو الينبوع العام للادراك ان هذه النظرية السطحية لاتعطي تفسيرا لسؤال هذه الدراسة وهو كيف تدرك النفس حقائق الاشياء ؟

١٦ ـ نظرية تداعي المعاني

رائدها فيلسوف اسكتلندة الاكبر دافيد هيوم (١٧١١- ١٧٧٦م)[1] وتقول (ان الذهن هو مجرد اداة استقبال الانطباعات من الحواس ، والافكار في الذهن هي صور ضعيفة خافتة وعندما تاتي انطباعات جديدة شديدة فانها تقوم بزيادة أو انقاص الصور الضعيفة، نحن نفكر على اساس البيانات التي تقدمها لنا الحواس واي نقص في احد اعضاء الحس يوازيه نقص في عالم الافكار، واي افكار مجردة لم يكن لها حس يدعمها علينا الشك في قيمتها ، ان الانطباعات ترتبط فيما بينها بارتباط منظم وهذا الارتباط نلاحظه بوضوح في حالات الانتباه الشديدة وفي الاحلام والخيال ، ان المعرفة البشرية هي وقائع واضافات ، الوقائع تاتي من العالم الخارجي والاضافات هي نقائض الوقائع

١ فيلسوف ومؤرخ انجليزي لديه افكار خاصة يقول فيها ان العناية الالهية وخلود النفس وسائر صفات الله وكل قصة الخلق التي تؤمن بها الديانات هي مجرد خرافة ، انظر الموسوعة الفلسفية، عبدالرحمن بدوي، مصدر سابق ج ٢ ص ٦١٢

• فالقوانين تكتشف بالتجربة ولايمكن اكتشافها بالتأمل النظري وحتى العلة والمعلول هي امور تقررها وقائع الطبيعة ذاتها فلا شيء يبين لنا ان البخار ينتج من توجيه الحرارة الى السائل الا العلاقة بين الاسباب والآثار التي تتوضح لنا من نتاج العادة والتكرار والتجربة • فالطفل الذي تحترق يده حين يقربها من النار نراه يحجم ثانية عن ان يفعل الفعل نفسه والعادة اكبر منار في حياة الانسان •اما الاعتقاد فهو نتاج تجارب سابقة ولاحقة ذكريات واحساسات جديدة اضعف شدة واقوى شدة •أما معيار التمييز بين الحقائق والاوهام فهو ان الاوهام لاتلاقي الطبيعة ولاتنسجم معها في حين ان الحقائق تلاقي الطبيعة وتنسجم معها وتلائمها • ان جوهر التفكير هو الحس ومباديء التداعي بين الافكار)[١] (انك ترى كرة البلياردو تتحرك فتصادف كرة اخرى فتتحرك هذه • وليس في حركة الاولى ما يدل على ضرورة تحرك الثانية•فاذا قامت عملية عقلية فانها تستدعي دائما عملية اخرى تتبعها من دون تخلف فينمو بين العمليتين بمضي الزمان رابطة قوية هي رابطة تداعي المعاني وهكذا هي حركة الافكار)[٢] (والدين في حقيقته ضرب من الفلسفة فالاساس هو الحس ومباديء التداعي بين الافكار اما حياة ما بعد الموت فهي فكرة خيالية لا يوجد احساس سابق يؤيد وجودها اما الاخلاق فهي ناتجة عن ١- التعاطف بين الناس ٢- عادات تيسر للانسان العيش ٣- تعبيرات عن الغرائز المشتركة بين الناس جميعا)[٣] ويلاحظ على هذه النظرية :

---

١ تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، مصدر سابق ص ١٧٠

٢ فلسفتنا، محمد باقر الصدر، مصدر سابق ص ٦٥

٣ تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، مصدر سابق ص ١٧٠

١) (ان قانون تداعي المعاني نفسه هل هو حقيقة اولية عقلية ثابتة او قابلة للذوبان والتداعي في معان جديدة فاذا كان قانونا عقليا اوليا ثابتا فقد ثبت وجود القوانين الاولية واذا كان لم يتكامل حتى اليوم شكل القانون الاولي فهو ليس جديرا بالدراسة لانه لم يكتسب صفة ما) [١]

٢) ان هذا القانون يعني ان القوانين العلمية والمنطقية والاخلاقية والرياضية تتهشم كل حين لانها لاتمتلك صفة الثبات بسبب هذا التداعي المستمر للمعاني • وهذا غير حاصل لان مفاهيم مثل الخير والشر والخطأ والصواب والجمال والقبح او المباديء الرياضية لم يشملها قانون التداعي منذ مئات خلت من السنين حتى يومنا هذا • مما يثبت ان التداعي في المعاني ليس اساس ولادة الفكر البشري

٣) (ان هيوم اعترف ضمنا بوجود علاقة غير تجريبية بين فكرتين وهي علاقة الضرورة• فان الضرورة سواء أكانت بين فكرتين أم بين واقعين موضوعيين لايمكن اثباتها بالتجربة الحسية واذا كانت العلاقة مجرد مقارنة فلم يتحقق لهيوم ما اراد من تفسيرعنصرالضرورة في قانون العلة والمعلول) [٢] (والحقيقة التي لامجال لانكارها هي اننا نتصور مفهوم العلية سواء أصدقنا به ام لا وليس تصور العلية مركبا من تصور لشيئين متعاقبين بل هي فكرة ثالثة لم تدرك بالحس) [٣] ولولا وجود العلية فمن اين ادرك هيوم هذه العلاقة الموضوعية بين الاشياء ؟ كيف تصور هيوم هذا القانون ؟ ان الذهن هو الذي انتزع العلاقة ولم تقدم الاحساسات أي معطيات في هذا الانتزاع ومجمل القول

---

١ فلسفتنا، محمد باقر الصدر، مصدر سابق ص ٦٧

٢ فلسفتنا، محمد باقر الصدر، مصدر سابق ص ٧٨

٣ المصدر نفسه ص ٦٦

: ان قانون تداعي المعاني لايفسر مصدر المعرفة ولا آليتها ولو طبقنا هذا القانون فمعناه ذوبان جميع القوانين العقلية الاولية والعلمية والمنطقية والفلسفية بوجه يمنعها من ان تتخذ أي صفة لها ومنها نظرية تداعي المعاني

١٧ـ نظرية القوة الكامنة

رائدها (الفيلسوف اليوناني الكبير ارسطو طاليس (٣٨٤ – ٣٢٢ ق م)[١] الذي وصفت مؤلفاته بأنها نهر ذهبي يفيض بالبلاغة واذا صحت مقولة ان القديم في الفلسفة لايعتق لمجرد انه قديم فاننا نعد هذه النظرية في المعرفة من احدث النظريات لاصالتها وعمقها على ما فيها من الثغرات والنظرة الاحادية العقلية للامور التي سنأتي على ذكرها تباعا في الصفحات الآتية ، لقد احتلت نظرية ارسطو موقعا مهما عند الفلاسفة الاوربيين في العصور الوسطى وعند الفلاسفة المسلمين ولاسيما ابن رشد ، ولايمكن ان نعطي هذه النظرية حقها في بحث مقتضب كهذا فهي تحتاج الى كتاب كامل ولكن وانسجاما مع الخط العام لهذه الدراسة سنكتفي بعرض العناصر المركزية فيها ، تقول نظرية القوة الكامنة

---

١ هو اعظم فيلسوف في تاريخ البشرية على الاطلاق جمع كل فروع المعرفة الانسانية في زمانه، امتاز بدقة المنهج واستقامة البراهين والاستناد الى التجربة الواقعية وهو واضع علم المنطق ومن هنا لقلب بالمعلم ، تعاطى صناعة الطب ، ولد في اسطاغيرا من مقدونيا في بلاد اليونان ثم شخص الى أثينا في عصر ازدهارالفلسفة والتحق باستاذه افلاطون نحو عشرين سنة ثم اعتزله ، له كتب قي المنطق والطبيعة والميتافيزيق والاخلاق والشعر ، لقد كان ارسطو رجل العقل والحس معا ، يعلم مدى قوة تفكيره واستعماله العقل واستخدامه الحس في المعرفة من ملاحظة موضوعات كتبه ، فإنها تنقسم على الاقسام الآتية ١- الكتب المنطقية ٢- الكتب الطبيعية ٣ – الكتب الميتافيزيقية ٤- الكتب الاخلاقية ٥- الكتب الشعرية فكل هذا يكشف عن كونه رجلا منهجيا معترفا بالحس والعقل، الموسوعة الفلسفية، بدوي، مصدر سابق

(أن حب الاستطلاع شيء فطري كامن فينا ، فالمعرفة شيء نشتهيه بالفطرة) [1] (فالناس بطبيعتهم يرغبون في المعرفة والدليل هو تلك اللذة التي تنشأ عن المعلومات الحسية التي نحصل عليها ولاسيما حس البصر لانه الاقدر على جعلنا نحصل على قدرٍ اكبر من المعرفة) [2] (ومثلما توجد الشجرة بالقوة في البذرة فان حب الاستطلاع موجود بالقوة في ذهن الانسان وان ما يأتي به الغد خير مما لدينا اليوم وما لدينا اليوم هو خير مما بالامس اننا سائرون سيرا تقدميا الى الامام هكذا هو الكون يرتقي الى ما هو احسن وكذلك انفسنا ومعارفنا انها حركة دائمة غايتها الارتقاء من خلال الاستزادة ومحركها اللذة التي تجمع الناحية الادراكية والناحية التحريكية فعل وهي تحقيق لفعل وهي صفة مستمرة خارجة عن الزمان اساسها الميل او الشهوة او الرغبة في تحقيق الفعل فاذا ما تحقق الفعل المعرفي انتج ذلك لذة وإذا لم يتفق مع غاية الطبيعة انتج ذلك الما) [3] (ان مصدر كل معرفة هو التجربة الحسية وان الاحساسات تستمر حتى تصبح عادة بعدها تتحول الى مفهوم عام أو تصور) [4] و(ان هناك مباديء اولية وقوانين فكرية ثابتة في الذهن هي عبارة عن جوهر يوضح لنا الكمية والكيفية والزمان والمكان والاجناس والانواع يمكن ارجاعها الى الميتافيزيق نفهم من خلالها صفات الاشياء السالبة والموجبة) [5] (أما الفكر فله قسمان هما العقل المنفعل الذي يستقبل الصور الحسية والعقل الفعال الذي

---

١ تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، مصدر سابق ص ٢٢٠

٢ الموسوعة الفلسفية، عبدالرحمن بدوي، مصدر سابق ج ١ ص ١٢١

٣ المصدر نفسه

٤ المصدر نفسه ص ١٢٠

٥ تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، مصدر سابق ص ٢٢٠

ينقل حالة الصور بالقوة الى حالة الصور بالفعل)[١] (ان العقل الفعال بمثابة النور الذي يضيء لنا المعقولات) [٢] و(ان محور الارتكاز في المعرفة هو انتقال المعرفة بالقوة الى المعرفة بالفعل) [٣] وبعبارة اوضح (ان قوى النفس مقسمة على قسمين مُدركة ومحركة) (أما الذاكرة فهي عبارة عن الآثار التي يتركها الحس) [٤]

وقد سجل الباحثون ثغرات وتناقضات مهمة على نظرية ارسطو وقبل ان نعِرض لهذه الطعونات نقول:

لعل احد تعاريف الفلسفة (هي العلم ببعض الاسباب وبعض المباديء)[٥] ان هذا القول ينطبق على نظرية ارسطو في المعرفة تمام الانطباق لان الفلاسفة يدرسون الصفات الظاهرية ويأخذون الموجود بما هو موجود ولايشذ الفيلسوف ارسطو عن هذه القاعدة فان تفكيره محصور في المنظور الفلسفي العقلي الصرف لذلك مهما سمت الفلسفة وروادها لابد من وجود صعوبات جدية وتناقضات في نظرياتهم وعلى صعيد نظرية القوة الكامنة نلاحظ الآتي

١) (ان الصعوبة الكبرى في نظرية القوة الكامنة هي مفهوم العقل الفعال فاننا نجد ارسطو من ناحية يقول ان كل معرفة مرتبطة بمعرفة حسية في حين نجده من ناحية اخرى يقول إن المعرفة صادرة عن صور عقلية وإن مصدر هذه الصور العقلية صور خالصة أي عارية عن كل مادة) [٦] (فالعقل المنفعل

---

١ الموسوعة الفلسفية، عبدالرحمن بدوي، مصدر سابق ج ١ ص ١٢٠

٢ المصدر نفسه ص ٤١٨ وهذا النص لاحد شراح ارسطو وهو الاسكندر الافروديسي

٣ المصدر نفسه ص ١٢٠

٤ المصدر نفسه ص ١١٩

٥ المصدر السابق ص ١٠٢

٦ المصدر نفسه ج ١ ص ١٢١

والعقل الفعال هما صور خالصة أو ماهية تامة وهذا خروج تام عن منطقة الحس)[١] (ان ارسطو كان عقليا اكثر بكثير جدا مما يتوهم في أول الامر) [٢] (وقد وقع في تناقض واضح بين الحسية الخالصة وبين العقلية المجردة) [٣]

٢) الذاكرة هي الصعوبة الثانية : فهو يقول (الذاكرة هي عبارة عن الآثار التي يتركها الحس بيد ان الشراح ولاسيما الاسكندر الافروديسي يلاحظون ان ارسطو لم يجعل للذاكرة هذه الوظيفة السهلة فحسب التي لاتتجاوز الآثار الباقية من اشياء حسية وانما زاد عليها صفة الفعل كذلك فجعل الذاكرة تفعل بمعنى تنتج صورا بان يركبها بعضها مع بعض) [٤]

٣) ان نظرية القوة الكامنة(لم تشرح آلية الاتصال بين الجسم المادي وبين الصور الخالصة) [٥]

٤) ان ارسطو كان اسيرا لمهنته كفيلسوف فقد حصر المعرفة بالعقل والحس فقط من دون حساب لأهمية الفطرة الانسانية والوراثة والرؤيا المنامية والكتب السماوية والمعارف الروحية الخاصة فمثلا لو ان شخصا رأى في المنام ان جاره قد مات وعندما استيقظ في الصباح وجد ان جاره قد مات فعلا ٠ ان هذه الرؤيا وامثالها تحصل مئات المرات فهل تستطيع نظرية القوة الكامنة تفسيرها ؟ وخلاصة القول : ان نظرية القوة الكامنة تعد من اعظم نظريات الفلاسفة واكثرها اقترابا من الحقيقة ولكنها احادية ضيقة وفيها تناقضات صارخة٠

---

١ المصدر نفسه ص ١٢٠

٢ المصدر نفسه ص ١٢٠

٣ المصدر نفسه ص ١٢١

٤ المصدر نفسه ص ١١٩

٥ المصدر نفسه ص ١٢١



الفصل الثاني

نظرية المعرفة في القرآن الكريم



تمهيد

ان نظرية المعرفة انعكاس لنظرية الحياة أي نظرة الانسان الى الخلق والكون والحياة ويعد القرآن عقيدة لمئات الملايين من البشر على هذا الكوكب ومنذ مئات من السنين خلت، ومن اسس هذه العقيدة إن الخالق هو الله وهو مبدع العالم بما فيه من كواكب ونجوم وجبال وماء ومخلوقات إن الوجود في نظر القرآن قسمان

الاول : مادي يشمل الامور المادية المحسوسة كالشجر والسماء والارض والماء وكل ما يحيط بنا وندركه بحواسنا في هذا الكون الفسيح ،

الثاني ؛ مجرد أو غائب عن حواسنا المباشرة ويشمل الملائكة والجن والبرزخ والقيامة والآخرة والجنة والنار والثواب والعقاب ،

وإن الله هو مصدر الحقائق المطلقة (الآيات) التي نزلت في القرآن التي يعجز الانسان عن تقليدها وتفنيدها (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)١ ان الاعجاز القرآني يعطي لنصوصه صفة الحقيقة التامة الكاملة المطلقة لذلك سنتعامل مع آيات القرآن الكريم من هذه القاعدة الفكرية العقائدية العامة، وللقرآن نظرية في الحياة تقول ان الانسان غير محدد بالامور المادية الحسية المنظورة فقط بل له روح مجردة،ان معرفة النفس مورد دعا له القرآن الكريم في قوله(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) ٢ وهناك آيات كثيرة وأحاديث شريفة تشكل في مجموعها نظرية متكاملة في المعرفة (دخل على رسول الله رجل أسمه مجاشع فقال : يارسول الله كيف الطريق الى معرفة الحق؟ فقال- ص-

---

١سورة الاسراء الآية ٨٨

٢ سورة الذاريات الآية ٢١

معرفة النفس)١ كما ورد عن الامام علي بن ابي طالب(ع) قوله (من عرف نفسه فقد انتهى الى غاية كل معرفة وعلم)٢ و(الجاهل بمعرفة نفسه جاهل بكل شيء)٣

١ـ مصطلح المعرفة في المنظور القرآني

{ المعرفة والعرفان إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره وهو أخص من العلم ويضاده الانكار ويقال فلان يعرف الله ولايقال يعلم الله متعديا الى مفعول واحد لأن معرفة البشر لله هي بتدبر آثاره دون إدراك ذاته قال تعالى (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا)[٤] (فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ)[٥] ويضاد المعرفة الانكار والعلم والجهل قال(يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا)[٦] والعارف في تعارف قوم هو المختص بمعرفة الله ومعرفة ملكوته وحسن معاملته تعالى، والعريف من يعرف الناس ويُعرفهم ، قال الشاعر: بعثوا إلي عريفهم يتوسم

وقد عرف فلان عرافة إذا صار مختصا بذلك ، فالعريف السيد المعروف ، قال الشاعر

بل كل قوم وإن عزوا وإن كثروا عريفهم بأثافي الشر مرجوم }٧

---

١ التفسير المعين، محمد هويدي، مصدر سابق ص ٥٧٧

٢ غرر الحكم، الآمدي، مصدر سابق ج١ ص ٢٠٠

٣ المصدر نفسه

[٤] سورة البقرة الآية ٨٩

[٥] سورة يوسف الآية ٥٨

[٦] سورة النحل الآية ٨٣

٧ المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، دار المعرفة لبنان – بيروت ٢٠٠٥ م ص ٣٣٤

لقد اهتم القرآن بالمعرفة ومصادرها ومراحلها وطرائقها وضوابطها اهتماما بالغا في ثنايا آياته وقد درسناها في خطوطها العامة بعد ملاحظة جهود فقهاء المسلمين في هذا المضمار وملاحظة كتب التفسير{ الفسر : إظهار المعنى المعقول والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ وغريبها}١ وأول ما يلاحظه الباحث في نظرية القرآن الكريم هو ذلك الغنى المعرفي الهائل المتعدد الوجوه لمفردات القرآن مما يجعل الولوج في لب القرآن لاستنباط او استخلاص نظريته في المعرفة طريق مليئا بالمخاطر والعقبات لان كلمات القرآن ممزوجة بنظريته في الحياة والكون وكم هائل من التشريعات الاجتماعية والاقتصادية والعقائدية وحاولنا وسط طريق شائك وصعب صياغة نظرية المعرفة في القرآن الكريم فتجلت على الصورة المرسومة بهذا الفصل٠

٢ ـ دور الحواس في المعرفة

الحواس : جمع حاسة وقد حسبها الناس خمسة يجتمع منتوجها كحس مشترك أشبه بالمركز العام الذي تتلاقى فيه جميع الاحساسات ولكل حاسة اساس فيه فالحس (كرمز لبقية الحواس) ينقل صورة من الواقع المادي الى الدماغ ٠ العين تنقل صورة الجسم ٠ الاذن تنقل صورة الصوت ٠ الانف ينقل صورة الرائحة ٠ الجلد ينقل صورة الشيء الملموس ٠ اللسان ينقل صورة الشيء المذاق٠ وفي الحقيقة ان الحواس لاتقتصر على الحواس الخمسة المذكورة آنفا فهناك اعضاء الاحساس الداخلي فالمعدة مثلا تشعرالانسان بالجوع والعطش والرئتين تشعر الانسان بالاختناق والجلد يشعر الانسان بالالم والحرارة والبرودة وهناك احاسيس بالفرح اوالحزن ٠ وقد اجمع الفقهاء

---

١ المصدر نفسه ص٣٨١

والفلاسفة على تسمية ماتنقله هذه الاعضاء من الانطباعات البيئية والمنبهات المختلفة الميكانيكية والكيميائية والحرارية والضوئية بكلمة الحس وركزوا على الحواس الخارجية الخمسة وهي اللمس والذوق والبصر والسمع والشم التي تمنحنا تصورات من عالم الطبيعة حتى اشتهر بين جمهور الحكماء القول المأثور: ان من فقد حسا فقد علما ، وقد اهتم القرآن الكريم بتاشير اهمية الحس اهتماما واضحا وسنذكر هنا بعض ألآيات الكريمة حول مفردة الحس قال تعالى (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا)١ (فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ)٢ (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ)٣ (فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ)٤ وعلى صعيد دور الحواس الخمسة الظاهرة في صناعة المعرفة البشرية نجد في آيات القرآن الكريم تركيزا بينا على اهمية حاستي السمع والبصر ،قال تعالى (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)٥ يتبين من سياق الآيات الكريمة (إن نفس الانسان أول ما يولد تكون خالية من أية معرفة ولا تمتلك الا استعدادا للتعلم فيأتي دور الادراكات الجزئية الحسية التي هي قسم من المعرفة التي يحتاج اليها الانسان في نفسها فتعده للمعرفة الخيالية وتعده للمعرفة العقلية) ٦ فالانسان عندما خرج من بطن امه وظهر الى هذا العالم كان

---

١ سورة مريم الآية ٩٨

٢ سورة يوسف الآية ٨٧

٣ سورة آل عمران الآية ٥٢

٤ سورة الانبياء الآية ١٢

٥ سورة النحل الآية ٧٨

٦ نظرية المعرفة عند صدر المتألهين، الشيخ محمد شقير، دار الهادي، بيروت ٢٠٠١ م ص ١١٥

جاهلا غير واقف على شيء وانما صار عالما عن طريق اتصاله بالخارج عبر الاجهزة أو الادوات الحسية

السمع والبصر ٠ لقد ركز القرآن الكريم على السمع والبصر بعدهما انموذجين بارزين من دون ان يعني ذلك تجاهل ما يدرك بالشم والذوق قال تعالى (لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ)١ وعن العين الجارحة قال (وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ)[٢] (لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ)[٣] (وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ)[٤] (وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا)٥ (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايفقهون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم)٦ (كَلَمْحِ الْبَصَرِ)٧ (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ)٨ (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى)٩ وجمع البصر أبصار قال تعالى (أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ)١٠ ويتبين من نصوص القرآن الكريم ان السمع افضل من البصر ولم يعرف العلماء والفقهاء والاطباء سر هذا التقديم والتفضيل حتى اواخر القرن التاسع عشر عندما (اعلن العلماء في مجال التشريح والفيسيولوجيا ان السمع اعقد واهم من البصر لان الاعمى يفقد شكل الاشياء لكن الاصم

---

١ سورة الحاقة الآية ١٢

[٢] سورة المائدة الآية ٤٥

[٣] سورة يس الآية ٦٦

[٤] سورة التوبة الآية ٩٢

٥ سورة الاحقاف الآية ٢٦

٦ سورة الانفال الآية ٢٢

٧ سورة القمر الآية ٥٠

٨ سورة ق الآية ٢٢

٩ سورة النجم الآية ١٧

١٠ سورة الاحقاف الآية ٢٦

يفقد علاقته بالكون كما يقول بعض الحكماء وعندما ينام الانسان في الليل فان كل حواسه تنام الا حاسة السمع فأنها تبقى دائما متيقظة ولو قلبنا صفحات التاريخ القديم والحديث لم نجد من بين العلماء او النابغين احدا منهم أصم في حين نجد من بين فاقدي البصر علماء وعمالقة في الفلسفة والفنون والآداب كأبي العلاء المعري وبشار بن برد الشاعر والاديب العربي طه حسين، وفي حين نجد الاستصغار للانسان الاصم في القرآن الكريم نجده لم يقل في الاعمى الا تلطيفا وتشجيعا قال (لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)١

اللسان

{ اللسان ؛ الجارحة ؛ وقوتها وقوله (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي)[٢] يعني به من قوة لسانه فان العقدة لم تكن في الجارحة وانما كانت في قوته التي هي النطق به ويقال لكل قوم لسان ولسن بكسر اللام أي لغة قال (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ)[٣] (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)[٤] قال تعالى (أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ٠ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ)٥ وورد في الحديث الشريف قول النبي الاكرم محمد (لايسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه)٦ كما ورد إن النبي (ص) قال مخاطبا معاذ بن جبل (وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصاد ألسنتهم)٧

---

١ سورة الحج الآية ٤٦

[٢] سورة طه الآية ٢٧

[٣] سورة مريم الآية ٩٧

[٤] سورة الشعراء الآية ١٩٥

٥ سورة البلد الآيتان ٨ - ٩

٦ المجازات النبوية / الشريف الرضي، تحقيق د- طه محمد الزيني، منشورات مكتبة بصيرتي قم ج ١ ص ٣٦١

٧ أبو ذر الغفاري، محمد جواد آل الفقيه، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٨٢م ج ١١ ص ١٦

قال الشاعر ابن أبي سلمى :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبقَ إلا صورة اللحم والدم

وقال الشافعي:

لسانك لاتذكر به عورة امريء ... فكلك عورات وللناس ألسـن

وقال شاعر

ليس القدود ولا البرود فضيلة ... ماالمرء إلا قلـبه ولسانه

إن اللسـان لـه دور حيـوي في الحـس فـ (الألسـن تترجـم عمـا تجنـه الضمائر)[1] و (ما الإنسان لو لا اللسان إلا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة) [2] وقد كشفت الدراسات العلمية في السنوات الاخيرة إن اللسان مقسم على اجزاء عديدة تتوزع اختصاصاتها بالحلاوة والحموضة والملوحة ... لقد وردت في الشريعة الاسلامية الغراء نصوص عديدة بخصوص أهمية اللسان فهو لايمثل حاسة للتذوق وحسب بل هو احد الادوات الاساسية لاخراج الكلام أي تجسيد القرار المعرفي. قال النبي الاكرم محمد عليه افضل الصلاة والسلام (إذا أصبح ابن آدم اصبحت الاعضاء كلها تستكفي اللسان أي تقول : اتق الله فينا فإنك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا)٣ (يعذب الله اللسان بعذاب لايعذب به شيئا من الجوارح فيقول : أي رب عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئا من الجوارح : فيقال له خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الارض ومغاربها فسفك بها الدم الحرام وانتهب به المال الحرام وانتهك به

---

[1] غرر الحكم، الآمدي، مصدر سابق تسلسل ٤٠٢٢

[2] المصدر نفسه تسلسل ٤٠٢٩

٣ ميزان الحكمة، محمد الريشهري الناشر : دار الحديث، الطبعة ١، ١٣٢٥ هـ ج ٤ ص ١٨

الفرج الحرام)١ وعن أمير الموحدين علي عليه السلام (زلة اللسان أنكى من اصابة السنان)٢ (كم من انسان أهلكه لسان)٣ (اللسان ميزان الانسان) ٤ (ما من شيء أجلب لقلب الانسان من لسان ولا اخدع للنفس من شيطان)٥ (تكلموا تعرفوا فان المرء مخبوء تحت لسانه)٦ (ماضمر أحد شيئا الا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه)٧ وعن الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام (كان أبو ذر يقول : يامبتغي العلم ان هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك)٨

النطق ؛

{ النطق في التعارف الاصوات المقطعة التي يظهرها اللسان وتعيها الاذن قال : مالكم لاتنطقون، ولايكاد يقال الا للانسان ولايقال لغيره الا على سبيل التبع نحو الناطق والصامت فيراد بالناطق ماله صوت وبالصامت ماليس له صوت ، ولايقال للحيوانات ناطق إلا مقيدا وعلى طريق التشبيه كقول الشاعر

عجبت لها أنى يموت غناؤها   فصيحا ولم يفخر لمنطقها فما

والنطق لفظ مشترك بين القوة الانسانية التي يكون بها الكلام وبين الكلام المبرز بالصوت وقد يقال الناطق لما يدل على شيء وعلى هذا قيل لحكيم

---

١ أصول الكافي، محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني(ت ٣٢٨هـ) الطبعة الثالثة، دار صعب، بيروت، ١٤٠١هـ، ج ٢ ص ١١٥

٢ ميزان الحكمة، محمد الريشهري، مصدر سابق ج ٤ ص ٢٥

٣ المصدر نفسه

٤ المصدر نفسه

٥ المصدر نفسه

٦ نهج البلاغة، الشريف الرضي، مصدر سابق، حكمة ٣٩٢

٧ المصدر السابق حكمة ٢٦

٨ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٧١ ص ٣٠١

ماالناطق الصامت ؟ فقال ؛ الدلائل المخبرة والعبر الواعظة ٠ وقوله (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ)[١] إشارة الى انهم ليسوا من جنس الناطقين ذوي العقول ٠ وسميت اصوات الطير نطقا اعتبارا بسليمان الذي كان يفهمه(عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ)[٢] فمن فهم من شيء معنى فذلك الشيء بالاضافة اليه ناطق وان كان صامتا ٠ وبالاضافة الى من لايفهم عنه صامت وان كان ناطقا وقوله (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ)[٣] فان الكتاب ناطق لكن نطقه ندركه بالعين كما ان الكلام كتاب لكن يدركه السمع وقوله (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) }٤ ان حقيقة النطق في منظور القران الكريم هي قوله تعالى (أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) فهو كرامة ربانية لبني البشر لاظهار ما يقرره العقل ويكون وضع اللسان كأداة تنفيذية ليس غير٠

الجلد :

الجلد : قشر البدن وجمعه جلود ٠ اهتم القرآن بالجلد باعتباره من اهم حواس اللمس فقال (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ)٥ (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)٦ نلاحظ هنا ان التأثير الاول سيكون في الجلود قبل القلوب فجاء التسلسل المنطقي (تقشعر

---

[١] سورة الانبياء الآية ٦٥

[٢] سورة النمل الآية ١٦

[٣] سورة الجاثية الآية ٢٩

٤ المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، مصدر سابق ص ٤٩٨

٥سورة النساء الآية ٥٥

٦ سورة الزمر الآية ٢٣

منه جلودهم) (ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ) الى ان ينتقل التاثير الى القلوب سواء أكانت المشاعر ايجابية كما هي (جلود الذين يخشون ربهم) أم سلبية لاصحاب النار (حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٠ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ)١ لو جئت بابرة وزرقتها في جسم الانسان فانها بعد ان تدخل تصل اللحم فان الانسان في هذا الموضع لايتألم وقد وجد الاطباء ان الاعصاب تتركز في الجلد كما وجدوا (ان هناك جسيمات خاصة في الجلد بانماط الحس للحر والبرد والالم والضغط واللمس تكون بشكل سلاسل ودوائر إذ يحوي الجلد على ٣- ٥ ملايين جهازا للاحساس بالالم و٢٠٠ الف جهاز للحر والبرد و ٥٠٠ الف جهاز للمس والضغط وان الجلد يرسل اشارات البرد والحر بسرعة ٢٠٠ ميل في الساعة من خلال الياف دقيقة بحجم ١ /٤٠٠٠ من البوصة وهناك اشارات اسرع واكثر كفاءة للشعور بالالم ٠ فالجلد ينقل الى الدماغ اخبار جميع العضلات والمفاصل والعظام وتفاصيل حياتها اليومية لغرض تحليلها ومعالجتها)٢ ان حاسة اللمس تميز بين الرطب واليابس وبين الخشن والاملس وبين الحار والبارد وغيرها.

اليد

{ الجارحة : أصله يدي لقولهم في جمعه أيد ويدي ، قال تعالى : إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا)٣ اليد اداة مهمة من ادوات الحس واستعيرت اليد للنعمة فقيل ؛ يديت

١ سورة فصلت الآية ٢٨

٢ الاعجاز القرآني، مجموعة من الباحثين، مطبعة وزارة الاوقاف، بغداد ١٩٩٠ م ص ٣٨٥

٣ المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، مصدر سابق ص ٥٥١

أي أسديت إليه، قال تعالى (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) [١]

قال الشاعر ؛ فان له عندي يديا وأنعما • وللحوز والملك يقال ؛ هذا في يد فلان قال تعالى (إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ)٢ قال الشريف الرضي (أن العادة جارية في المبايعات والمعاقدات أن تقع الصفقة بالايدي من البائع والمشتري)٣

حاسة الشم

حاسة الشم عدها القرآن الكريم حاسة مهمة يستطيع الانسان من خلالها ملاحظة الاشياء البعيدة عنه كما حصل لسيدنا يعقوب عليه السلام حين قال (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ)٤ ان سلامة الحواس شرط من شروط المعرفة الصحيحة فان الاعمى يفقد العلم بالمبصرات والاصم يفقد العلم بالمسموعات وفاقد الذائقة والشامة واللامسة يفقد العلم بالمذوقات والمشمومات والملموسات• ولو كان الانسان فاقدا لحواسه لما قدر على تصور البدهيات •ان الدليل الحسي معتبر في نظر القرآن الكريم وان اهميته تصل الى حد اثبات حقائق معنوية وحقائق دينية (قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)٥ (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)٦

---

[١] سورة الأنعام الآية ٧

٢ سورة البقرة الآية ٢٣٧

٣ تلخيص البيان في مجازات القرآن، للشريف محمّد بن الحسين ابن موسى الرضي (ت ٤٠٦)، تحقيق مؤسّسة نهج البلاغة، نشر مؤسّسة الطبع والنشر في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران ١٤٠٧. ص ٢٢٥

٤ سورة يوسف الآية ٩٤

٥ سورة يونس الآية ١٠١

٦ سورة الملك الآية ١٠

فالسمع في منظور القرآن الكريم يرتقى الى معنى يقارب الفهم (ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون)١ (ان الحواس المختلفة آلات كالجواسيس المختلفة في الاخبار عن النواحي، تُعد النفس للاطلاع على الصور العقلية المجردة والاحساسات انما تكثر بسبب اختلاف حركات البدن لجلب المنافع والخيرات ودفع الشرور والمضار فبذلك ينتفع الحس بالحس)٢ على تعبير صدر المتألهين الشيرازي وعلى تعبير الشيخ الرئيس ابن سينا(الحس طريق المعرفة)٣ وهو ينقل الصور الى الدماغ ولاينشأ عن ذلك تفكير بل تمييز غريزي فقط من حيث كونه يشبع أو لايشبع يؤلم أو لايؤلم يفرح أو لايفرح يَلذ أو لايلذ وعلى تعبير الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام (ان الحواس الخمس لاتنفع بغير العقل)٤

ومجمل القول ان المعرفة الحسية لها اهمية بالغة في منظور القرآن الكريم فهي المنافذ أو النافذة الرئيسة لجمع المعلومات وادخال البيانات والمعطيات المختلفة ولكن المعرفة الحسية سطحية وظاهرية غير عميقة تهيء لمرحلة أعلى وان المعرفة الحقيقية هي التي تقوم على اساس التعقل والتدبر والتعاطي اليقيني مع المعارف كما نلاحظ ذلك في قوله تعالى (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)٥

---

١ سورة الانفال الآية ٢١

٢ الاسفار الاربعة، صدر المتألهين الشيرازي، مصدر سابق ج ٣ ص ٣٨١

٣ تعليقات على شرح فصوص الحكم ومصباح الانس، الامام الخميني، دفتر تبليغات اسلامي ١٤١٠ هـ ص ٢٣

٤ مع علماء النجف، محمد جواد مغنية، دار الهلال، بيروت، ١٩٩٢م ص ١٤٤

٥ سورة البقرة الآية ١١١

٣ـ العقل

(العقل في اللغة : عقل الشيء : فهمه وتدبره•عَقِلَ فلان : عرف الخطأ الذي كان عليه، العاقل : هو المدرك : الفاهم الحكيم : العَقول : المدرك الفاهم للامور)١ يقول صدر المتألهين الشيرازي (يستعمل عامة الناس كلمة العقل بمعنى القوة التي تميز الامور الحسنة والامور القبيحة فيقولون فلان عاقل فهم يقصدون انه يمتلك روية في معرفة ما ينبغي له فعله من خير واجتنابه من شر •ويستعمله المتكلمون بما معنى المقدمات التي تستنبط منها الامور الحسنة والقبيحة فيقولون هذا ما يرفضه العقل وهذا ما يقبله العقل • ويستعمله علماء الاخلاق بمعنى الاعمال نفسها التي توصف بأنها حسنة أو قبيحة • أما الحكماء فيستعملونه بمعنى انه القوة العالمة واذا وردت قرينة صرف المراد من العقل الى معنى الادراك)٢

وفي المعنى الاول (قوة التمييز بين الامور الحسنة والامور القبيحة) ورد قول النبي الاكرم محمد (ص)(صفة العاقل ان يحلم عمن جهل عليه ويتجاوز عمن ظلمه ويتواضع لمن هو دونه • ويسابق من فوقه في طلب البر • واذا اراد ان يتكلم تدبر فان كان خيرا تكلم فغنم وان كان شرا سكت فسلم • واذا عرضت له فتنة استمسك بالله وامسك يده ولسانه • واذا رأى فضيلة انتهز بها • لايفارق الحياء ولايبدو منه الحرص فتلك عشرة خصال يعرف بها

---

١ مقام العقل عند العرب، قدري حافظ طوقان،ط١، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٠ م ص ١٥

٢ الاسفار الاربعة، صدر المتألهين الشيرازي، مصدر سابق ج ٣ ص ٤١٨

العاقل)١ وقال الامام علي عليه السلام (العاقل من غلب هواه ولم يبع آخرته بدنياه)٢ (التثبت رأس العقل والحدة رأس الحمق)٣

وفي المعنى الثاني (العقل بمعنى اداة التمييز بين الصالح والطالح) قال الامام علي بن ابي طالب عليه السلام (ليس العاقل من يعرف الخير من الشر ، ولكن العاقل من يعرف خير الشرين)٤ (كثرة الصواب تنبىء عن وفور العقل)٥

وفي المعنى الثالث (العقل بمعنى العمل الحسن) نذكر قول الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام (لايعد العاقل عاقلا حتى يستكمل ثلاثا : اعطاء الحق من نفسه على حال الرضا والغضب ، وأن يرضى للناس ما يرضى لنفسه ، واستعمال الحلم عند العثرة)٦

وفي المعنى الرابع : (العقل بمعنى القوة العالمة)نذكر قول الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام (آداب العلماء زيادة في العقل ... وكف الاذى من كمال العقل)٧

ومن التعاريف الشائعة (العقل هو نور يلمع في افق النفس تنكشف عنه غواشي الحجب فتتجلى فيه صور المعقولات كما تتجلى في العين صور المحسوسات)١

---

١ تحف العقول، الحسن بن علي بن الحسين الحراني، دار الكتب الاسلامية طهران ١٣٧٦هـ ص ٢٧

٢ غرر الحكم، الآمدي، مصدر سابق ج ١ ص ١٣

٣ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ١ ص ١٦٠

٤ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٧٨ ص ٦

٥ غرر الحكم، الآمدي، مصدر سابق ج ١ ص ٩٧

٦ تحف العقول، الحسن بن علي الحراني، مصدر سابق ص ٢٣٤

٧ أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، مصدر سابق ج ١ ص ١٤١

ومن التعريفات التقليدية ان العقل (هو الدماغ الذي يقع تحت الجمجمة من الرأس ويتكون من جزأين رئيسين هما المخ والمخيخ الذي يقع اسفل المخ• وينقسم المخ الى جزأين رئيسين هما الفص الأيمن والفص الأيسر وهو المدرك للعلوم والامور المادية وهو ايضا مكان تخزين المعلومات والمدارك الحسية واللفظية والمعنوية والخبرات المكتسبة والفطرية)٢ (لقد ثبت في الطب الحديث ان خلايا الانسان في الجلد والعضلات والعظام والعيون تتجدد كل سبع سنوات مرة واحدة ماعدا الخلايا العصبية فانها تتوقف عن النمو عند السنة السابعة تقريبا حيث ان ١٠/٩ من المخ ينمو في تلك الفترة • ولو تغيرت الخلايا العصبية لتغيرت شخصية الانسان ولكان له عدة تصرفات في يوم واحد• ان دماغ الانسان عند بلوغه أو هرمه هو ذاته عند طفولته وان ما يتطور هو التفكير والحجم)٣

العقل في القرآن الكريم

وفي لغة القرآن الكريم يسمى العقل اللب { وهو العقل الخالص من الشوائب وسمي بذلك لكونه خالصَ ما في الانسان من معانيه كاللباب واللب من الشيء • وقيل هو ما زكا من العقل فكل لب عقلٍ وليس كل عقلَ لبا ولهذا علق الله تعالى الأحكام التي لايدركها الا العقول الزكية بأولي الالباب

---

١ المصدر نفسه

٢ النفس في القرآن الكريم، عبدالوهاب داود الخزامي، ط ١، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٧م ص ٢٠

٣ موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج احمد، دار ابن حجر، دمشق، نيسان، ٢٠٠٣ م، ص ١٦٥

نحو قوله تعالى(يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)١

لم يهتد الانسان الى حقيقة العقل، ومع تطور العلم لم يزل مبحث العقل والروح مجهولا لأنه من عالم المجردات، ورد في المأثور ان للعقل شخصية معنوية مستقلة فقد روي عن النبي الاكرم محمد – ص – قوله (أول ما خلق الله العقل)٢ وهنا يقصد به العقل الذي في الدماغ قال (الإمام الصادق عليه السلام : موضع العقل الدماغ) ٣ وروي عن الامام أبي جعفر محمد الباقر – ع- (لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له : أقبل فأقبل ،ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال : وعزتي وجلالي ماخلقت خلقا هو أحب الي منك ولاأكملتك إلا فيمن أحب، أما إني إياك آمر وإياك أنهي، وإياك أعاقب وإياك أُثيب)٤ ان العقل كما يستفاد من النصوص هو أول ما ابتدع من المجردات ، وقد اودع فيه الخالق المواهب الربانية .

أن القرآن الكريم لم يول أهمية لتعريف العقل وانما اهتم بفعل التعقل فعده احدى وسائل المعرفة (وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)٥ أي أفلا تفهمون ان العقل يلهم بالاسس المثالية للتفكير وهي حقائق وابعاد غير مادية تسمى في القرآن الكريم بصائر وسنتطرق اليها بشيء من التفصيل في الصفحات اللاحقة ،ان العقل الفطري في منظور القرآن

---

١ سورة البقرة الآية ٢٦٩

٢ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ١ ص ٩٧

٣ ميزان الحكمة، محمد الريشهري، مصدر سابق ج ٣ ص ٣٥١

٤ المصدر نفسه ج ١ ص ٦٧

٥ سورة المؤمنون الآية ٨٠

الكريم ميزان للكشف عن ماهية المعطيات التي قدمتها الحواس الداخلية والخارجية وفرزها بما زود به من البصائر التي يمكن تشبيهها بجهاز فرز الشحنات السالبة عن الشحنات الموجبة لتهيئتها الى مرحلة متقدمة من المعرفة • العقل هو مركز التمييز بين الخير والشر ، الجميل والقبيح ، الخبيث والطيب ، النافع والضار ، الحق والباطل ، الفجور والتقوى ، السرور والحزن ، الحب والبغض ، الفضيلة والرذيلة ، العدل والظلم ، الصواب والخطأ ، الحياء والفحش ، النجاسة والطهارة • وجميع النقائض والمترادفات والقرائن • ان العقل وان كان يستمد كثيرا من معارفه من الحواس الا انه يولد أيضا معارف جديدة ويمكن تشبيهه بالشجر الذي يستمد الماء والغازات والشمس من الطبيعة وينتج الثمر•ويتميز عمل العقل عن عمل الحس ان الحس لايتعدى المحسوسات فهو ينقل صورا عنها من دون أن يكشف عن شيء آخر سوى ما تعلق به أما العقل فالامر فيه مختلف فانه ينتقل من ادراكات الى اخرى { بعمليات عدة يمكن اجمال اهمها بالآتي

١- الاستنتاج: المراد من الاستنتاج استخراج حكم موضوع مشخص من حكم كلي مستنبط • وهذا اسمى عمليات العقل في مجال المعارف •

٢- إدراك المفاهيم الكلية : يقول صدر المتالهين الشيرازي : ان درك المفاهيم الكلية ليست الا تبديل المعرفة الحسية بالمعرفة العقلية وحاصلها ان للمعرفة مراحل ثلاث ؛

أ – مرحلة الاحساس ب _ مرحلة الحفظ ج _ مرحلة إدراك مفهوم كلي

مثال ؛ إذا اطل الانسان على منظر بهي رائع جميل فالصورة الواردة من المبصر الى الذهن تسمى صورة حسية عندما يبتعد الانسان عن ذلك المنظر يبقى في الذهن اثره في النفس وهذا هو الصورة الخيالية وعندما يريد الانسان

ان يستحضر في ذهنه المناظر الطبيعية يجمع بين تلك الصور الخيالية ويعطي مفهوما كليا

٣ - تصنيف الموجودات :البخل والحسد والعشق والمحبة والالوان والاشكال ان هذه المسميات والحالات هي من ضمن البصائر التي سنتطرق اليها في الفصل الآتي ٠

٤ - التجزئة والتحليل:أي تجزئة مفهوم واحد الى مفاهيم كثيرة كتحليل الحيوانات الى ناطق وصامت وتحليل الطيور الى مهاجر ومستقر وتحليل الحجم الى طول وعرض وارتفاع ٠

٥ - التركيب : التركيب حين يقوم العقل بتركيب قضيتين ويستنتج منهما قضية ثالثة بنتيجة قاطعة ٠ كقضية اذا وضعت النار تحت قدر الماء ارتفعت درجة حرارة الماء ٠

٦ - درك المفاهيم الابداعية: كمفهوم الرئيس والمرءوس ومفهوم الاجارة والمجير في الاعتبارات الاجتماعية وغيرها من المفاهيم الاعتبارية في تفرعات الحياة المجتمع البشري }١

الخلاصة: إن المعارف الحسية تعد ادوات لتفتح العلم الفطري الوجداني الموجود في الدماغ وتزهيره وتطويره حتى تتقدم المعرفة خطوة جديدة الى الامام ٠ أما العقل فهو ينظم الانطباعات الحسية الخام ويغربلها ويصنفها من خلال ميزان البصائر الثابتة ويقدمها الى مرحلة أعلى٠

---

١ نظرية المعرفة : جعفر السبحاني، مصدر سابق ص ١٤١ - ١٥٤

٣ ـ الإلهام

(يدل على ابتلاع شيء ومن هذا الباب : الإلهام ، كأنه شيء ألقي في الروع فالتهمه ، والملهم هو : المُفْهَم ، الذي يصدق ظنه في الأشياء ، تتكلم الملائكة على لسانه ، فيجري عليه الصواب من غير قصد منه)[1] . وأصل معنى الإلهام من قولهم : لهم الشيء ، والتهمه إذا ابتلعه ، وألهمته ذلك الشيء أي أبلعته)[2] قال الراغب الاصفهاني (الالهام : هو عملية استفاضة من اللوح المحفوظ تقوم بها النفس فتحصل العلوم فيها من خلال أشراق النفس الكلية عليها)[3] ان اصول الاخلاق تتسم بسمة الثبات والخلود وهي من العلم الحضوري قال تعالى (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا • فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) [4] قال الصادق ـع- (بين لها ما تأتي وما تترك) [5] (ويطلق الإلهام إطلاقاً خاصاً على حدوث علم في النفس من دون تعليم ولا تجربة ولا تفكير فهو علم يحصل من غير دليل سواء ما كان منه وجدانياً كالانسياق إلى المعلومات الضرورية والوجدانية ، وما كان منه عن دليل كالتجريبيات والأمور الفكرية والنظرية فهذا اللفظ اسم دقيق الدلالة على المعاني النفسية وقليل رواجُ أمثال ذلك في اللغة قبل الإسلام لقلة خطور مثل تلك المعاني في مخاطبات عامة العرب ، وهو مشتق من اللّهْم وهو البلْع دَفعةً)[6] ويقول بعض الفقهاء إن

---

١ مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي في الجامع الازهر، العدد ١٤٠ / ٨

٢ مفاتيح الغيب (تفسير الرازي) فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ، ١٢٠٩م) طبعة ثالثة، دار الفكر، بيروت (١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥م) ج١٧ ص ٤٧

٣ نظرية المعرفة عند صدر المتألهين، محمد شقير، مصدر سابق ص ١٤٧

٤ سورة الشمس الآيتان ٧- ٨

٥ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج٥ ص ١٩٦

٦ التحرير والتنوير، محمد طاهر ابن عاشور (١٢٩٦ - ١٣٩٣ هـ) (١٨٧٩ - ١٩٧٣م) الطبعة الأولى، مؤسسة التاريخ، بيروت، ٢٠٠٠م، ج١٦ ص ٢٨٢

معرفة العلة هو إلهام(جاء في لسان العرب: أنها من مادة : لَهْم، على وزن : فَهْمْ، أي اَبتلاع أو شرب الشيء. والالهام يعني التلقين الالهي ومع الالتفات الى أصل هذه الكلمة يمكن العثور على سبب الاطلاق، وكأن الروح تفتح فم الانسان وتلقي فيه حقيقة فيمضغها) [١] (الالهام أن يلقى الله في النفس أمرا يبعثه على الفعل او الترك) [٢] (العلامة النائيني قال : (الإلهام هو الحد الوسط بين التكوين والتشريع) [٣] (الإلهام علوما ذاتية حاصلة عن إخبار من الله بلا واسطة بين المخبر والمخبر له)[٤] (الإلهام وحي باطن)[٥] (الالهام : النكث في القلوب)[٦](الإلهام إعلام سريع على وجه الخفاء)[٧] (الإلهام : ما يلقى في الروع بطريق الفيض)[٨] (الإلهام هو العلم اللدني الذي لا واسطة في حصوله بين النفس وبين الباري) [٩] وقيل إن الإلهام خاطر حق من الحق تعالى فمن علامته

---

١ نفحات القرآن، ناصر مكارم الشيرازي، ط١، مطبعة الحوزة العلمية، قم، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م ج٧ ص ٣٦

٢ جزء الألف دينار، أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك بن شبيب البغدادي المعروف بالقطيعي (٢٧٤-٣٦٨هـ) تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، ط١، دار النفائس، الكويت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، ج١ ص ٢٢

٣ تحريرات في الاصول / السيد مصطفى الخميني، نشر: مؤسسة تنظيم آثار الامام الخميني ١٤١٨ هـ الطبعة: الاولى المطبعة: مطبعة مؤسسة العروج، ج ١ ص ٧١

٤ لطائف الاعلام في اشارات الالهام، مؤسسة الارشاد الاسلامي، طهران، ٢٠٠٠م، كمال الدين عبدالرزاق ص ١١٤

٥ قواعد معرفة البدع، قسم عقائد الوهابية ج١ ص ٣٦

٦ دراسات في الحديث والمحدثين . هاشم معروف الحسني، دار التعارف للمطبوعات بيروت، ط ٢ ١٣٩٨ هـ، ١٩٧٨ م، ج ١ ص ٢٨٦

٧ شرح لمعة الاعتقاد، خالد بن عبد الله بن محمد المصلح (عقائد الوهابية) ج٤ ص ١٠

٨ زيارة قبر هود عليه السلام وما فيها من ضلالات ومنكرات (عقائد الوهابية) ج١ ص ١٨

٩ التزكية بين أهل السنة والصوفية، أحمد فريد، الناشرأبو عمر الدوسري www.frqan.com ج ١ ص ٣٨

أن ينشرح له الصدر ولا يعارضه معارض من خاطر آخر أما الشيخ محمد عبده فقال (الإلهام ماتستيقنه النفس وتنساق إلى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور) [١] كما عرف الالهام بانه (عبارة عن معنى يلقى في نفس الإنسان في حالة وجدانية خاصة يثق بها ويعمل بموجبها غير متردد) [٢] وعرف (الإلهام بمعنى الإدراك الصحيح لواقع الأشياء أي الافهام، يحصل من صفاء النفس وحدة الذهن قال النبي- ص- لحصير بن منذر الخزاعي لما أسلم قل اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي) [٣] وفي الدعاء (أسألك رحْمَةً من عِنْدك تُلْهِمُني بها رُشْدِي) والإلهام يسمى توقيفًا و التوقيف ان تقول إن الفاعل مرفوع والمفعول به منصوب هذا ازرق وذاك احمر قال الشاعر عبدالستار الزعبي

طافوا طواف العاشقين بكعبة ... وقف الجمال ببابها البسّام

طافوا بها سبعاً فطاف جمالها ... في الكون حتى خلتها قدامي

فهممتُ بالحجر الكريم مزاحماً ... علّي أفوز بقُبلةِ الأحلام

فافهم رموزَ الحجِّ فهي بليغةٌ ... إن الرموز مفاتحُ الإلهام

وقال آخر : كأن الشيخ ينظر في هدوء ....إلى الإلهام من خلف السجوف) [٤]

---

١ مجلة الجامعة الاسلامية، الناشر : الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض العدد ١٩ ص ٢٣٥

٢ مجلة المنار (التي صدرت مصر من سنة ١٣١٥ - ١٣٥٤هـ) محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤ هـ ١٩٣٥م) ج ٧ ص١٧

٣ دراسات في الحديث والمحدثين ، هاشم معروف الحسني، مصدر سابق ج١ ص ٢٨٦

٤ مجلة البيان (اسسها في مصر ابراهيم اليازجي المتوفي سنة ١٩٠٦م) العدد ٣٠ ص ٥٠

سمات الالهام

١) يدخل الى النفس مباشرة بعد الخلق (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا • فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) فيميزه الطفل بوقت مبكر من حياته•

٢) يختص بالنفس دون سواها كما يوحي نص الآية المباركة•

٣) يشرق على الانسان من دون وساطة (علم حضوري يقع بلا كسبٍ)

٤) إنه وَحْي بَاطِن•

٥) لاينتقل من طريق الوراثة إن معلومات الالهام لا تنتقل من أحد إلى أحد من هذا الطريق وإلاّ أصبح ابن الطبيب طبيباً بالوراثة وابن العالم عالماً بالوراثة حتماً دون أن يتلقّى العلم أو الطب من أحد .

٦) منشأ الالهام غير أرضي وخارج عن طاقة الانسان

أقسام الالهام

١) إلهام عام لجميع أفراد النوع البشري من دون سعي منهم أو كسب وهو إلهام دائم يصاحب الانسان من البداية حتى النهاية كألهام معرفة الفجور والتقوى والقدرة على التمييز بينهما •

٢) إلهام خاص لفئات من الناس ويكون على درجات متفاوتة فإلهام النبي أو الولي أو الامام يختلف نوعا وكما عن إلهام الفقيه أو الشاعر أو العاشق وهو إلهام آني متقطع حسب التقدير الالهي ورد في الاثر (إنّ رسول اللّه عليه السلام موصول بمصدر الوحي ومنبثق الإلهام• فما كان يعينه النبي من الأحكام فذاك مصدره الوحي ، وما كان يختاره صلى الله عليه وآله وسلم فمصدره الإلهام)[١] إنَّ إلْهَامَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ لَا يَسَعُ مُخَالَفَتُهُ بِوَجْهٍ ، وَإِلْهَامُ غَيْرِهِ لَيْسَ بِحُجَّةٍ .(قال النبي محمد – ص– وأعطاني الوحي،

١ شبهة الغلو عند الشيعة، عبد الرسول الغفار، ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٩٩٤م ج١٣ ص ١٢

و أعطى عليا الإلهام)[١] ان المفكرين والمخترعين وحتى الشعراء يؤكدون جميعا على دور الالهام في العلم والفن(وفي الفقه التطبيقي تحدث مشاكل في عملية الاستنباط ويقوم علم الاصول عندئذ بوضع الحلول المناسبة لها ، وتصبح هذه الحلول والنظريات عناصر مشتركة في عملية الاستنباط . ولدى محاولة تطبيقها على مجالاتها المختلفة كثيرا ما ينتبه الفقيه إلى أشياء جديدة يكون لها أثر في تعديل تلك النظريات أوتعميقها) [٢] حيث يتنوّر الفقيه بنور الالهام فيصيب حقائق الاحكام. كما (ثبت في الابحاث النفسيّة أنّ كل انسان له ساعة أو ساعات في حياته قد يعلم فيها ببعض الاشياء من طريق الحدس الذي هو فرع من الالهام، بسبب ما أودع الله تعالى فيه من قوّة على ذلك، وهذه القوة تختلف شدّة وضعفاً وزيادة ونقيصة في البشر باختلاف أفرادهم، فيطفر ذهن الانسان في تلك الساعة إلى المعرفة من دون أن يحتاج إلى التفكير وترتيب المقدّمات والبراهين أو تلقين المعلّمين ويجد كل إنسان من نفسه ذلك في فرص كثيرة في حياته.وإذا كان الامر كذلك، فيجوز أن يبلغ الانسان من قوّته الالهامية أعلى الدرجات وأكملها، وهذا أمر قرّره الفلاسفة المتقدّمون والمتأخرون) [٣]

الخلاصة :ان الالهام هو القاء القوانين الوجدانية في النفس من دون وساطة ومن الالهام عام لجميع البشر ومنه خاص لفئة معينة منه.

---

١ كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي، (ت ٦٩٣ هـ)
تحقيق: هاشم الرسولي، ط١، مكتبة بني هاشمي، تبريز - ايران - ١٣٨١هـ، ج ١ ص ٣٦٩

٢ دروس تمهيدية في علم الاصول، محمد باقرالصدر، الطبعة الثانية،، مطبعة النعمان، النجف الاشرف (١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، ج ١ ص٧

٣ عقائد الامامية، محمّد رضا المظفر، الناشر مركز الابحاث العقائدية، النجف ١٩٩٢٠م، ج١ ص٤

٥ – البصائر

قال تعالى (قَدْ جَاءكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ)[١] (هَـذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)[٢] ان الفقهاء المسلمين وعلماء اللغة العربية قد ابدعوا في شرح مضامين الآيات القرآنية الكريمة حتى يمكننا القول انهم اجلسوا الحقيقة على كرسي وقام كل منهم بتصويرها من زاويته الخاصة وهكذا تداخلت تفسيراتهم الرائعة في شرح معنى البصائر :

بصائر جمع بصيرة: وهي الملكة التي ترى حقائق الأشياء وبواطنها، كما يرى البصر ظواهر الأشياء المادية) [٣] ﴿ البصر : يقال للجارحة الناظرة نحو قوله تعالى : كلمح البصر ، وجمع البصر أبصار • وجمع البصيرة : بصائر • ولايكاد يقال للجارحة بصيرة ويقال من الاول أبصرت ومن الثاني أبصرته وبصرت به • قال تعالى : وابصر فسوف يبصرون، بصرت بما لم يبصروا به ، أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن أتبعني • أي على معرفة وتحقق • وقوله تعالى : بل الانسن على نفسه بصيرة • أي تبصرة فتشهد له وعليه • والباصرة : الناظرة كقوله تعالى : وجعلنا آية النهار مبصرة • أي مضيئة ﴾ [٤] قال الشاعر الأشعر الجعفي

---

١ سورة الانعام الآية ١٠٤

٢ سورة الاعراف الآية ٢٠٣

٣ حديث تركت فيكم أمرين، فالح بن محمد بن فالح الصغيّر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ج١ ص ٥٠

٤ المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، مصدر سابق ص ٦٠

حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَكْتَافِهِمْ... وَبَصِيرَتِي يَعْدُو بِهَا عَتَدٌ وَأَى)[١]
(البصيرة وهي الدلالة التي توجب العلم الذي يبصر به الشئ نفسه على ماهوبه والمراد ههنا قد جاء كم القرآن الذي فيه الحجج والبراهين وتكون البصيرة: طريق الدم والبصيرة الرأس ايضا.وجمعها بصائر،ومعناه ظهور الشئ وبيانه)[٢] (البصيرة من البصر بمعنى الرؤية ، ولكنّها في الغالب رؤية ذهنية وعقلانية، وقد تطلق على كل ما يؤدي إلى الفهم والإدراك، وهذه الكلمة في هذه الآيات تعني الدليل والشاهد)[٣] (أصل البصائر الأبصار وهو ظهور الشيء حتى يبصره الإنسان)[٤] (البصيرة نور القلب الذي به يستبصر ، كما أن البصر نور العين الذي به تبصر)[٥] (الْبَصَائِرُ: الْهُدَى، بَصَائِرُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ لِدِينِهِمْ، وَلَيْسَتْ بِبَصَائِرِ الرُّءُوسِ، وَقَرَأَ: فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)[٦] (البصيرةٍ هي النورُ الذي به تستبصر

١ جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) تحقيق : أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠م، ج١٢ ص ٢٤

٢ التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠هـ) تحقيق : أحمد حبيب قصير العاملي، المطبعة العلمية، النجف، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م ج٥ ص ٦٢

٣ الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ط١ مؤسسة البعثة، بيروت، ١٤١٣ هـ، ج٤ ص ٤١٨

٤ تفسير السراج المنير، شمس الدين محمد بن احمد الشربيني، المتوفى (٩٧٧هـ) ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - ١٢٨٥هـ، ج١ ص ١١٩١

٥ روح المعاني في تفسير القران العظيم و السبع المثاني، محمود شكري الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ) ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ، ج ١ ص ٣٤٣

٦ تفسير ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم الرازي (٢٤٠ - ٣٢٧ هـ = ٨٥٤ - ٩٣٨م) تحقيق أسعد محمد الطيب، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ١٤١٩ هـ ج٥ ص ٣٤٩

النفسُ كما أن البصرَ نورٌ به تبصِرُ العين)[١] (قال بعض العارفين : البصائر كلمات الله التي تجلى منها لذوي الحقائق وبرزت من تحت سرادقاتها أنوار نعوته الأزلية)[٢] { بصائر: أي حجج وبينات يبصر بها وتتضح منها الأشياء الخفيّات على أمر جليّ منكشف)[٣] (بصائر من ربكم يستبصر بها في جميع المطالب الإلهية والمقاصد الإنسانية وهي الدليل والمدلول)[٤] (قال الزمخشري وقال ابن عطية (البصيرة هي ما ينقب عن تحصيل العقل للأشياء المنظور فيها بالاعتبار)[٥] (معنى بصائر: أي بينات وحجج ظاهرة يعرف بها الهدى من الضلال والحق من الباطل)[٦] (البصيرة : هي الدلالة التي توجب إبصار النفوس للشيء)[٧] { قَدْ جَاءكُمْ بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ } البصيرة للنفس كالبصر للبدن سميت بها للدلالة لأنها تجلي لها الحق وتبصرها به)[٨] (البصيرة : هي الدلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم به)[٩] (أصل البصائر من الإبصار

---

١ مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاني (المتوفى : ١٣٦٧هـ)، ط١، دار الفكر - بيروت، ١٩٩٦م ج٢ ص٤١١

٢ روح المعاني في تفسير القران العظيم، محمود شكري الآلوسي، مصدر سابق ج٥ ص ٤٨٤

٣ تفسير البحر المحيط، أبو حيان : محمد بن يوسف الأندلسي (٦٥٤ - ٧٤٥ هـ = ١٢٥٦ - ١٣٤٤ م)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٣هـ، ج٦ ص ٢٤

٤ فيض الرحمن تفسير جواهر القرآن، أبو يوسف محمد زايد (موقع التفاسير) ج٢ ص١٥٠

٥ تفسير البحر المحيط، ابو حيان الاندلسي، مصدر سابق ج ٥ ص ٢٢٤

٦ فتاوي الشبكة الاسلامية ج٥ ص ٦٧٢

٧ الدر المصون في علم الكتاب المكنون، (أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبى (ت ٧٥٦ هـ، ١٣٥٥م) تحقيق علِيّ بن معوض . وآخرون . ط١ . دار الكتب العلمية . بيروت . ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣م، ج١ ص ٢٥٢٩

٨ أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي(ت ٦٨٥هـ) ط ٣، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٣٨٨ هـ، ج٢ ص ١٩٢

٩ مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاني، مصدر سابق ج٢ ص ٤٣٦

وهو ظهور الشيء حتى يبصره الإنسان)[1] (البصائر: هي أدلة يبصر بها الحق تشبيهاً بالبصر الذي يرى طريق الخلاص)[2] (البصيرة هي النور الذى به تبصر النفس المعقولات كما ان البصر نور به تبصر العين المحسوسات)[3] (البصيرة اسم للإدراك التام الحاصل في القلب والبصر اسم للإدراك التام الكامل الحاصل بالعين التي في الرأس)[4] (قد جاءكم بصائر من ربكم، ليس يعني بصر العيون بل يعني بصر القلوب وإدراك العقول، والبصيرة للنفس كالبصر للعين كما يقال: فلان بصير بالشعر، و فلان بصير بالفقه، و فلان بصير بالدراهم، و فلان بصير بالثياب)[5] إن العقل بمنظور القرآن الكريم مركز معرفة لامركز قرار، والبصيرة بمعنى مبصرة وهي ميزان وصراط وقانون خالد في اعماق الذات لاحظوا الآيتين المباركتين (قُلْ هَذِه سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[6] (بل الانسن على نفسه بصيرة ، ولو ألقى معاذيره)[7] فالمعاذير لاتنفع اذا تقاطعت مع القانون الرباني السامي الذي وضعه الرب كأساس معياري وهو البصيرة ،وبعبارة الامام علي بن ابي طالب ع (كفاك من عقلك ماوضح لك سبيل غيك من رشدك)[8]

---

١ المصدر نفسه ص ١٥

٢ مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) فخر الدين الرازي، مصدر سابق ج٢ ص ٢٨١

٣ تفسير حقي البروسوي (ت ١١٣٧هـ، ١٧٢٤م) (موقع التفاسير) ج ١٣ ص ٣٣٢

٤ مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) فخر الدين الرازي، مصدر سابق ج٦ ص ٤٢٦

٥ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢ هـ، ١٩٨٢ م) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٣م، ج٧ ص ١٧١

٦ سورة يوسف الآية ١٠٨

٧ سورة القيامة الآيتان ١٤ – ١٥

٨ نهج البلاغة، الشريف الرضي، مصدر سابق، حكمة ٤٢١

(فقد البصر أهون من فقد البصيرة)[1] لاحظ ان الابصار لاتتعرض للغشاوة والعمى لان مهمتها ثابتة (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ)[2] سئل الامام الصادق -ع- (المعرفة من صنع من هي ؟ قال : من صنع الله ليس للعباد فيها صنع)[3] وقصد البصائر أو القوانين الوجدانية الثابتة التي وضعها الله جل جلاله في العقل والتي يحاسب الانسان في ضوئها وهي من العلم الحضوري وبهذا المعنى عبر الامام الصادق عليه السلام (حجة الله على العباد النبي والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل)[4] قال رسول الله صلى الله عليه وآله (ليس الأعمى من يعمى بصره، إنما الأعمى من تعمى بصيرته)[5] وسنؤشر بعض البصائر التي اشار اليها القرآن الكريم

بصيرة الخير والشر

﴿الخير مايرغب فيه الكل كالعدل والفضل والشيء النافع وضده الشر قيل الخير والشر ضرتان ، خير مطلق وهو ان يكون مرغوبا فيه بكل حال وعند كل احد كما وصف النبي - ص - به الجنة فقال ﴿ لاخير بخير بعده النار، ولاشر بشر بعده الجنة﴾ والخير يقابل به الشر مرة والضر مرة نحو قوله

---

١ عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي (من أعلام الإمامية في القرن السادس الهجري) تحقيق : حسين الحسني البيرجندي، الطبعة الأولى، دار الحديث، قم، ١٣٧٦هـ، ج ١ ص ٢٤٤

٢ سورة الحج الآية ٤٦

٣١ أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، مصدر سابق ج ١ ص ١٦٣

٤ المصدر نفسه

٥ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ) ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩م، ج١ ص ٤٢٥

تعالى ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ ﴾[١] يقول الشاعر

إذا قيل أي الناس شر قبيلة   أشارت كُليب بالاكف الاصابعا

ومن أجل توضيح معالم الصورة نطرح هذا البحث المقتضب

الخير والشر بين القرآن والفلسفة ٢

ورد في معجم لالاند ان الشر(هو كل موضوع للاستهجان أو اللوم) وفي معجم بولدون (ان الشر هو ما يضاد الخير) وقد قُسمت الآلهة على آلهة خير وآلهة شر فعند المصريين القدماء كان اله الشر هو (سخمت) وفي المجوسية الفارسية كان اله الشر هو (آهورمن) وعند الجرمان القدماء كان اله الشر (لوكي) وكانوا يعتقدون ان على الانسان ان يسترضيه حتى لايسبب له الضرر وذلك بتقديم القرابين والاضاحي. بينما ترى البوذية ان الحياة شر في ذاتها. وفي الفلسفة اليونانية نجد هرقليطس يقول ان الخير والشر أمران نسبيان لايوجد أحدهما الا بوجود الآخر. أما منيدس فيرى ان الوجود هو الخير واما الشر فأمر ظاهري صرف . وعند امباقليس ان الخير والشر يتصارعان فيما بينهما وان الصراع سينتهي الى انتصار الخير. أما السوفسطائية فان الخير هو النافع والشر هو الضار. فما يحقق اللذة هو الخير وما يجلب الالم هو الشر. أما سقراط فقد رأى (ان الشر يصدر عن المادة وعما هو جسماني ولأن الله هو الخير لايمكن ان يكون علة للشر. وان الشر هو جهل وعدم وسلب) وعلى العكس منه نجد أبيقور يقول ان الخير هو السعادة العقلية الخالصة والسعادة

---

١ المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، مصدر سابق ص ١٦٨ . الحدائق الناضرة، يوسف البحراني، مؤسسة النشر الاسلامي قم ايران ج ٣٧ ص ٢٦١

٢ الموسوعة الفلسفية، عبدالرحمن بدوي، مصدر سابق ج ٣ ص ١٨٠

هي اللذة وان الشر هو التعاسة والحزن واتخذت الرواقية موقفا فريدا فهي تقول (ان الشر لايوجد الا في الجزئيات لان الكل بما هو كل هو خير، وقال افلاطون (ان الشر هو تغلب الجزء الناقص في الانسان على سائر الاجزاء) قال ارسطو (ان صراع الخير والشر هو صراع بين جزء سام وجزء منحط في النفس) أما في العصر الحديث فيقول الفيلسوف أسبينوزا(ان الشر شأنه الخير ليس له حقيقة انه فقط تصور عقلي غير موجود في الواقع وان الشيء الواحد يمكن ان يكون خيرا او يكون شرا في الوقت نفسه ونحن نسمي الامر الذي نكرهه شرا وذلك بحسب مايشعر به الشخص) ديكارت قال (ان الخير والشر هو صراع بين النفس والجسم) الفيلسوف ليبنتس قال (ان للشر فائدة في تحقيق الخير في العالم) أما الفيلسوف كنت فقال (ان الشر يصدر من طبيعة الانسان الحيوانية والخير يصدر من انسانية الانسان) فيما قال الفيلسوف شوبنهور (ان العالم كله شر مطلق لان كل رغبة تنشأ عن نقص تؤدي الى الالم الى ان تشبع والرغبة لاتنتهي ابدا) ثم جاء كارل ماركس فقال(ان الشر موجود في الصراع بين الطبقات) ورأى فرويد(ان الشر هو ما يعج به اللاشعور من عوامل تدمير النفس) بقي ان نذكر مفهوم الشر عند الفيلسوف هيدجر الذي قال (ان الشر ملازم للوجود لان الانسان موجود للموت والوجود وجود فناء) وجاءت المسيحية فقالت(ان كل شر انما يصدر عن ارادة الانسان وهو الذي يختار الشر كما يختار الخير والشر ناتج عن اساءة استعمال الانسان لحريته في الاختيار، وان الشر او الخطيئة ليس جوهرا قائما بذاته بل هو اضطراب واختلال) أما القرآن الكريم فقال (ان الخير والشر هما معرفة ربانية الهامية ثابتة انزلها الله سبحانه في عقل الانسان (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) أي علمناه النقيضين مثال (الخير والشر)(الفجور والتقوى) (وَنَفْسٍ

وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)[١] (ولكن الله حبب اليكم الايمن وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان)[٢] ويحدد الامام علي –ع- هذا المعيار بقوله (كل ما استغفرت الله منه فهو منك ،وكل ما حمدت الله عليه فهو منه تعالى)[٣] والخلاصة : ان الخير والشر معرفة ربانية ثابتة عند الانسان في صميم الخلقة

بصيرة الحلال والحرام

ان مصطلح النجدين الوارد في القرآن الكريم لايمكن حصره بمفهوم واحد محدد بل يمكن القول انه مصطلح شامل لجميع المتناقضات العقلية ومنها : الحلال والحرام ، الخير والشر ، الخبث والطيب ، الخطأ والصواب ، وهكذا يمكن تعميم مصطلح النجدين الى آلاف المتناقضات في دنيا الحياة وعالم التفكير والشعور التي يمكن تسميتها نجدين ، وفي كتب اللغة العربية (النَّجدُ: ما خالف الغور . وكل شرفٍ من الأرضِ استوى ظهره فهو نجدٌ، ويجمع على أنجاد، والنِّجادُ في مثل هذه الصِّفة أرض فيها ارتفاع وصلابةٌ، قال:

قلائصُ إذا علونَ فدفدا ... رمينَ بالطَّرفِ النِجادَ الأبعدا

ويقال: ها هنا الطريقُ الواضحُ، والطريقُ الواضح يُسمى نجداً،

وأمر نجدٌ: واضحٌ، وطريقٌ نَجدٌ هاد، قال أميَّة:

وقد جاكمُ النَّجدُ النَّذسرُ مُحمَّدٌ ... دليلٌ على طرقِ الهُدى ليس يَهمدُ

---

١ سورة الشمس الآيات ٦- ١٠

٢ سورة الحجرات الآية ٧

٣ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٥ ص ٥٩

ويقال: هو ابن نجدتها للدّليل الهادي الذي كأنّه وُلِدَ ونشأ بها)[١] ومن النجد بصيرة الحلال والحرام

قال تعالى (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلَالٌ وَهَـذَا حَرَامٌ)[٢] فالحلال والحرام صفات سرمدية ملازمة للنفس البشرية في منظور القرآن وقد تعاملت الشريعة الاسلامية مع موضوع الحلال والحرام كحقائق بدهية أو مسلمات ورد في الحديث الشريف للنبيﷺ قوله (الحلال بين والحرام بين)[٣]

بصيرة الخبيث والطيب

قال تعالى (لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا)[٤] ان الله هو الذي مكن الانسان من ان يميز الخبيث من الطيب، قال - ليميز الله - والتمييز يقال تارة للفصل وتارة للقوة التي في الدماغ ، وبها تستنبط المعاني}[٥]

بصيرة الرشد والغي

﴿ الرَّشَدُ والرُشدُ خلاف الغي ، يستعمل استعمال الهداية يقال رَشَدَ يَرشدُ قال تعالى : قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[٦]

---

[١] المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد (٣٢٦ - ٣٨٥ هـ) تحقيق: محمّد حسن آل ياسين، ط١، عالم الكتب، بيروت ١٤١٤ هـ، ج ٢ ص ١٠١

[٢] سورة النحل الآية ١١٦

[٣] مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، محمد باقر المجلسي (ت ١١١٠هـ)، الطبعة الثانية، دار الكتب الأسلامية، طهران، ١٤٠٤هـ، ج ١٢ ص ٣٩٦

[٤] سورة الانفال الآية ٢٧

[٥] المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، مصدر سابق ص ٤٨١

[٦] المصدر نفسه ص ٢٠٢

بصيرة الجمال والقبح

{ الجمال : الحسن الكثير وذلك قسمان أحدهما جمال يختص الانسان به في نفسه أو بدنه أو فعله ، والثاني مايوصل منه الى غيره وعلى هذا الوجه ما روي عن النبي الاكرم محمد – ص- انه قال : ان الله جميل يحب الجمال ، تنبيها انه منه تفيض الخيرات الكثيرة}[1]

{ القبح :القبيح ؛ ما ينبو عنه البصر من الاعيان وماتنبو عنه النفس من الاعمال والاحوال وقد قبح قباحة فهو قبيح وقوله: من المقبوحين، أي من الموسومين بحالة منكرة وذلك اشارة الى ماوصف الله تعالى به الكفار من الرجاسة والنجاسة الى غير ذلك من الصفات وماوصفهم به يوم القيامة من سواد الوجوه وزرقة العيون وسحبهم بالاغلال والسلاسل ونحو ذلك يقال قبحه الله عن الخير أي نحاه ويقال لعظم الساعد مما يلي النصف منه الى المرفق قبيح}[2] ان النشاط الجمالي ملكة خلاقة عند الانسان وهو على نوعين

١) جمال الطبيعة المادي كجمال جسد المرأة وجمال المنظر الطبيعي والجمال المعنوي كجمال المثل العقلية (الصدق جميل ، الحب جميل ، العدل جميل...)

٢) النشاط الجمالي : كالشعر والرسم والموسيقى والفنون

ان التدبر في آيات الذكر الحكيم يجعلنا ندرك وجود بصيرة التمييز بين الجميل والقبيح (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)[3] (يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ

---

١ المصدر نفسه ص ١٠٥

٢ المصدر السابق ص ٣٩١

٣ سورة النحل الآية ٩٠

وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ)[١] فالانسان يجد اتصاف الافعال بأحدها ناشئا من صميم ذاته كما يعرف سائر المواضيع كالماء والتراب وانما دور الشارع هو الامر بالحسن والنهي عن القبيح ، فالحسن والقبيح من البصائر العقلية الثابتة يدركها الانسان بالحجة الباطنية من دون الحاجة الى حجة ظاهرية ، فالعدل حسن والظلم قبيح ، اعانة الضعيف حسن، السكوت عن الظالم قبيح ، اما جمال الطبيعة فهو صنعة الهية وهو كذلك من البصائر قال تعالى (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ،وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ)[٢]

بصيرة الصدق والكذب

الْكَذِبُ هُوَ الْإِخْبَارُ عَنْ الشَّيْءِ بِخِلَافِ مَا هُوَ سَوَاءٌ فِيهِ الْعَمْدُ وَالْخَطَأُ)[٣]

أنشد اللحياني

نادَتْ حَلِيمةُ بالوَداع وآذَنَتْ ... أَهْلَ الصَّفَاءِ ووَدَّعَتْ بكِذَابِ)[٤]

(الصِّدْق نقيض الكذب)[٥] قال أبو الهيثم

وفي الحلم إدهانٌ وفي العفو دُرسةٌ ... وفي الصدق منجاةٌ من الشَّرِّ فاصدق)[٦]

---

١ سورة الاعراف الآية ١٥٧

٢ سورة النحل الآيتان ٥، ٦

٣ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت ٧٧٠هـ، ١٣٦٨م) ط١، مطبعة نظارة المعارف، القاهرة ١٣٠٢هـ، ج ٨ ص ٥٨

٤ لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي (ابن منظور) (ت ٤٢٨ هـ، ١٠٣٦م) ، دار العلم للملايين، القاهرة، ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م، ج ١ ص ٧٠٤

٥ المصدر نفسه ج ١٠ ص ١٩٣)

٦ تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق ـ عبد السلام محمد هارون، دار القومية العربية للطباعة ـ القاهرة، لسنة (١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م) ج ٣ ص ١٥٠

قال الشاعر

يَا معشر المرْدِ إني ناصحٌ لَكُم ... والمرءُ في القول بين الصدق والكذب)[١]

الصدق والكذب من اصناف الكلام التي قررها القرآن الكريم كمسلمات ثابتة ،قال تعالى (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا)[٢] (الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ)[٣] والصديق من كثر منه الصدق وقيل لمن لايكذب قط (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا)[٤] قال الامام علي عليه اجمل السلام (الصدق مطابقة المنطق للوضع الالهي والكذب زوال المنطق عن الوضع الالهي)[٥]

بصيرة الحق والباطل

(إن الحق والباطل لايعرفان بالرجال)[٦] كما يقول الامام علي عليه السلام لانهما من البصائر الوجدانية الثابتة ومن علامة الحق انشراح الصدر لقبوله لاحظ قول الإمام الصادق عليه السلام (إن الله إذا أراد بعبد خيرا شرح صدره للإسلام ، فإذا أعطاه ذلك أنطق لسانه بالحق وعقد قلبه عليه فعمل به، فإذا جمع الله له ذلك تم له إسلامه ، وإذا لم يرد الله بعبد خيرا وكله إلى نفسه ، وكان صدره ضيقا حرجا ، فإن جرى على لسانه حق لم يعقد قلبه عليه، وإذا لم يعقد قلبه عليه لم يعطه الله العمل به)[٧] فالحق

---

[١] معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي (ت ٩٦٣هـ) ط١، مصر، القاهرة، ١٣٦٧هـ، ج ١ ص ١٤

[٢] سورة النساء الآية ١٢٢

[٣] سورة النحل الآية ١١٦

[٤] سورة مريم الآية ٤١

[٥] ميزان الحكمة، محمد الريشهري، مصدر سابق ج ٥ ص ١٧٨

[٦] المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٤٨

[٧] المصدر نفسه ج ٢ ص ٣١٥

المطابقة والموافقة كمطابقة مفتاح الباب في حقله المناسب لدورانه ،والحق على أوجه هي:

الاول: يقال لموجد الشيء بسبب ما تقتضيه الحكمة كقوله تعالى(فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ) [١]

الثاني : يقال للموجد بحسب مقتضى الحكمة ولهذا يقال فعل الله تعالى كله حق ، كقوله تعالى : (وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ) [٢]

الثالث : في الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه كقولنا اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق ، قال تعالى : فهدى الله الذين ءامنوا لما اختلفوا فيه من الحق

الرابع : للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وبقدر ما يجب وفي الوقت الذي يجب كقولنا فعلك حق وقولك حق ، كقوله تعالى : حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [٣]

بصيرة النجاسة والطهارة

{{ النجاسة ؛ القذارة وذلك قسمان قسم يدرك بالحاسة وضرب يدرك بالبصيرة ، والثاني وصف الله تعالى به المشركين فقال (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) ويقال نجسه أي جعله نجسا ، ونجسه أيضا أزال نجسه ومنه تنجيس العرب وهو شيء كانوا يفعلونه من تعليق عوذة على الصبي ليدفعوا عنه نجاسة الشيطان والناجس والنجيس داء خبيث لادواء له} [٤] { الطهارة قسمان طهارة جسم وطهارة نفس وحُمل عليهما الايات عامة، يقال طهرته فطهر وتطهر واطهر

---

١ سورة يونس الآية ٣٢

٢ سورة يونس الآية ٥٣

٣ المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، مصدر سابق ص ١٣٢

٤ المصدر نفسه ص ٤٨٥

فهو طاهر ومتطهر قال {وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا – المائدة ٦ } أي استعملوا الماء أو ما يقوم مقامه قال {وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ – البقرة ٢٢٢ } أي يفعلن الطهارة التي هي الغسل وقال {رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ – التوبة ١٠٨ } فانه يعني تطهير النفس وقوله في صفة القرآن {مرفوعة مطهرة} أن الطاهر قسمان قسم لايتعداه الطهارة كطهارة الثوب فانه طاهر غير مطهر به ٠ وضرب يتعداه فيجعل غيره طاهرا به ٠ فوصف الله تعالى بأنه طهور تنبيها على هذا المعنى}}[١]

ان هذه البصائر ثابتة خالدة لجميع البشر من دون استثناء وهي خارجة عن تصرف وقدرة الشياطين ٠ ان قدرة العقل على معرفة القيم الاخلاقية ونقائضها لايمكن انكارها كالصدق والكذب ، الوفاء والخيانة ، الحق والباطل ، والقوانين البدهية (الموجود لايكون معدوما) والمباديء الرياضية (٢+٢= ٤) والقرارات الوجدانية (النفس تحب من احسن اليها وتبغض من اساء اليها) والقوانين الفطرية (الكل اكبر من الجزء) والاسس المنطقية (شروق الشمس دليل بداية النهار) ان هذه الثوابت العقلية هي البصائر التي قصدها القرآن الكريم وفي هذا الاتجاه قال الامام علي عليه السلام(نظر البصر لايجدي اذا عميت البصيرة)[٢] ان هذه البصائر ليس لها وجود في الخارج ولاتدرك بالحواس الظاهرية وهي أي البصائر معصومة عن الخطأ وعارية عن احتمال عدم المطابقة مع الواقع وتضطر النفس للاذعان لها من دون ان تطالب بدليل أو برهان على صحتها وهي الحجر الاساس للعلوم والاكتشافات والاختراعات

---

١ المصدر السابق ص ٣١١

٢ غرر الحكم ودرر الكلم، الآمدي، مصدر سابق ج١ ص١

وكل معرفة تتولد عن معرفة سابقة صعودا حتى ينتهي الصعود الى البصائر التي هي مصدر المعارف البديهية التي لم تنشأ عن معارف سابقة وتعتبر العلة الاولى للمعرفة وقد اجمل الفقهاء إهم تجليات البصائر بصورة شاملة فاسموها اليقينيات

(أقسام اليقينيات)١

تنقسم القضايا اليقينية البدهية التي يؤمن بها العقل من دون ان يطلب الدليل على ستة انواع هي :

١) الأوليات : وهي قضايا يصدق بها العقل لذاتها أي من دون سبب خارج عن ذاتها، فالعقل يصدق بها فورا ويجزم بصدقها مثل قولنا (الكل أعظم من الجزء) أو (النقيضان لايجتمعان)

٢) المشاهدات : وهي القضايا التي يحكم بها العقل بوساطة الحس ، والحس على قسمين ، ظاهري وباطني فالحكم بأن الشمس مضيئة والنار حارة ، يحكم بها العقل بوساطة الحس الظاهري كما ان العلم بأن لنا ألما ولذة وجوعا وعطشا يدركه العقل بوساطة الحس الباطني وهذا هو المسمى بالوجدانيات في علم النفس فالحاكم هو العقل بوساطة أحد الحسين وعلى ذلك فالمراد من المشاهدة أي المشاهدة بالحس الظاهري أو الباطني ،

٣) التجريبيات : وهي احدى اليقينيات التي يحكم بها العقل بوساطة تكرار المشاهدة مما يوجب ان يرسخ في النفس حكم لاشك فيه كقولنا (إن الحديد يتمدد بالحرارة) بعد ان جربنا هذه الحالة مرات عدة ،

---

١ نظرية المعرفة، جعفر السبحاني، مصدر سابق ص ٤٠ – ٤١

٤) المتواترات : وهي قضايا تسكن اليها النفس سكونا يزول معه الشك ويحصل الجزم القاطع وذلك بواسطة اخبار جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب كعلمنا بوجود البلدان النائية

٥) الحدسيات : وهي قضايا مبدأ الحكم بها حدس قوي من النفس يزول معه الشك ويذعن الذهن بمضمونها مثل حكمنا بأن نور القمر مستفاد من الشمس ومنشأ هذا الحكم هوغياب ضوء القمر عندما تقع الارض بين الشمس والقمر.

٦) الفطريات : وهي القضايا التي قياساتها معها أي ان العقل لايصدق بها بمجرد تصورها كالاوليات بل لابد لها من وسيط الا ان هذا الوسيط ليس مما يذهب عن الذهن حتى يحتاج الى فكر مثل حكمنا بأن الاثنين خمس العشرة فأن هذا حكم بدهي الا انه معلوم بوسيط

ان حصر اليقينيات في ستة حصر استقرائي مشهور بين جمهور المحققين . وليس حصرا عقليا وقد زاد عليها القاضي الايجي قسما سابعا اسماه – الوهميات في المحسوسات – نحو : كل جسم في جهة . كما جعلها الغزالي سبعة هي : الاوليات ، المشاهدات الباطنة ، المحسوسات الظاهرة ، التجريبيات ، المتواترات ، الوهميات ، المشهورات[١]

ويمكن اضافة اقسام اخرى الى اليقينيات مثل

١- المشمومات : التي يمكن تقسيمها الى ثلاثة انواع هي :

أ- المشمومات المحببة مثل رائحة الورد ، رائحة شواء اللحم ، رائحة النسيم ، رائحة التفاح والبرتقال الخ . ان رائحة الورد طيبة باتفاق جميع الناس في جميع العصور والامكنة .

---

[١] نظرية المعرفة، جعفر السبحاني، مصدر سابق ص ٤١

ب- المشمومات المنفرة أو المكروهة مثل رائحة النجاسة ، رائحة الجيفة ، رائحة غازات البطن الخ

ت- المشمومات الحيادية: التي لاتثير اثرا سلبيا او ايجابيا في النفس مثل رائحة التراب ، رائحة الخشب الخ

٢- المذوقات: التي يمكن تقسيمها الى ثلاثة انواع هي :

أ- المذوقات الطيبة مثل التفاح ، البرتقال ، الجوز ، الموز ، العنب ، اللحم الخ . ان جميع الناس في ارجاء المعمورة متفقين على ان التفاح طيب المذاق وكذلك بقية الفواكه

ب- المذوقات غير الطيبة مثل المياه الآسنة ، الجيفة ، الميتة ، الدم ، لحم الخنزير الخ ان جميع الناس في ارجاء المعمورة متفقين على ان المياه الآسنة غير طيبة المذاق وكذلك الجيفة والميتة الخ

ت- المذوقات الحيادية: مثل المالح والحامظ والحلو والمر فلا يستطيع أحد ما ان يزعم ان الحنظل حلو والسكر مر وتمر الهند مالح وان اليود حامظ . ان جميع الناس في كل مكان متفقين على ان الحنظل مر والسكر حلو وتمر الهند حامظ واليود مالح. الخ

٣- الملونات ويمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام هي

أ- ملونات محببة الى النفس مثل زرقة السماء ، خضرة الشجر ، صفاء الماء ، ضوء القمر الخ

ب- ملونات غير محببة الى النفس مثل شكل النجاسة ، جلد الافعى ، لون الضفدع الخ

ت- الملونات الحيادية : مثل الاحمر والاخضر والاسود والابيض والازرق ...الخ فانها من اليقينيات فلا احد من البشر يقول: ان الاسود أحمر

أو يقول ان الاخضر هو ازرق أو يقول ان الابيض هو أخضر بل يقول الجميع بيقين تام من دون ان يعترض احد : ان هذا اللون اسود وهذا اللون احمر وهذا اللون ابيض الخ فالالوان من اليقينيات

أ- الملموسات : ويمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام هي

ب- ملموسات محببة الى النفس • مثل لمس الورد ، لمس التفاح ، لمس العنب ، لمس البطيخ الخ

ت- ملموسات غير محببة للنفس ، مثل ، لمس الشوك ، لمس النار

ث- ملموسات حيادية : مثل لمس الشجر ، لمس النبات ، لمس الارض الخ

أ- المسموعات : ويمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام هي

ب- مسموعات محببة الى النفس مثل تغريد البلبل ، زقزقة العصفور ، صوت الحبيب

ت-مسموعات غير محببة الى النفس • مثل فحيح الافاعي ، نهيق الحمار ، جهيش البكاء الخ

ث- مسموعات حيادية: مثل صوت السيارة ، خوار البقرة ، صهيل الحصان

أ- المنظورات: ويمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام هي

ب- منظورات محببة الى النفس مثل (الماء والخضرة والوجه الحسن) ومجموع النباتات كالزرع والشجر الخ

ت- منظورات غير محببة الى النفس مثل : انسان مقتول ، ساق مبتور ، أفعى ، عورة الانسان ، عورة الحيوان الخ

ث- منظورات حيادية : وهي مجموع الجمادات والحيوانات مثل الحجر والجبل والرمل والحصى والبغال والحمير

فلا يمكن حصر اليقينيات بصورة نهائية بل يمكن القول بثقة ان جميع القوانين المنطقية بل حتى قوانين علم الرياضيات وقوانين علم الفيزياء وقواعد علم الاحياء وقواعد استنباط الاحكام الفقهية والقوانين الاخلاقية وقواعد اللغة تعد من اليقينيات ، ان أهمية اليقينيات هو كونها تعد مهماز ومرتكز وقاعدة انطلاق لابد منها لاكتمال المعرفة البشرية، وهناك قيم نسبية تتغير بتغير الحضارات أو الزمن مثل العادات والتقاليد العرفية وهي من العلم المكتسب مثلا : اكرام المحسن فانه امر يستحسنه العقل ولا يتغير حكم العقل هذا ابدا وانما الذي يتغير بمرور الزمان هو وسائل الاكرام وكيفياته فالاصول الاخلاقية ثابتة والعادات والتقاليد (التي ليست الا لباسا للاصول البصائرية) هي المتغيرة ان هذه الاصول- البصائر- قد نزلت على جميع البشر من دون استثناء بطريقة الالهام بتسديد وتأييد من قبل الله سبحانه وتعالى كما يبدو واضحا في آيات القرآن الكريم .

الخلاصة ؛

إن البصائر ليست هي المعقولات بل هي سبب معرفة المعقولات وفي الوقت نفسه هي المعيار والحجر الاساس لتشخيص الحق عن الباطل والصواب عن الخطأ ومجموعة عظيمة من القضايا البدهية يجدها في باطن عقله يذعن بها الانسان من دون حاجة الى إقامة برهان أو طلب دليل وقد أعطيت من الله لجميع البشر بالتساوي ويسلم بها كل انسان ، فاذا طرحت امام الانسان قضية ما لايدري هل هي صحيحة وصادقة أو زائفة وموهومة يرجعها الى القضايا والمعارف البدهية - البصائر - فإن صدقت تلك كانت هذه قضية حقة وان لم تصدقها كانت قضية باطلة

٦ ـ الفطرة

قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله)[1] ماهي الفطرة ؟ ورد في كتب الشريعة الاسلامية شروحات عديدة وآفاق واسعة لشرح الفطرة وسنعرض أهمها :

(الفطرة لغة : أصل الفطر ؛ الشق طولا ، يقال فطر فلان كذا فطرا وأفطر هو فطورا وانفطر انفطارا ، قال : هل ترى من فطور؟ أي اختلال، وفطر الله الخلق وهو ايجاده الشيء وابداعه على هيئة مترشحة لفعل من الافعال فقوله : فطرت الله التي فطر الناس عليها ، فاشارة منه تعالى الى ما فطر أي أبدع وركز في الانسان من طبائع)[2]

الفطرة اصطلاحا : وردت تعريفات عديدة أهمها الآتي:

١ - (هي الشعور الذاتي الذي يحسه الانسان من نفسه ، و لا يعرف له مصدرا و لا تفسيرا كالواخز الذي يشعر به حين يفعل أو يحاول أن يفعل أمر ما)[3]

٢ - هي الطبيعةُ السليمة التي يكون عليها كل موجود اول خلقه قبل ان تُشَبْ بعيب ،

٣ - هي معلومات يمتلكها الإنسان مع قيام وجوده في هذه الدنيا وترتبط بالغرائز والميول، نظير أن يكون جائعاً فيأكل حتى يشبع، وعطشاناً فيشرب الماء حتى يرتوي

٤- هي المبادئ والأفكار الموجودة في النفس قبل التجربة.

---

[1] سورة الروم الآية ٣٠

[2] المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، مصدر سابق ص ٣٨٤

[3] في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ) ط٢، بيروت، ج١ ص ٥٠

٥- القانون الإلهي الطبيعي الذي اهتدت به النَّفسُ الأولى، وتتابعت من بعدها الأنفس المشتقة منها، والذي يحمل كالسمة اللازمة جيلاً بعد جيل، وقرناً من بعد قرن، إلى أن تقوم الساعة.

٦- كيان النفسي يسيطر على وحدة تشمل الجسم والعقل والروح. أي المادة واللامادة)١

٧- هي شهوات الجسد ورغبات النفس وتأملات العقل وسبحات الروح. ونزوات الحس الغليظة وتأملات الفكر الطليقة ورفرفات الروح الطائرة)٢

٦ - هي ناموس طبيعي ثابت يدفع المخلوق الى تتميم نواقصه ورفع حوائجه ويهتف له بما ينفعه ويضره في حياته)٣

٧ - هي أحكام أكثر بداهة من كل أمر بديهي، لم يختلف فيها الناس ولن يختلفوا ولا يوجد مثلها في البداهة والوضوح، ، وهي من أوضح الضروريات وأبده البديهيات)٤

٨ - وهي إيجاد الشئ في الخلق وإبداعه على هيئة مترشحة لفعل من الافعال)٥

٩ – (هي العلم بما ينبغي له فعله و ما لا ينبغي له فعله)٦

---

١ موسوعة الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، علي بن نايف الشحود (موقع التفاسير) ج ١١ ص ١٥٢

٢ المصدر نفسه

٣ الصحيح من السيرة، جعفر مرتضى الحسيني العاملي، الطبعة الرابعة، دار الهادي للطباعة، بيروت، ١٩٩٥م، ١٤١٥هـ، ج ٥ ص ١٣٢

٤ التربية والمجتمع : مصطفى الخميني، إعداد ونشر / مركز الإمام الخميني الثقافي، طهران ج ١ ص ٤

٥ مفردات غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، مصدر سابق ج١ ص ٣٨٢

٦ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطبطبائي، مصدر سابق ج ٥ ص ١٧٨

١٠ - هي (العقل العملي)١ كما هو ملاحظ في استعمال الجوارح والقوى في مصلحة بدن الانسان وعقل فيما يعود على النفس كمالاً

١١- (إنها الشيء الذي لا يتبدل في الروح والجسد)٢

١٢ـ (هي الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل والتي هي معدة، ومهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله ، ويستدل بها على ربه، ويعرف شرائعه ويؤمن به)٣

١٣- (هي تلك الحالة الواعية الاصيلة في شخصية الإنسان التي من خلالها يهتدي إلى الاشياء وتنطوي على مجموعة من الميول والمعارف رُكّبت وركّزت في أعماق الإنسان و تعدّ من لوازم وجوده)٤

١٤- (هي من الألطاف التي خصّ الله تعالى بها الإنسان من بين جميع المخلوقات ، إذ إن الموجودات الأُخرى غير الإنسان إما أنّها لا تملك مثل هذه الفطرة المذكورة ، وإمّا أن لها حظاً ضئيلاً منها)٥

١٧ - الامام محمد بن علي الباقر-ع- فسر (الفطرة بانها المعرفة)٦ أي معرفة جميع مباديء الخلقة

ان الفطرة موضوع يبتعد عن التعريف والقولبة ويقترب من الفهم والادراك وبالتالي يمكننا القول : ان الفطرة هي القانون العام الذي يسري على عالم الاشياء ولايتبدل ٠ أو: هي الهيئة الخاصة الّتي خلق بها الإنسان و

١ تفسير سورة الحمد، جعفر مرتضى العاملي، ط٢ .المركز الاسلامي للدراسات، بيروت، ١٩٩٩م ج١١ ص ١٥

٢ البدعة وأثرها في محنة المسلمين : أبو إسحاق الحويني الأثري حجازي محمد شريف ج ٢ ص ٦

٣ نقض إصول العقلانيين، سليمان بن صالح الخراشي،الناشر : دار علوم السنة، الرياض: مكتبة صيد الفوائد ١٤٢١هـ، ج٣ ص ٣٨

٤ لماذا نحن مسلمون، حميد جابر القرشي ص ١٠٠

٥ المصدر نفسه

٦ التوحيد والفطرة، مصطفى الخميني، مركز الإمام الخميني الثقافي، طهران ج١ ص٨

فيها تلك الخصائص التي أودعها الله فيه وميزه عن بقية خلقه.ولو استخدمنا مصطلحات علم النفس نقول:

١٨ - الفطرة هي مجموع الدوافع والضوابط النفسية والجسدية والهرمونية التي تنظم حياة الفرد وبعبارة اشمل : هي مجموع الهرمونات المادية في الجسم (الغرائز) والهرمونات النفسية (الطبائع) موضوعة في قالب مشترك عام اسمه الفطرة

انموذجات من عالم الفطرة :

في نظام الفطرة كل مخلوق (ميسر لما خلق له سائر في طريقه إلى غاية وملايين الملايين من الحركات والأحداث والأحوال تتجمع وتتفرق وهي ماضية في طريقها كنغمات الفرقة العازفة بشتى الآلات ، لتجتمع كلها في لحن واحد طويل مديد!)[١] فالحيوانات مثلا لاتأكل فصائلها (فالأسد ليس في الأسود أسدا ، والنمر ليس في العرين نمرا) [٢] ومن الحيوان ما هو بليد حتى أبلد الحيوان الذي نضرب ببلادته المثل وهو البقر ومنها مايضرب المثل بذكائه وهو الكلب ، ان النحلة تجرس من انواع الزهر ما هو صالح للتعسيل دون غيره ونلاحظ الاسد ياكل اللحم في حين يأكل الحمار الشعير وهكذا وعلى صعيد الانسان وهو موضع اهتمام البحث نلاحظ وجود أمور مشتركة بين جميع البشر من دون تفريق مثلا: اندفاع الطفل لتناول ثدي أمه والارتضاع منه بمجرد أن ينفصل عن رحم أمه كذلك فهو يعرف الماء وسيلة إلى ريّ الإنسان والطعام وسيلة إلى شبعه واللباس وسيلة إلى حمايته من الحر والقر

---

١ في ظلال القرآن، سيد قطب (ت١٣٨٥هـ) ط ١١، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج ٨ ص ٢٣

٢ الاسلام يتحدى، وحيد الدين خان، تحقيق : عبدالصبور شاهين، الطبعة الاولى، الكويت ١٩٦٩م، ج١ ص ١١٧

والسيارة وسيلة إلى انتقاله من مكان إلى مكان كذلك استعمال الانسان لجوارحه فيما يعود على النفس والجسم كمالا ولايقوم الانسان الا بالعمل النافع له الذي فيه مصلحة البدن والروح ويتجنب العمل الضار لكيانه ،ينبذ الروائح الكريهة ويقبل شوقا الى العطور الزكية ، يطرب على الاصوات الجميلة وينفر من الاصوات المنكرة، ياكل اللحوم الطيبة ويرفض اللحوم الفاسدة يرى الفواجع فيخفق لها قلبه ويرى المباهج والمناظر الجميلة فلا تفتر شفتيه عن الابتسامة وتجد في عينيه بريق السعادة (لقد نشأ الانسان منذ نعومة أظفاره محباً للسعادة والهناء فاراً من البؤس والشقاء فكل الناس يحبون أن يكونوا سعداء مرفهين ويصرفون كل جهودهم في سبيل تحقيق ذلك الهدف المقدس النير السعادة) ١ ومن الفطرة الضحك والبكاء فعندما يرى المرء او يسمع أمرا خارج النظام الفطري الطبيعي فانه يبتسم فاذا كان الاختلاف حادا عن النظام الفطري المعتاد يضحك الانسان وتكون مستوى ضحكاته على قدر هذا الابتعاد عن النظام الفطري المعتاد، فاذا كان الاختلاف باتجاه معاكس للضحك فاذا واجه الانسان أمرا محزنا فانه يكتئب فاذا كان الحزن غير اعتيادي أي بعيد عن النظام الفطري الطبيعي بشكل حاد يتحول الحزن او الاكتئاب الى بكاء ، وقد يكون الضحك شديد او حتى هستيري وقد يكون البكاء شديد وهستيري بقدر زاوية الاختلاف عن النظام الفطري الذي ألفه الانسان في طبيعة صنعته او خلقته ، وفي حالة الضحك فسيظهر مقدم الاضراس ويفتح فاه بشكل عريض وفي حالة البكاء ستجري الدموع من عينيه ويفرك عينيه بشكل متواصل لاحظ هنا الاشارة القرآنية بكون الضحك حالة

---

١ الطفل بين الوراثة والتربية، فاضل الحسيني الميلاني، دار التعاريف للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٩م ، ج١ ص ٢٤

تقع خارج ما هو مألوف في وصفه من السياق الطبيعي قال تعالى (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ • حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ • فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا)[1]

وهذه اشارة باتجاه آخر مختلف موغل في الحزن لما رأى والد يوسف من ابتعاد عما هو مألوف من العشرة بين الوالد والولد (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ)[2] ويعد الحذر من الخطر واحد من القوانين الفطرية الاصيلة فانك ترى الطفل يتجنب الانزلاق من شاهق من دون ان يعلمه أحد ويصرخ بكلمة عيب عندما تكشف عورته! كما (ان الانسان بطبعه يميل الى الالفة والانسجام مع غيره فهو يتأ ثر فيما يسود مجتمعه من اعراف عامة في طريقة الملبس او الحديث او ،وينعكس هذا التاثير عمليا على سلوكه وتصرفاته بصورة عامة)٣ قال الشاعر ابو العلاء المعري

ولو أني حُبيتُ الخلدَ فرداً ... لما أحببتُ بالخلدِ انفرادا)[4]

وفي الانسان (شعور يدفعه لتنظيم شؤونه الاسرية والاجتماعية)٥ إنك لو سألت أي إنسان عن رأيه في الوحدة والتفرقة لما تردد في الإجابة بأن الوحدة خير وأن التفرقة شر بغض النظر عن التفاصيل والملابسات وفي أمر الوظائف والحقوق الإجتماعية بين الأفراد أن الجميع يؤمن بقاعدة أن يساوي بينهم في

---

[1] سورة النمل الآيات ١٧-١٩

[2] سورة يوسف الآية ٨٤

٣ تفسير سورة الحمد ج٨ ص ١٤

[4] جواهر الأدب، أحمد الهاشمي، مكتبة مشكاة الإسلامية ج١ ص ٦٢

٥ النظرية الاجتماعية في القرآن، زهير الأعرجي ج١ ص ١١

الحقوق والوظائف • كذلك يؤمن كل سكان كوكب الارض بشعور العائلة الانسانية الواحدة • ومن أمثلة الفطرة إتصاف الانسان بما تقتضيه الطبيعة البشرية من الحاجة الى الأكل والشرب والنوم والبول والغائط والزواج ومدافعة البرد والحر والعدو ومن التمتع بالنكاح واطايب المأكول والمشروب وادراكه الجوع والعطش والرقة واللين والحنين الى الوطن والحياء فهذه انواع من المعلومات لايمكن احتسابها ضمن دائرة التعلم والتعليم بل نوع من المعلومات التي يجدها الانسان في اعماقه من دون عناء•وترى المولود يولد على محبة ما يلائم بدنه من الأغذية والأشربة، فيشتهي اللبن الذي يناسبه" • الرجل والمرأة انموذج آخر فرق الخلقة بينهما في التكوين الجسدي لحكمة بالغة وهي أن لكل منهما رسالة في الحياة تليق به وبطبيعته ومؤهلاته، فالأمومة بكل خصائصها وفضائلها ومتاعبها هي صميم رسالة المرأة الفطرية• لاحظ إن الجاذبية بين الرجل والمرأة لا تتغير ولن تتغير مدى الدهر وهي شيءٌ يجري في عروقهما وينته في كلٍّ من الجنسين ميوله وغرائزه الطبيعية فإن الدم يحمل الإفرازات الهرمونية من الغدد الصماء المختلفة فتؤثر على المخ والأعصاب وغيرها من الأعضاء بل إن جزءًا من كلِّ جسم يتميز عما يشبهه في الجنس الآخر ولذلك تظهر صفات الأنوثة في المرأة في تركيب جسمها كله وفي شكلها وأخلاقها وأفكارها وميولها وصوتها كما تظهر مميزات الذكورة في الرجل في بدنه وهيئته وصوته وأعماله وميوله، وهذه قواعد طبيعية لم تتغير من يوم أن خلق الله الإنسان ولن تتغير حتى تقوم الساعة (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ)١ ومن نظام الفطرة عدم الميل الى مباشرة الاخ الاخت

١ سورة آل عمران الآية ١٣

ويقال لمن يمارس هذا النوع من الجنس بانه شاذ عن القاعدة الفطرية ويقال الكلام نفسه لمن يمارس الجنس مع مثيله ومن أمثلة القوانين الفطرية غريزة السعي للبقاء ورفض الموت والفناء كراهة النقص والعشق للكمال المطلق و الجمال المحض (فقد جُبِل جميعُ البشر من غير استثناء على العشق للكمال فمع التجوّل في الأدوار التي مرّت بها البشرية واستنطاق كلِّ فرد من أفرادهم وكلِّ طائفة من طوائفهم نجد أن هذا العشق و الحبّ قد جُبل في طينته ونجد أن قلبَه متوجِّه نحو الكمال بل جميع حركاته ومساعيه ليست هي إلاّ لأجل هذا الحب الكامن في ضميره فهو يريد الوصول إلى الكمال ويطلب مشاهدة معشوقه ومحبوبه وكلٌّ يجد معشوقه في شيء فيطلب ذلك الشيء و يتفانى في سبيله فأهلُ الدنيا يحسبون الكمال في الثروة فيسعون للوصول إليها وأهل العلم في العلم وأهل الآخرة في العبادة وهكذا فالناس جميعهم يسعَون نحو الكمال فإذا تصوَّرُوه في موجودٍ أو موهومٍ تعلَّقُوا به وعشقوه ولكن على الرغم من ذلك فليس عشقُهم لهذا الذي ظنوه بأنه معشوقهم وهذا الذي توهموه وتخيَّلوه ليس هو كعبة آمالهم إذ لو رجع الإنسان إلى فطرته لوجد أن قلبه في الوقت الذي يُظهر العشق لشيءٍ ما فإنَّه يتحوّل عن هذا المعشوق إلى غيره إذا وجد الثاني أكمل من الأول وهكذا بل إن نيران عشقه لتزداد اشتعالاً فالإنسان يحبُّ الجمال فيصل إليه ولا يقتنع به بل يطلب أجمل منه وهكذا و يعشق القدرة فيصل إليها ثم لا يستقر بل يتزايد حبُّه إليها ولا تخمد نار اشتياقه أصلاً بل تزداد لهيباً وهذه الحالة تشمل جميع افراد البشرية من غير استثناء، ثمَّ إنَّ الإنسان إنَّما يعشقُ الكمالَ الذي لا عيب فيه و لا كمال بعده والعلم الذي لا جهل فيه والقدرة التي لاعجز فيها والحياة التي لاموت فيها أي

الكمال المطلق)١ ومن مظاهر الفطرة الثابتة الى مدار التاريخ التعبد وهذه حقيقة غير قابلة للتبديل أو التغيير فالإنسان قد خلق وخلق معه الإحساس بالحاجة إلى الركون إلى عقيدة ما والتاريخ يشهد ويؤكد على أن ما من عصر أو زمان أو مكان إلا وكان الناس فيه متدينون بدين ونحن اليوم نجد في كل مدينة أو قرية مركزاً للعبادة سواء كان هذا المركز معبداً للأوثان أو كنيسةً أو مسجداً ثم (إن الإنسان مفطور على اللجوء إلى ربه تبارك وتعالى عند الشدائد فإذا ما وقع الإنسان أي إنسان حتى الكافر الملحد في شدة أو أحدق به خطر فإن الخيالات والأوهام تتطاير من ذهنه ويبقى ما فطرعليه ليصيح بأعلى صوته ومن قرارة نفسه وعميق قلبه منادياً ربه؛ ليفرج كربته وهمه ويلجأ إليه وحده دون سواه)٢ وصدق الله تعالى إذ يقول (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ)٣ ومن مظاهر الفطرة ان النفس الإنسانية لا تساوي بين العالي والسافل، والشريف والوضيع فإن من طبعها التفريق بينهما وتفضيل العالي والشريف والخير على السافل والوضيع والشرير وتنفر غاية النفور من ترفع الأراذل وخفض الأفاضل، إن النفس تعمل على اعلاء قيم الصدق والامانة وإسفال قيم الكذب والخيانة وترى العدل كل العدل أن ينزل كل شيء منزلته ومن مظاهر الفطرة ان الانسان يقبل الخير حين يعلم بأنه خير ويرفض الشر حين يعلم بأنه شر ومن مصاديق الفطرة عشق الراحة وعشق الحرية ...

---

١ محال مشيئة الله الخلق، مطبوعات الكوثر ج١ ص ٧١

٢ رسالة الشيخ محمد بن ابراهيم الحمد في العقيدة، محمد بن إبراهيم الحمد ج١ ص٤

٣ سورة العنكبوت الآية ٦٥

سمات الفطرة

١) انها عامة مشتركة لجميع الناس

٢) انها ثابتة خالدة في صميم تكوين المخلوق منذ خلقه حتى موته (لا يختلف مسيرهم ولا يدعو آخرهم إلا إلى ما دعا إليه أولهم و إن اختلفت دعوتهم بالإجمال و التفصيل بحسب اختلاف أعصار الإنسانية تكاملا و رقيا)[١]

٣) انها تشمل الجانب الروحي والجانب المادي

٤) هي متساوية عند جميع الناس قال تعالى (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً)[٢] والمراد فيها بالإنسان الفطري الإنسان الساذج الذي يعيش على الفطرة الإنسانية الذي لم تفسده الأوهام الفكرية والأهواء النفسانية)[٣] وهذا دليل على سلامة الفطرة الخلقية الاولى

٥) ان المعلومات الفطرية سابقة للعلم وهي اكثر اصالة منه وهي مستثناة من الآية التي جاءت في أول البحث (وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُم لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً)[٤]

٦) الفطرة حالة استعداد لا تعني الإجبار وسلب الإختيار(وتهتف له بما ينفعه وما يضره في حياته) [٥]

---

١ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطبطبائي، مصدر سابق ج٧ ص ١٢٠

٢ سورة البقرة الآية ٢١٣

٣ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطبطبائي، مصدر سابق ج ١٦ ص ٩٨

٤ نفحات القرآن، ناصر مكارم الشيرازي، مصدر سابق ج٣ ص ١٣

٥ الصحيح من السيرة، جعفر مرتضى الحسيني العاملي، مصدر سابق ج ٥ ص١٣٢

هل تتغير الفطرة ؟

سؤال لابد من طرحه ولاجل الاجابة الصحيحة نقول : دلّت التجارب والبراهين العقلية على أنّ الأصل الأوّلي في الخليقة هو السلامة وأنّ المرض والانحراف أمران يعرضان على المزاج ويزولان بالمداواة والمعالجة، وليس هذا الأصل مختصاً بالسلامة من حيث العيوب الجسمانية، بل الأصل هو الطهارة من الأقذار والأدران المعنوية)[١] فقد خلق الإنسان على الفطرة النقيّة السليمة من الشرك والعصيان التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله: {فطرة الله التي فطر الناس عليها} [٢] ان الفطرة لاتتغير لانها ثابتة في صميم الخلقة وانما تتاثر وتضعف لعوامل واسباب منها سوء التربية وفساد البيئة والعناد واللجاج (أن تربية الإنسان والأجواء التي ينشأ فيها قد تلوث صفاء فطرته ونقاء وجدانه (وللتربية أهمية في تنمية الفطرة وابعاد خطر شياطين الإنس في تدنيسها وحرفها إلى الضلال والشرك فإن العبرة من ذلك كله تكون بأن يعمل المسلمون أفرادا وجماعات وفي كل المجالات المختصة بالتعليم والتربية والتوجيه في المحافظة على الفطرة القويمة التي حباهم الله بها وخاصة لدى الناشئة) [٣] قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (يولد الولد على الفطرة ثم يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصّرانه أو يُمجسانه كما تُنتَجُ البهيمةُ بهيمةً

---

١ الشفاعة في الكتاب والسنة، جعفر السبحاني، مركز الأبحاث العقائدية، النجف ج٤ ص ١٣

٢ سورة الروم الآية ٣٠

٣ الامثال القرآنية القياسية د - عبد الله بن عبد الرحمن المنصور الجربوع ٠ المدينة المنورة ١٤١٩ هـ. رسالة دكتوراه" بقسم العقيدة - كلية الدعوة وأصول الدين، التابعة للجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ج٢ ص ٧٨

جمعاء هل تُحِسُّون فيها من جَدعاء)[١] أي كما تولد البهيمة من إبل أو بقر أو غنم كاملة جمعاء أي بذيلها ، أي تُولد كاملة ويعمد بعض الناس إلى قطع ذيلها وجدعه وهي الجدعاء، والفطرة ها هنا ابتداء الخلق ويتبين من خلال الحديث الشريف ومن خلال الوقائع الثابتة في دنيا الحياة أنّ الولد يتأثر بأبويه من ناحية الجسم والبنية ومن ناحية العقل والذكاء ومن ناحية الفكر والعقيدة قليلاً أو كثيراً سلبًا أو إيجابًا ولذلك نجد كل مولود يعتنق معتقد ومذهب مربّيه فترى اليهودي يدافع عن اليهودية ويرى في عزير أنه (الله)، وينطبق ذلك أيضاً على النصارى الذين يقولون ان عيسى (ابن الله) ومن هذا التصور يمكننا القول ان الانسان لوتربى تربية طبيعية سليمة لاختار الاسلام والتوحيد بلا شك (لان الشرائع الإلهية ثم الدواعي النفسانية الموافقة لها كلها فطرية)[٢] فالتساؤل عن الله والبحث عن مقاصده أمر تكويني ينبع من الأعماق دون قصد أو إرادة فاذا صادف قلوبا صافية فارغة من الخبث تمكن منها تمكنا شديدا والرسل بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها لا بتحويل الفطرة وتغييرها أنّ الدين وأُصول فروعه الكليّة مركوزة في النفس البشريّة وهو شيء أشار إليه قوله سبحانه(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)[٣] ان الذي فطر عليه البشر هو الدين بمعناه الوسيع الشامل للعقيدة والأخلاق والقيم والسجايا أي العقيدة السليمة وبالتالي لاتعارض عندما نقول فطرة الله بمعنى (الدين الإسلام أو التوحيد) وهناك نوعان من التصرف الانساني خارج

---

١ التحرير والتنوير، ابن عاشور، مصدر سابق ج١١ ص٧٢

٢ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطبطبائي، مصدر سابق ج٧ ص١٧٦

٣ سورة الروم الآية ٣٠

قوانين الفطرة وهما الانحراف والسمو (وأما الانحراف المشهود عن أحكام الفطرة فليس إبطالا لحكمها بل استعمالا لها في غير ما ينبغي له من نحو الاستعمال مثال : ربما يتفق إن الرامي لا يصيب الهدف في رميته فإن آلة الرمي و سائر شرائطه موضوعة بالطبع للإصابة إلا أن الاستعمال يوقعها في الخطأ والسكاكين والمناشير والمثاقب والإبر وأمثالها إذا عبئت في الماكينات تعبئة معوجة تعمل عملها الذي فطرت عليه بعينه من قطع أو نشر أو ثقب و غير ذلك لكن لا على الوجه المقصود و أما الانحراف عن العمل الفطري كأن يخاط بنشر المنشار، بأن يعوض المنشار فعل الإبرة من فعل نفسه فيضع الخياطة موضع النشر فمن المحال ذلك ،أن الفطرة لن تبطل البتة وإنما يخطأ الإنسان في كيفية استعمالها)[1] (فهومخلوق على احسن مايرام وفي أجمل تقويم أي في أحسن هيئة قال تبارك وتعالى (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ، إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)[2] فاللوطية مثلا عكسوا فطرة الله التي فطر عليها الرجال وقلبوا الطبيعة التي ركبها الله في الرجال، وهي شهوة النساء دون الذكور فقلبوا الأمر وعكسوا الفطرة والطبيعة (والخروج على حكم الفطرة غير تبديل الفطرة، فالفطرة لا تبدل لأنها حجة بذاتها عند الإنسان)[3] ومن نماذج هذا الانحراف مثلا مباشرة الاخ للاخت مثلا ويمكن أن نمثل فطرة الله التي فطر الناس عليها بأنها جيناً ووراثياً لايمكن تعديله في مختبر علمي جين وراثي من الممكن ان يصاب بالمرض وفي حالة عمل الغريزة الجنسية في (مرحلة أعلى

---

١ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطبطبائي، مصدر سابق ج ٥ ص ١٧٩

٢ سورة التين الآيات ٤ - ٦

٣ معالم الفتن، سعيد أيوب، مركز الأبحاث العقائدية ج٤ ص٣

القمة) (الاورجازم) فانها تتصل بأعماق الفطرة ومن الممكن ان يسمو الانسان فوق قوانين الفطرة كما هو حاصل حينما يتنازل الانسان عن جزء من ثروته مثلا لصالح الفقراء او يضحي بنفسه من اجل المصلحة العامة للمجتمع وهكذا • كما ورد في القرآن الكريم مصطلحات قريبة من مفهوم الفطرة منها الصبغة والميثاق كما في قوله تعالى (صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون)[1] (الصبغ مصدر صبغتُ والصبغ المصبوغ – صبغة الله – إشارة الى ما اوجده الله تعالى في الناس مما يميزهم عن البهائم)[2] ان الله سبحانه قد صبغنا بهذا الدين صبغة تظهر علينا كما يظهر الصباغ في الثوب ويميزه بألوانه• وذلك تشبيه بالصباغ الاصلي الذي يصبغ به الثوب فيصير من أصله غير قابل للمحو أو البوار•اشارة الى ما أوجد الله تعالى في الناس من الطبائع التي تميزهم عن البهائم • وكانت النصارى اذا ولد لهم ولد غمسوه بعد اليوم السابع في ماء عمودية يزعمون أن ذلك صبغة فقال تعالى (ومن أحسن من الله صبغة)

وفي تعبير الميثاق قال تعالى (واذ أخذ ربك من بني ءادم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غفلين)[3] ان الحديث هنا في البشر عامة وعن موقفهم من الاقرار بالربوبية وأخذ الميثاق وعن كون ذلك خلقة وأصلا مركوزا في طبيعتهم بمقتضى ما خلق الله لهم من عقول سليمة قادرة على التفكير في كل ما خلق الله فالآدميون جيلا بعد جيل ينشؤون على دين التفكير السليم

---

١ سورة البقرة الآية ١٣٨

٢ المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، مصدر سابق ص ٢٧٨

٣ سورة الاعراف الآية ١٧٢

(الفطرة) فاذا حادوا عن هذا كان بسقم تفكير أو قبح تقليد وأشهد الله هؤلاء الآدميين جميعا على انفسهم بأن الله واحد لاخالق ولامعبود سواه شهادة تعقل بعد روية وتفكير ولم تكن نتيجة كلام يقال فليس الحديث هنا عن ان الانسان بعد ان رأى نفسه فهم أن له الها بل الحديث هنا ان الله أرى نفسه للانسان في اعماق ذاته وفي هذا المعنى ورد قول الفيلسوف أمرسن(إن في مقدور الانسان أي أنسان أن يرى الله في اعماق قلبه وانه اذا أنصت الى ضميره بأذن مصغية واعية سمع صوت الله في دخيلة نفسه)[1] وبعبارات موجزة ان الفطرة هي القوة الكامنة في ذات الانسان لاكتشاف الحق والحقيقة اما الصبغة فهي قوة كامنة تجعل الانسان يريد اظهار الجانب الخير على ذاته امام المجتمع ، أما الميثاق فهو الشعور الاصيل في اعماق الانسان بأن الله هو الخالق فلا يوجد تعارض بين مفاهيم الفطرة والصبغة والميثاق التي طرحها القرآن الكريم بل هناك تكامل وتوافق وانسجام ،ولابد من الاشارة الى ان موضوع الفطرة في القرآن الكريم لايمت بصلة لنظرية الافكار الفطرية التي طرحها ديكارت فهذه النظرية تقول بوجود أفكار في حين ان نظرية القرآن تتحدث عن رغبات كامنة في اعماق النفس البشرية ومن ثم تخرج الى الفعل من خلال التفتح التدريجي بعد الاتصال بالخارج عبر ادوات المعرفة، ان هذه الرغبات تتوزع في جميع ادوات المعرفة فالعين ترغب في رؤية المناظر الطبيعية والاذن ترغب في سماع النغمات الهادئة والقلب يعشق كل جميل والنفس ترغب في زيادة الثروة وهناك دراسات كاملة في علم النفس حول موضوع الرغبات الفطرية ،ان المعلومات الفطرية الكامنة أكثر عمقا وثباتا وأصالة من البصائر،

---

١ الله يتجلى في عصر العلم، مجموعة من العلماء، ترجمة د عبدالمجيد الدمرداش، دار التربية بغداد ١٩٨٨م ص ٢٤

وتقول نظرية القرآن الكريم ان هناك حالات استثنائية في مفهوم الفطرة الموروثة التي تحصل لعدد محدود من البشر تكون على نوعين :

الاول ؛ وراثة الصفات الايجابية : كقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ)[١] (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) [٢] كنوع من التكريم الالهي ، يقول اتباع الاصفياء من أهل بيت النبي ، قال الشاعر

بآل محمد عرف الصواب ... وفي أبياتهم نزل الكتاب
وهم حُجج الإله على البَرايا بهم وبجدّهم لا يُستراب [٣]

الثانية ؛ وراثة الصفات السلبية : وقد تورث عن طريق الفطرة الصفات السلبية كنوع من الانتقام الالهي كقوله تعالى (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ، إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا)[٤] وهذا ما حصل لبني اسرائيل الذين (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) [٥] ويمكن القول إن اليهود ورثوا الصفات السلبية

قال الشاعر

لعن الإله من اليهود عصابة ... بالجزع بين صليصل وصرار

---

١ سورة آل عمران الآيتان ٣٣ - ٣٤

٢ سورة الاحزاب الآية ٣٣

٣ مستدرك سفينة البحار، علي بن محمّد بن إسماعيل النمازي (ت ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م)، مؤسسة البعثة، طهران، مطبعة بهمن، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٨م، ج١ ص ١٨١

٤ سورة نوح الآية ٢٦ و من الآية ٢٧

٥ سورة البقرة الآية ٦١

قوم إذا هدر العصير رأيتهم ... حمرا عيونهم من المصطار
إن الفوارس يعلمون ظهوركم ... أولاد كل مقبح أكار)[1]

ورد في السنة النبوية الشريفة قول النبي محمد (ص) (تخيروا لنطفكم فان العرق دساس) فان العرق تعني بالضبط الجين، وتقول الدراسات العلمية الحديثة ان (للعامل الوراثي دور في تركيب شخصية الفرد وسلوكه العام ومن الدراسات المشهورة في هذا المجال دراسة العالم جوست لونتاج عام ١٩٤٤م واستخدمت فيها سبعة مقاييس للجانب العصبي والفيسلويوجي تبين من خلالها العلاقة الواضحة بين الغضب وزيادة ضغط الدم وتبين ان تركيب الجهاز العصبي يتدخل كثيرا في استجابات الفرد للاحداث التي تحيط به وكذلك تبين وجود اثر للوراثة في الضعف العقلي وفي مستوى ذكاء الفرد)[2] ولابد من الاستدراك بالقول ان تركيب الجهاز العصبي لايصنع المعرفة كما تقرر النظرية النسبية في المعرفة ولكنه يؤثر في نوعية السلوك واتجاهاته وحسب،كذلك (تلعب الغدد الصم ومدى كفاءتها دورا مهما فاذا حصل أي خلل في كمية افراز هذه المواد فان ذلك يؤدي الى تغيرات خطرة في مظهر الانسان وشكله وفي انفعالاته وذكائه ونمط شخصيته ومن اهم الغدد الدرقية والادرينالية والصنوبرية والتيموسية والنخامية والتناسلية ، ان اتزان افرازات هذه الغدد الصم من شروط تكامل شخصية الفرد واتزان قراراته، ان الغدد

---

[1] الاغاني، ابو الفرج الاصفهاني(ت٣٥٦هـ، ٩٦٦م) تحقيق عبد الكريم الغرباوي،د.عبد العزيز مطر، الطبعة الثانية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م، ج ٤ ص ١٦٢

[2] علم النفس العام، جمال الدين الآلوسي (كتاب منهجي لكلية التربية الاسلامية بغداد) ١٩٩٩م ص ١١٩

تؤلف منظومة غير منظورة من العلاقات وتتصل من قريب او بعيد بجميع اجهزة الفرد ومجالات انشطته الاجتماعية والنفسية)[١]

الخلاصة : الفطرة لطف من الله سبحانه وهي كالبوصلة النفسية والجسدية الثابتة في صميم الخلقة مودَعةِ في كل فردٍ من أفراد العالم تجعل الانسان يتحرك وينمو ويتطور داخل اطار ثابت وهي مصدر من مصادر المعرفة ٠

٧ـ الوحي

(الوحي أو الايحاء ، لغة: الاشارة والالهام والكلام الخفي وأوحى إليه : كلمه بكلام يخفيه عن غيره وأوحى إليه ٠ وأوحى أومأ ٠ قال الراغب : أصل الوحي : ألاشارة السريعة)[٢]

الوحي اصطلاحا : وسيلة لارتباط ثلة ممتازة ومميزة من البشر بعالم الغيب)[٣] ان الوحي أدراك خاص متميز عن سائر الادراكات وليس نتاج الحس ولا العقل ولا الفطرة انما هو شعور خاص أو أشارة بفعل ما يوجده الله تعالى في كائناته وهو يغاير الشعور الفكري المشترك بين أفراد البشر عامة وبتعريف الشيخ المفيد (الوحي هو الاعلام بخفاء بطريق من الطرق)[٤] وبتعريف صدرالمتألهين الشيرازي(الوحي:هو أفاضة العقل الكلي على النفس وهو أصرح وأقوى من الالهام)[٥] استعمل الوحي في القرآن الكريم في معان أربعة

---

١ المصدر السابق ص ١٤٤

٢ لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق ج١٥ ص ٣٧٩

٣ العقيدة الاسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت العلامة جعفر السبحاني مؤسسة الهدى، طهران ١٤٢٣هـ ص ٤٥

٤ تصحيح الاعتقاد، محمد بن النعمان المفيد، مطبعة رضائي، تبريز ١٣٧١ هـ، ص ٥٦

٥ نظرية المعرفة عند صدر المتألهين، محمد شقير، مصدر سابق ص ١٥٠

١- بمعنى الإيماءة الخفية كقوله تعالى (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)[١]

٢ - بمعنى الاحساس الطبيعي: كما في قوله تعالى (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۰ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا)[٢]

٣ - الشعور النفسي الداخلي : كقوله تعالى(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي)[٣]

٤- الوحي الرسالي : وهو الطريقة العامة لاتصال الانبياء بالله عز وجل كقوله تعالى (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا)[٤] وقوله تعالى (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ۰مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ۰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۰إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)[٥] ومن ينزل عليه الوحي لايخطىء في إدراكه ولايختلجه شك وينزل الوحي على البشر بطرق متعددة فقد يكون بالاشارة الداخلية لبعض الجوارح كقوله تعالى (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا) [٦] أو يكون الوحي من خلال رسول مشاهد (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ)[٧] وأما بسماع كلام من غير

---

١ سورة مريم الآية ١١

٢ سورة النحل الآيتان ٦٨ و ٦٩

٣ سورة القصص الآية ٧

٤ سورة النساء الآية ١٦٣

٥ سورة النجم الآية ٢-٤

٦ سورة الشورى الآية ٥١

٧ سورة الشورى الآية ٥١

معاينة كسماع موسى كلام الله أو بالالقاء في الروع كما في قول النبي محمد(ص)(ان روح القدس نفث في روعي)[١] (الروع :الخلد واستعمل فيما القي فيه من الفزع كقوله عز وجل : فلما ذهب عن ابرهيم الروع)[٢] ان الوحي الى الانبياء في الحقيقة هو وحي الى عامة البشر بوساطة الانبياء وهناك وحي الى بعض الناس الصالحين كما هو شأن الحواريين اصحاب عيسى عليه السلام قال تعالى (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي) [٣] وأم موسى (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ)[٤] والى مريم بنت عمران وآسيا بنت مزاحم التي قالت بعد ان جاءها الوحي (وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)[٥] والى آخرين غيرها(وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ)[٦] روي(عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : الانبياء على خمسة أنواع منهم من يسمع الصوت مثل صوت السلسلة فيعلم ما عني به ومنهم ينبأ في منامه مثل يوسف وابراهيم ومنهم من يعاين ومنهم من ينكث في قلبه ويوقر في أذنه) [٧]

الخلاصة : الوحي إشارات داخلية ربانية كتوجيه البوصلة للاسهام في تكامل المعرفة البشرية .

---

١ لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق ج٢ ص ١٩٥

٢ المصدر نفسه ج٣ ص ١٦٤

٣ سورة المائدة الآية ١١١

٤ سورة القصص الآية ٧

٥ سورة القصص الآية ٩

٦ سورة الانبياء الآية ٧٣

٧ تفسير العياشي، محمد بن مسعود بن عياش السلمي، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي، مطبعة قم ١٣٨٠ هـ، ج ٢ ص ١٦٦

٨ – الهداية

ما معنى الهداية ؟ ﴿ الهداية : دلالة بلطف ومنه الهدية وهوادي الوحش أي متقدماتها الهادية لغيرها وخص ما كان دلالة بهديت وما كان اعطاء بأهديت نحو أهديت الهدية وهديت الى البيت، إن قيل كيف جعلت الهداية دلالة بلطف ، قال تعالى : فاهدوهم الى صراط الجحيم ، ويهديه الى عذاب السعير ، قيل ذلك استعمل فيه استعمال اللفظ على التهكم مبالغة في المعنى كقوله تعالى : فبشرهم بعذاب أليم ، والمهداء : من يكثر الهدية وفي تاج العروس: هديت العروس الى زوجها﴾[1] فالهداية تعريف من المعَرف، تحدثت آيات القرآن الكريم عن حقيقة الهداية بوصفها نور{ولكن جعلناه نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا}[2] (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا)[3] وقال تعالى{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ}[4] لاحظ ذكر الهداية في ظلمات الليل في البرّ والبحر وإضافة الظلمات إلى البر والبحر والهُدى في هذه الظلمات بسير النجوم اهتدوا بنور النجم فجعل النجم كالهادى لهم وجعلهم من المهتدين بنوره وعلى هذا سمى القرآن نور والتوراة نور بمعنى الاهتداء كونهما سببا للوصول الى المطلوب فاطلق اسم النورعليهما على سبيل الاستعارة كما اطلق النور بمعنى الهداية على الله تعالى (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)[5] والهداية في نظرية القرآن من ملازمات الطريق كالمصباح قال تعالى

---

١ لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق ج١٥ ص ٣٥٣

٢ سورة الشورى الآية ٥٢

٣ سورة الانعام الآية ١٢٢

٤ سورة الأنعام الآية ٩٧

٥ سورة النور الآية ٣٥

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) [١] لاحظ { وسراجاً منيراً } تشبيه بليغ أي أرسلناك كالسراج المنير في الهداية الواضحة التي لا لبس فيها كما يضيء السراج الوقّاد ظلمة المكان ۝ قال الشاعر

وَقَالُوا: مَتَى شَمْسُ الْهِدَايَةِ أَشْرَقَتْ؟

فَقُلْتُ: بِعَامِ الْفِيلِ فِي الْحَرَمِ الْمَكّي

وقال آخر :

فَأَلْحَقَنَا بِالْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزَيَّلِ

أي:المتقدّمات الهادية لغيرها)[٢] (وقد ساق الطبري الأقوال في التفسير ثم قال: وقد بينت معنى "الهداية" وأنه الإمام المتبع الذي يقدم القوم فإذا كان الامر كذلك فجائز أن يكون هو الله الذي يهدي خلقه ويتبع خلقه هداه ، ويأتمون بأمره ونهيه . وجائز أن يكون نبي الله الذي تأتم به أمته وجائز أن يكون إماما من الأئمة يؤتم به ويتبع منهاجه وطريقته أصحابه وجائز أن يكون داعيا من الدعاة إلى خير أو شر ولا قول أولى في ذلك بالصواب من أن يقال كما قال جل ثناؤه : إن محمدا هو المنذر من أرسل إليه بالإنذار، وإن لكل قوم هاديا يهديهم فيتبعونه ويأتمون به)[٣] فالهداية أي القياد الى الهدف أو القيادة الى الهدف الذي يريده القائد ويمكن تشبيهها بمنزلة المصباح الذي يتقدم الركب ليدل على الطريق

---

١ سورة الاحزاب الآيتان ٤٥، ٤٦

٢ الدر المصون في علم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، مصدر سابق ج ١ ص ١

٣ جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) محمد بن جرير الطبري، مصدر سابق ج١٦ ص ٣٥٨

انواع الهداية : ان المفردة القرآنية متعددة المعاني تفهم حسب موقعها في الآية المباركة من خلال ملاحظة ماقبلها ومابعدها وبعد دراسة مستفيضة لمفردة الهداية في القرآن الكريم لاحظنا انها تقسم الى :

النوع الاول: الهداية التكوينية :وتكون على قسمين

أ – الهداية التكوينية العامة: وهي شاملة لجميع المخلوقات من جماد ونبات وحيوان وإنسان قال تعالى (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۰ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۰ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى)[١] هداية الاجرام السماوية الى مساراتها والنبات الى نموه ودفع الحيوان عما يؤذيه ومن هذه الهداية ان الفأرة تفر من الهرة ولاتفر من الشاة ۰ ان هذه الهداية تليق بكل نوع من الجماد والنبات والحيوان وتناسبه وكذلك كل عضو من هذه الكائنات له هداية تليق به وخلق من أجلها وعلى مستوى الانسان فقد هدى الله سبحانه الرجلين مثلا للمشي واليدين للبطش والعمل واللسان للكلام والأذن للإستماع والعين لكشف المرئيات وكل عضو لما خلق له وبواسطة اللمس تعرف الحار والبارد واللين والقاسي والخشن والأملس الخ وكذلك بالنسبة إلى حاسة الشم في المشمومات وحاسة الذوق في المطعوم والمشروب (رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)[٢] إن هذه الهداية التكوينية هي التي تجعل الانسان مستفيدا من قواه العلمية وهي تصاحب الاشياء من بداية خلقها الى آخر وجودها بها يهتدي الى فهم الاشياء من دون علم مباشر وقد تجلى هذا المعنى في قوله تعالى (فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه")[٣] فنسبت بعث الغراب لإراءة كيفية المواراة إلى الله سبحانه بعينه فالغراب و إن كان لا يشعر بأن الله

---

١ سورة الاعلى الآيات ١ – ٣

٢ سورة طه الآية ٥٠

٣ سورة المائدة ٣١

سبحانه هو الذي بعثه و كذلك ابن آدم لم يكن يدري أن هناك مدبرا يدبر أمر تفكيره و تعلمه وهكذا هي الهداية التكوينية العامة،

ب – الهداية التكوينية الخاصة : وهي هداية خاصة بالانسان من دون سائر الكائنات والمخلوقات تعرفه المفاهيم الاخلاقية العامة وانواع القيم الوجدانية الفاضلة والسافلة فقد بين الله سبحانه السبيل للإنسان وهو طريق الحق وطريق الباطل فيبقى هو الذي يختار أحدهما قال تعالى { إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا }[1] أنَّ هذه الهداية عامّة لجميع البشر من غير استثناء وهي الادلة الحاصلة للمؤمن والكافر للرجال والنساء. ماعدا الاطفال والمجانين.

النوع الثاني هداية إنارة الطريق

وتكون على قسمين

أ – هداية إنارة عامة : بمعنى إراءة الطريق حينما تقول: هديت فلانا إلى أمر كذا إذا ذكرت له كيفية الوصول إليه أو أريته الطريق الذي ينتهي إليه، و وتسمى أيضا هداية البيان والدلالة والتعريف وتتمثل بإرسال الرسل اليهم يتلون عليهم آياته ويبينون لهم شرائع أحكامه قال تعالى (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا)[2] وكذلك إنزال الكتب السماوية ومنها التوراة والانجيل والقرآن ،وتتضمن هذه الهداية الأمور التشريعية من الاعتقادات الحقة و الأعمال الصالحة التي وضعها الله سبحانه للأمر والنهي والبعث والزجر حيث وعد على الأخذ بها ثوابا و أوعد على من تركها عقابا (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)[3]

---

١ سورة الانسان الآية ٣

٢ سورة السجدة الآية ٢٤

٣ سورة الاسراء الآية ٩

وعن طريق هذه الهداية يرتفع الانسان في مدارج الكمال ، وشواهد هذا النوع من الهداية في القرآن الكريم عديدة منها قوله تعالى: (أهدك صراطا سويا)[١] وقوله تعالى: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}[٢] الهداية هنا إراءة الطريق دون الإيصال إلى المطلوب.

ب – هداية إنارة خاصة : لبعض البشر من باب الكرامة والتبجيل والتقريب وتتضمن مشاهدة معجزات مادية وروحية خارقة للعادة ومن أمثلتها مشاهدة نبي الله ابراهيم لعملية إحياء الطيور المذبوحة المقطعة وخروج ابراهيم عليه السلام من وسط النيران سالما معافى وقصة عُزير الذي مر على قرية و هي خاوية على عروشها وشق البحر لنبي الله موسى وشفاء المرضى على يد نبي الله عيسى والاسراء والمعراج الى السماوات على البراق لنبي الله محمد – ص – وغيرها من الامثلة القرآنية وهذه الإراءة والإشهاد هي أقوى مراتب الهداية و البيان و أعلاها و أسناها .

النوع الثالث :الإيصال إلى المطلوب :

وتسمى أيضا هداية التوفيق وهي لطف أو غضب من الله سبحانه قال عز من قائل (اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)[٣] ان اللطف أوالغضب الالهي على العبد لايعني ان الانسان مجبر لايمتلك الخيار لان الهداية والاضلال من الله كما توحي القراءة الظاهرية السطحية للآية (ان الانسان كائن مفكر مختار ومركز إهتدائه أو ضلالته هو قلبه لان سائر قواه وأعضاء

---

[١] سورة مريم ٤٣

[٢] سورة فصلت ١٧

٣ سورة فاطر الآية ٨

بدنه بمنزلة الآلات المطيعة لقلبه)[1] وان الهداية والاضلال نوع من التكريم أو العقاب الذي يقرره الله سبحانه يشمل كلاً من سلك طريقا صالحا باختياره فيوصله الله إلى الفوز ويحافظ عليه ولا يوقعه في الضلال وهذه الهداية لا مانع منها عقلاً وعقلائياً ولا تزاحم عدل الله تعالى لأنّها بالرغم من اشتراطها بالسعي والثبات فهي شاملة لجميع الخلق من غير تخصيص أما من حرّم نفسه من اللطف بعمله السيئ فوقع في الظلمات فلا يلومنّ إلا نفسه ولو كانت الهداية والاضلال بمعنى الاجبار على الضلال أو الهدى أو إمالة القلب من الحق الى الباطل كما يزعم البعض فان هذا يتقاطع مع العدل الالهي فالهداية لا تقع من دون سبب وخلاف الحكمة الإلهية (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ)[2] إن المراد ليس هو إيجاد الهداية بطريق جبري وقسري وتكويني بل انزال العقاب أو اللطف إن هذه الهداية على قسمين :

أ : الايصال الى المطلوب في الدنيا :

وهو تكريم أو توبيخ يختص به الله بعض العباد كما في قوله تعالى(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)[3] فهي هداية تتعلق بالمكاسب فمن كسب العبد وهى مسبوقة ففى قوله تعالى (والذين جاهدوا فينا) (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[4] (فهي من هذا الوجه نعمة منه سبحانه عليهم ومنة منه واصلة إليهم وفضل منه وإحسان لديهم وقد يكون الايصال الى المطلوب

---

١ الهداية في القرآن، عبدالله جواد آملي، ط١، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٥٧

٢ سورة محمد الآية ١٧

٣ سورة العنكبوت الآية ٦٩

٤ سورة المائدة الآية ١٦

توبيخ وعقاب كما في قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ)[١] (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[٢] وهناك آيات عديدة جاءت في مقام نفي الهداية عن القوم (الفاسقين) و(الظالمين) و(الكافرين) وهي كثيرة .

ب : الايصال الى المطلوب في الآخرة :

أي الهداية إلى الجنة أو الهداية الى النار قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ)[٣] (وقال أهل الجنة فيها الحمد لله الذي هدانا لهذا)[٤] قال جل وعلا (وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ، سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ، وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ)[٥] سَيَهْدِيهِمْ لأنهم قتلوا في الجهاد فالهداية هنا ليست هداية الدنيا فإنما هي هداية الآخرة وقال تعالى عن أهل النار (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ، مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ)[٦]

وهذه الهدايات (التكوينية ، إنارة الطريق ، الايصال الى المطلوب) مترتبة فإن من لم تحصل له الاولى لاتحصل له الثانية بل لايصح تكليفه ومن لم تحصل له الثانية لاتحصل له الثالثة ومن حصلت له الثالثة فقد حصلت له اللتان قبلهما والانسان لايقدر ان يهدي أحدا الا بالدعاء وتعريف الطرق، ونستنتج من خلال هذا البحث الموجز إن للهداية انواعا عديدة منها عامة

---

١ سورة الزمر الآية ٣

٢ سورة المائدة الآية ٥١

٣ سورة يونس الآية ٩

٤ سورة الأعراف الآية ٤٣

٥ سورة محمد الآيات ٤-٦

٦ سورة الصافات الآيتان ٢٢-٢٣

لجميع الكائنات ومنها خاصة للنوع الانساني فقط ومنها ظاهرة كالكُتب السماوية ومنها ضامرة كهداية الحواس وهناك هداية مواهب كنجدي الخير والشر ومنها هداية مكاسب كهداية المؤمنين وهناك هداية علمية كعلم الانسان ان مرضاة الله بالتوجه الى الكعبة وفي اداء الصلاة وهداية عملية أي الإرشاد لشعائر الحج وماهية حركات الصلاة ، كما توجد هداية دائمة مثل هداية المنافع وهداية مؤقتة كهداية المعجزة وهداية الرؤيا المنامية

الخلاصة: الهداية في نظرية القرآن مصدر للمعرفة وهي أشبه بالنور الذي يقود الانسان الى ما قرره الله سبحانه، وإن كل معرفة لاتبلغ الكمال وستكون محتاجة الى الهداية

٩ـ التعليم

إن التعليم في مفهوم القرآن الكريم هو تسديد من الله للانسان (وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)[١] (ويعلمكم الله)[٢] تسديد لتطويرالحياة نحو الافضل (فالفيض المطلق الله العالم بكل شيء اعطى الى البشر الفيض القليل (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)[٣] وهذا التعليم لاينال بالنقل الذهني المتعارف بل هو علم حضوري(فيض أو أشراق) وكذلك هو تكريم وتتويج الهي لجهد الانسان نحو الفضيلة والرقي (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)[٤] ويشير القرآن الكريم الى أرقى وسيلة للعلم وهي القراءة (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ

---

[١] سورة البقرة الآية ١٥١

٢ سورة البقرة الآية ٢٨٢

٣ الاسراء الآية ٨٥

٤ سورة النجم الآية ٣٩

مَا لَمْ يَعْلَمْ)[١] ان القلم بالمعنى الذي يريده القرآن الكريم هو كناية عن مجمل العلم الانساني والمعرفة الانسانية والتعليم هو أشبه بالاشراق الالهي لومضات من الزمن محدودة يفهم الانسان خلالها الجوهر المهم مما أشكل عليه من المعارف (وهذا العلم رباني لاوساطة في حصوله بين النفس وبين الباري كالضوء من سراج الغيب يقع على القلب)[٢] وفي نظرية القرآن هناك تعليم عام لكل البشر وتعليم خاص لفئة راقية منتخبة من الناس يأتي في مقدمتهم الانبياء والاصفياء والعلماء والصالحون وفي هذا المضمار يقول (الكسيس كارل، أحد أنصار لفكرة الإشراق والإلهام يقول في كتابه ، الإنسان ذلك المجهول : لابُدّ أن نجزم بأنّ الاكتشافات العلمية ليست حصيلة الفكر البشري فحسب فإنّ النوابغ بالإضافة إلى امتلاكهم لقدرة المطالعة الواعية وإدراك المسائل والتحقيق فيها فإنهم يمتلكون قوةً أُخرى هي قوة الإشراق والتصور الخلّاق فإنهم تعرّفوا بواسطة الإشراق على الكثير من الأشياء التي كانت غامضة خفية على الآخرين، واطّلعوا على العلاقات بين الأشياء التي لاعلاقة فيما بينها ظاهراً وعلى الكثير من الكنوز المخبوءة المجهولة، وبدون تحليلٍ واستدلال وهناك غير الكسيس كارل من العلماء قد اعترف بهذه الحقيقة أيضاً فإن أحد الرياضيّين الفرنسيّين وأسمه جاك هادامارا له مقالة بعنوان: تأثير الشعور الباطن في البحوث العلمية، يقول فيها : حين نتأمّل في الكشوفات والإختراعات فلا يمكن لنا أن نهمل تأثير الإدراكات الباطنية المفاجئة فإنّ كل عالم محقّق قد أحسّ بهذه الحقيقة وهي أنّ الحياة والمسائل العلمية مؤلّفه من

---

١ سورة العلق الآيات ١-٥

٢ تفسير القاسمي، محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م، ج١١ ص ٤٩٧

مجموعة فعاليات ونشاطات كان للشعور والإرادة دخل في بعضها والبعض الآخر منها ناشئ من بعض الإلهامات)[1] والتعليم او التسديد كما يتجلى في القرآن الكريم على نوعين:

١ـ **التعليم الالهي الخاص**

لنخبة من البشر وفي مقدمتهم الانبياء ، أنّ الله أنزل على نبيّه الكتاب والحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم من قبل (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ)[2] (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ)[3] وعن نبي الله يوسف عليه السلام قال تعالى (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) [4] وعن نبي الله لوط ـ ع- قال تعالى(وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا)[5] وعن نبي الله موسى ـ ع - قال تعالى (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)[6] وفي قصة نبي الله موسى ان الخضر (وهو عبد صالح) لديه من العلم مما لايعلمه النبي موسى نفسه وهذا النوع من العلم اصطلح على تسميته : العلم اللدني ويروى ان الخضر عليه السلام كان أشرف بني اسرائيل فكرمه الله بعلم خاص (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ، قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ

---

١ مقالات اسلامية، مرتضى المطهري ج١ ص٤٣

٢ سورة النساء الآية ١١٣

٣ سورة النمل الآية ١٥

٤ سورة يوسف الآية ٢٢

٥ سورة الانبياء الآية ٧٤

٦ سورة القصص الآية ١٤

رُشْدًا)[١] وقد وصف نبي الله يعقوب في القرآن الكريم (وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)[٢] وهناك تعليم خاص لفئة من الصالحين يسمى الاصطفاء وهو تركيز (الرغبات الخيرة) في الفطرة السليمة واضعاف الجانب الشرير من البصائر وزيادة في الوحي الخاص وكبح جماح العواطف في اماكن انطلاقها ٠ان الغاية من الاصطفاء هو تقديم الانموذج القدوة لبني البشر ٠

التعليم العام لبني البشر : انموذجات من التعليم الالهي

١) الله علم الاسماء : قال تعالى (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [٣] أي أسماء المسميات بدليل قوله (ثُمَّ عَرَضَهُمْ) فالاسماء توقيفية وان الله ذم قوما على تسميتهم الاشياء من عند انفسهم (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ)[٤]

٢) الله علم لغات العالم : وليس الزمن أو العادات (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ)[٥] والمراد اختلاف اللغات وليس اختلاف الالسن٠ان ابتداء اللغة وقع بالتعليم من الله سبحانه وتعالى والباقي يخترعه الانسان من نفسه وهذه اللغة تتشعب بين اقوام متباعدة وتتطور بما يحدث فيها التغيير والزيادة فتنبثق لغات خاصة وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان ودابة وأرض وسهل

---

١ سورة الكهف الآيات ٦٦- ٧٠

٢ سورة يوسف الآية ٦٨

٣ سورة البقرة الآية ٣١

٤ سورة النجم الآية ٢٣

٥ سورة الروم الآية ٢٢

وبحر وجبل وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها" . لا شك أن البشر متنوعون في الأذواق وفي البيئة وفي أنماط الحياة وبسبب ذلك تنوعت لغاتهم واختلفت وتقول الروايات الدينية أن الله تعالى علم آدم اثنتين وسبعين لغة وهي أصول لغات العالم، وهذه اللغات أصلها أربع فقط ومنها تتشعب بقية اللغات كلها حتى تصل إلى العدد الموجود اليوم.

٣) تعليم القرآن والبيان[1] قال تعالى(الرَّحْمَنُ •عَلَّمَ الْقُرْآنَ •خَلَقَ الْإِنْسَانَ •عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) [2] علمه البيان: علمه ان يبين ويعبر عما في ضميره وان يفهم بيان غيره• والبيان هو الكشف عن الشيء وهو أعم من النطق الذي هو بدوره وسيلة اساسية من وسائل البيان وقد قدمت الآية الكريمة تعليم القرآن على خلق الانسان (قال أصحاب النبي- ص- يارسول الله مالك أفصحنا لسانا وأبيننا بيانا ؟ قال : ان العربية أندرست فجاءني بها جبرائيل غضة طرية كما شق على لسان اسماعيل)[3] (وان اسماعيل الهم هذا اللسان العربي الهاما)[4]

---

١ قال الامام علي بن ابي طالب –ع- في غرر الحكم، الآمدي، مصدر سابق (البلاغة ماسهل على المنطق وخف على الفطنة) (البلاغة ان تجيب فلا تبدىء وتصيب فلا تخطىء) (أحسن الكلام مازانه حسن النظام • وفهمه الخاص والعام) (أحسن الكلام ما لاتمجه الاذان • ولايتعب فهمه الاذهان • وفي بحار الانوار ج ٧١ ص ٣٩٢ (إنا لأمراء الكلام وفينا تنشبت عروقه وعلينا تهدلت غصونه) وعن الامام جعفر بن محمد الصادق –ع - في تحف العقول، الحسن بن علي الحراني، مصدر سابق ص ٢٣٠ (ليست البلاغة بحدة اللسان ولابكثرة الهذيان ولكنها بإصابة المعنى وقصد الحجة) وفي الكتاب نفسه ص ٢٦٤ (سئل الامام الصادق –ع - ما البلاغة ؟ فقال : من عرف شيئا قل كلامه فيه • وانما سمي البليغ لأنه يبلغ حاجته بأهون سعيه)

٢ سورة الرحمن الآيات ١-٤

٣ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، مصدر سابق ج١ ص٥٦

٤ المصدر نفسه

٤) الكتابة من تعليم الله: قال تعالى (وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ)[1]

٥) تعليم فن صناعة الدرع قال تعالى(وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ)[2]

٦) تعليم حيوانات الصيد قال تعالى (وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ)[3]

٧) تعليم صناعة الحديد: قال تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ٠أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [4]

٨) تعليم الزراعة : قد يتعلم الانسان كيفية الزراعة عن طريق التجربة لكن هذه التجربة ليس أصل الزراعة الذي تعلمه الانسان من الله (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ٠أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ٠ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ)[5]

لاحظوا ايها السادة القراء الاعزاء ان جُل المكتشفين والمخترعين ان لم يكن كلهم قالوا بأن العامل الجوهري لمنجزاتهم العلمية هو ما ألهموا به من أمور وهم في غفلة وعدم اشتغال بالكشف والاختبار كأن يكون أحدهم في حالة منام أو في أثناء المشي في متنزه أو ما شابه بعد أن يئسوا أو كادوا ييأسون

١ سورة البقرة الآية ٢٨٢

٢ سورة الانبياء الآية ٨٠

٣سورة المائدة الآية ٤

٤سورة سبأ الآية ١٠ وجزء من الآية ١١

٥ سورة الواقعة الآيات ٦٢ -٦٤

ولكن قسما من هؤلاء بقوا مكابرين فنسبوا هذه المخترعات الى أنفسهم وسكتوا عن الاشارة الى دور الفيض الالهي في معرفتهم. قال الشاعر

على المرء ان يبذل قصارى جهده وليس عليه أن يكون موفقا

وقال آخر

(أنتَ الذي نال الكمال موفَّقاً ... من رازق من شاءَ غير محاسبِ)[١]

(وقال كعب بن مالك يصف النبي محمد – ص-

إذا كانَ منه القولَ كان موفقاً ... وإن كان حيّاً كان نوراً مُجدَدا)[٢]

ان الفرق بين التعليم والهداية ان الهداية تختص بأمرين هما هداية في امور اداء الخلقة التكوينية وهي مستمرة زمانيا طول حياة الكائن الحي وهداية في أمور الاعتقاد تقود صاحبها الى الفوز او الخسارة . أما التعليم فهو تسديد لتطوير علوم الحياة من صناعة وزراعة ولغة وغيرها .

الخلاصة : ان التعليم هو تسديد الهي للانسان يمكن تمثيله بأشراقة روحية للحظات من الزمن تخص الامور الجوهرية ويعد واحدا من مصادر المعرفة في نظرية القرآن الكريم.

١٠ـ الرؤيا المنامية

{ النوم فسر على أوجه كلها صحيح بنظرات مختلفة : قيل هو استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد إليه وقيل هو ان يتوفى الله النفس من غير موت (ا للَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى الله)[٣]

---

[١] تاريخ الآداب العربية، لويس عبدالمسيح شيخو(ت ١٣٤٦، ١٩٢٧م) ج ١ ص ٥٤

[٢] كتاب الزهرة، لمحمد ابن داود الاصفهاني (ت٢٩٦هـ) ج ١ ص ١٥١

[٣] سورة الزمر الآية ٤٢

((وقيل النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل ورجل نؤوم ونومة كثير النوم والمنام النوم قال (ومن اياته منامكم بالّيل – وجعلنا نومكم سباتا – لاتأخذه سنة ولا نوم) والنومة أيضا خامل الذكر واستنام فلان الى كذا اطمأن إليه والمنامة : الثوب الذي ينام فيه ونامت السوق كسدت ونام الثوب أخلق أو خَلَقَ معا" واستعمال النوم فيهما على التشبيه)) [١] ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) (سأله أبو بصير عن الروح عند النوم أخارج من الأبدان ؟ قال: لا يا أبا بصير، فإن الروح إذا فارقت البدن لم تعد إليه، غير أنها بمنزلة عين الشمس مركوزة في السماء في كبدها، وشعاعها في الدنيا) [٢] روي عن أبي الحسن عليه السلام يقول : إن المرء إذا نام فإن روح الحيوان باقية في البدن ، والذى يخرج منه روح العقل) [٣] ولاشك ان المقصود بروح الحيوان هو الطاقة المحركة وروح العقل هو القوة المفكرة ان صح التعبير ٠ وفي مصطلحات علم الكهرباء تسمى هذه العلاقة سيطرة بعيدة (رموت كونترول) وردت آيات كريمة واحاديث شريفة للنبي محمد(ص)وأقوال لأهل بيت النبي وروايات في كتب الصحاح والسنن تقول ان الرؤيا المنامية منهل للمعرفة يغترف منه الانسان كثير من الاخبار الماضية والحاضرة والمستقبلية وتكون الرؤيا المعرفية على انواع عدة أهمها:

١ – الرؤيا المنامية الخاصة

وردت شواهد عديدة في القرآن الكريم تبين ان الانبياء يتلقون بعض معارفهم خلال النوم ونذكر من هذه الآيات رؤيا نبي الله ابراهيم الخليل عليه

---

١ مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) دار القلم، دمشق ص ٥١١

٢ ميزان الحكمة، محمد الريشهري، مصدر سابق ج ٤ ص ١٣٢

٣ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٥٨ ص ٤٣

السلام عندما أُمر بذبح ولده اسماعيل خلال النوم (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى)[١] فبادر الغلام الحليم اسماعيل (قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)[٢] وفي وصف معركة بدر الكبرى قال تعالى مخاطبا النبي محمد صلوات الله عليه (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ)[٣] وكذلك رؤيا النبي ﷺ المنامية لدخول جيش المسلمين لفتح مكة قبل حدوثه (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ)[٤] وفي قصة يوسف عليه السلام رؤيا تخبر عن احداث مستقبلية قبل تحققها فقد رأى سجود والديه واخوته قبل مدة طويلة من تحققه (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)[٥] وبعد ان تحققت رؤيا يوسف عليه السلام التي شاهدها في طفولته (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ •وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا)[٦]

٢ - الرؤيا المنامية لعامة الناس

جاء في القرأن الكريم ذكر رؤى صادقة رآها غير الانبياء من عامة الناس منها رؤيا صاحبي يوسف في السجن(وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا

---

١ سورة الصافات الآية ١٠٢

٢ سورة الصافات الآية ١٠٢

٣ سورة الانفال الآية ٤٢

٤ سورة الفتح الآية ٢٧

٥ سورة يوسف الآية ٤

٦ سورة يوسف الآيتان ٩٩ – ١٠٠

إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ، قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ... يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) [١] تقول الرواية ان الفتيين هما ساقي الملك والآخر خباز الملك قد سجنهما الملك بعد ان اتهمهما في بعض الامور ، فلما رأيا يوسف في السجن أعجبهما قوله وفعله وهديه فطلبا منه ان يفسر رؤياهما فأخبرهما بتاويل رؤياهما فكان الامر كما فسره يوسف عليه السلام، كما حدثت رؤيا صادقة لملك مصر في عهد نبي الله يوسف ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ، قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ، وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ، يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ، قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) [٢] وهكذا كانت مجريات الامور كما فسرها يوسف الصديق عليه السلام وفي هذا المعنى قال النبي محمد (ص)(إذا كان العبد في معصية الله عز وجل وأراد

---

١ سورة يوسف الآيات ٣٦ - ٤١

٢ سورة يوسف الآيات ٤٣- ٤٩

الله به خيرا أراه في منامه رؤيا تروعه فينزجر بها عن تلك المعصية) [١] عن الرضا عليه السلام قال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا اصبح، قال لأصحابه : هل من مبشرات، يعنى به الرؤيا) [٢]

الرؤيا الصادقة والرؤيا الكاذبة

يقول الامام الصادق عليه السلام (الاحلام مزج الله صادقها بكاذبها ، فانها لو كانت كلها تصدق لكان الناس كلهم انبياء،ولو كانت كلها تكذب لم يكن فيها منفعة فصارت تصدق أحيانا فينتفع بها الناس في مصلحة يهتدي لها،أو مضرة يتحذر منها ، وتكذب كثيرا لئلا يعتمد عليها كل الاعتماد) [٣] اما امير المؤمنين علي عليه السلام فيقول (إن الله تعالى خلق الروح وجعل لها سلطانا فسلطانها النفس فإذا نام العبد خرج الروح وبقي سلطانه، فيمر به جيل من الملائكة وجبل من الجن فمهما كان من الرؤيا الصادقة فمن الملائكة، ومهما كان من الرؤيا الكاذبة فمن الجن) [٤] اما الامام الباقر عليه السلام فيقول (إن العباد إذا ناموا ، خرجت أرواحهم إلى السماء الدنيا ، فما رأت الروح في السماء الدنيا فهو الحق ، وما رأت في الهواء فهو الاضغاث) [٥] ويستدرك الامام جعفر الصادق عليه السلام فيقول (الرؤيا الصادقة والكاذبة مخرجهما من موضع واحد، أما الكاذبة المختلفة، فان الرجل يراها في أول ليلة في سلطان المردة

---

١ المصدر السابق ص ١٦٧

٢ الفصول المهمة في أصول الأئمة / محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق محمد بن محمد الحسين القائينى، مؤسسة معارف اسلامي امام رضا عليه السلام ط١ - ١٤١٨ هـ، قم ج ٤ ص ٢٩٣

٣ توحيد المفضل، املاء الامام الصادق على المفضل بن عمر الجعفي، مصدر سابق ص ٧٧

٤ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٤٠ ص ٢٢٢

٥ جَامعُ الأخْبَارِ، محمد بن محمد السبزواري (من أعلام القرن السابع الهجري) تحقيق علاء آل جعفر، ١٤١١ هـ، ج١ ص ٢٣

الفسقة وانما هي شئ يخيل إلى الرجل وهي كاذبة مخالفة لا خير فيها. وأما الصادقة. إذا رآها بعد الثلثين من الليل، مع حلول الملائكة وذلك قبل السحر، فهي صادقة لا تخلف إن شاء الله، إلا ان يكون جنبا أو ينام على غير طهور ولم يذكر الله عزوجل)[1]

ان الرؤيا المنامية عند الانبياء والائمة والاولياء تختلف في درجة الوضوح عن الرؤيا عند عامة الناس فالأخيرة تكون عادة مصحوبة بأضغاث كثيرة تشوش تفسيرها فتكون عرضة للابهام والنسيان ممزوجة بتدخل الشياطين في حين تكون الرؤيا عند الخاصة من الانبياء والائمة والاولياء واضحة تماما تخبرهم بما كان او يكون حسب الارادة الالهية ودرجة الطهارة والعلم والسمو الروحي فقد (كان رسول الله محمد صلى الله عليه وآله كثير الرؤيا، ولا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح)[2] وفي خبر خروج الحسين إلى كربلاء ورد (ثم سار حتى نزل العذيب فقال فيها قائلة الظهيرة ثم انتبه من نومه باكيا فقال له ابنه: ما يبكيك يا أبة ؟ فقال: يا بني إنها ساعة لا تكذب الرؤيا فيها وإنه عرض لي في منامي عارض، فقال : تسرعون السير والمنايا تسير بكم إلى الجنة)[3] أما رسول الله وفخر الكائنات النبي محمد ﷺ فيقول (لم يبق من النبوة الا المبشرات ٠ قالوا : وما المبشرات ؟ قال: الرؤيا الصالحة)[4] (ان الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزء من النبوة)[5] (خياركم أولو النهى ٠ قيل يارسول

---

[1] الفصول المهمة في أصول الأئمة، محمد بن الحسن الحر العاملي، مصدر سابق ج ٢ ص ٢٤٦

[2] بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٥٨ ص ١٨٢

[3] ميزان الحكمة، محمد الريشهري، مصدر سابق ج ٤ ص ١٠

٤ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ١ ص ١٧٧

٥ المصدر نفسه ج ١٤ ص ٤٣٥

الله ومن أولو النهى ؟ فقال : أولو النهى أولو الاحلام الصادقة)[1] و (لا يحزن أحدكم أن ترفع عنه الرؤيا فإنّه إذا رسخ في العلم رفعت عنه الرؤيا)[2] لانه وصل الى درجات متقدمة في اليقين وقد حدثت اختراعات واكتشافات كثيرة لعدد من العلماء والعقلاء وهم في حالة منام وهذا مقطع ذائع الصيت عند جمهور الفلاسفة (في يوم ١٠ نوفمبر حدثت رؤيا عجيبة لديكارت هي رؤيا علم رياضي، وفي نفس الليلة حلم ثلاثة احلام فسرها بأنها دعوة له لانشاء علم مدهش ويبدو انها كانت تتعلق فيما سيقوم به فيما بعد من تأسيس الهندسة التحليلية)[3] ان هذه الرؤيا وغيرها تكشف عن أحداث قطعية لم يكن الانسان واعيا لها ولا مطلعا عليها ، وهي دليل على ان للاحداث وجودات مثالية خارجة عن اطار المادة تتعرف عليها النفس في ظروف خاصة ولاكمال ملامح الصورة نذكر قول الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام (الرؤيا على ثلاثة وجوه، بشارة من الله للمؤمن وتحذير من الشيطان وأضغاث أحلام)[4] أما (علماء النفس فقد قسموا الرؤيا على اقسام هي

أ – أضغاث أحلام : وهي الاحلام التي تنشأ من هموم الانسان وأفكاره التي يعايشها في يقظته فهي تراوده عند النوم في صورة الاحلام والمنامات ، وهي لاتدل على شيء لانها ليست سوى انعكاسات لافكار اليقظة ومشكلات الحياة ، وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك بقوله (قالوا أضغاث أحلام)[5]

---

١ المصدر نفسه ج ٧٢ ص ٢٣٧

٢ مستدرك سفينة البحار، علي النمازي، مصدر سابق ج١ ص ٤٦

٣ الموسوعة الفلسفية، عبدالرحمن بدوي، مصدر سابق ج ١ ص ٤٨٩

٤ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٦١ ص ١٨٠

٥ سورة يوسف الآية ٤٤

ب - تجلي اللاوعي في صفحة الوعي ؛ وهو ان دل على شيء فانما يدل على ان شخصية الانسان ليست الظاهر منه فحسب ٠ بل له باطن لايقل عن ذلك الظاهر.

ج - الرؤيا الصادقة ؛ والمراد بها الصور الواقعية المرئية عند النوم ٠ الحاكية عن احداث قطعية وقعت قبل الرؤيا أو حينها أو بعدها ولم يكن منها في خلد الانسان شيء قبل ان تتحقق)[1]

والخلاصة : ان الرؤيا المنامية واحدة من مصادر المعرفة كما تقول نظرية القرآن الكريم.

١١ - القلب

((قلب ؛ قلب الشيء ؛ تصريفه وصرفه عن وجه الى وجه كقلب الثوب وقلب الانسان أي صرفه عن طريقته قال (وإليه تقلبون) والانقلاب الانصراف قال(إنقلبتم على أعقبكم ومن ينقلب على عقبيه)[2] وقلب الانسان قيل سمي به لكثرة تقلبه ويعبر عن القلب بالمعاني التي تختص به من العلم والشجاعة وغير ذلك وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) أي علم وفهم وقوله (وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ) أي تثبت به شجاعتكم ويزول خوفكم وعلى عكسه (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) وقوله (ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) أي أجلب للعفة وقوله (وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى) أي متفرقة وتقليب الله القلوب والبصائر صرفها من رأي الى رأي قال (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ)

---

١ شرح الاشارات والتنبيهات، الشيخ الرئيس ابن سينا، مؤسسة البستان للكتب، قم، ١٣٨٣هـ ، ج ٣ ص ٣٩٩

٢ سورة آل عمران الآية ١٤٤

وتقليب اليد عبارة عن الندم ذكرا لحال ما يوجد عليه النادم قال (فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ) أي يصفق ندامة قال الشاعر:

كمغبون يعض على يديه   تبين غبنه بعد البياع

والتقلب التصرف قال (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ))[1]يمثل القلب مع العقل اكبر مستشاري النفس وأعظمهم شأنا عند اتخاذ القرارات الادراكية وفي كثير من الاحيان يتسيد القلب على العقل في كثير من القرارات العاطفية ، فما المراد من القلب ؟ قال تعالى (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا)[2] (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا)[3](إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)[4] (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)[5]نستنتج من نصوص الآيات الكريمة المذكورة آنفا ان القلب في منظور القرآن الكريم عد موطنا للشعور والتفكير والتفقه وبهذا المضمون جاء في دعاء النبي محمد(ص) (اللهم يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) [6] لقد طرح مفهوم القلب كأداة معرفية مهمة وجوهرية في نظرية القرآن ولكن سنعيد طرح السؤال ما هو القلب ؟ هل المراد منه الجسم الصنوبري المادي العضلي الذي يضخ الدم الى البدن ؟ أم يراد منه ألاشارة الى قلب معنوي كرمز للتفكير المنظم العميق ؟

---

١ المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، مصدر سابق ص ٤١٢

٢ سورة الحج الآية ٤٦

٣ سورة الأعراف الآية ١٧٩

٤ سورة ق الآية ٣٧

٥ سورة الحجرات الآية ٧

٦ التفسير الموضوعي لبيان القرآن، سميح عاطف الدين، مصدر سابق ج ٧ ص ٢٢٠

الاحتمال الاول : ان القلب المقصود في القرآن هو قلب معنوي لاعلاقة له بالقلب المادي وهذا الاحتمال غير ممكن لقوله تعالى (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)[١] فالآية الكريمة تشير الى القلب الذي في الصدر وقيل ان هذا قول مجازي ومجازه قوله تعالى (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)[٢] والانهار لاتجري وانما تجري المياه التي فيها والحال ان هذا القول غير مقبول لان الجريان حاصل ٠

الاحتمال الثاني : ان يكون القلب المادي الصنوبري الواقع شمال الصدر هو ذاته مركز تفكير وشعور وهذا الاحتمال غير ممكن لان الانسان اذا استبدل قلبه المادي بقلب اصطناعي يواصل التفكير والعمل٠

الاحتمال الثالث : ان القلب المقصود في الآيات الكريمة هو قلب معنوي يختص بالعواطف والمشاعر اتخذ من القلب المادي الصنوبري مكانا للعمل وهذا هو الاحتمال الممكن (فهناك قلب معنوي وراء هذا القلب المادي الصنوبري وذلك القلب هو المخاطب في حقيقة الانسان وهو الاصيل الذي يترتب عليه الثواب والعقاب والمدح والذم والماديات انما تحكي المعنويات وان الظاهر هو عنوان الباطن فالقلب المادي الجسمي يحكي ذلك القلب المجرد في جوهريته فبينهما علاقة وعلقة وثيقة)[٣] فيكون القلب هنا كناية عن الضمير المرهف الحس فاذا فتح الاطباء العقل لايجدون الا اللحم والدم وكذلك اذا فتحوا القلب لايجدون الا اللحم والدم لان التجريد الفكري خارج اطار الماديات كذلك نلاحظ في سياق الآية المباركة هذا المعنى (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ

---

١ سورة الحج الآية ٤٦

٢ سورة البقرة الآية ٢٥

٣ حقيقة القلوب في القرآن الكريم، مؤسسة ام القرى للتحقيق والنشر، بيروت ٢٠٠٥ م، عادل العلوي ص ١٢

إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ)[١] ومما يؤيد هذا الاتجاه في التفسير هو سياق الحديث الشريف (انما سمي القلب من تقلبه)[٢] أما قوله ﷺ (الا ان في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب)[٣] فلا شك في انه (ص) كان يقصد القلب المادي. ولعل من أوضح التعريفات لمعنى القلب في القرآن الكريم هو قول الامام جعفر بن محمد الصادق(ع) (موضع العقل الدماغ والقسوة والرقة في القلب)[٤] وعلى هذا السياق من الفهم درجت قصائد الشعراء وهكذا كانت رسائل العشاق فاذا قررنا أو أقررنا بتفسير ان القلب مركز العواطف يكون الانسان الذي استبدل قلبه بآخر اصطناعي قادر على التفكير ولكنه خال من العواطف وهذا ما ثبت في دراسات علم النفس حيث تبين (ان القلب الجديد لاتكون فيه أية عواطف ولاانفعالات فان القلب الاصطناعي إذا قربت اليه خطرا بدا وكأنه لاشيء يهدده في حين ان القلب الطبيعي يرتعش في الحالة نفسها واذا قربت من القلب الاصطناعي شيئا كان يحبه الشخص قبل استبدال قلبه بدا كأنك لم تقدم إليه شيئا لانه قلب بارد غير متفاعل مع سائر الجسد وقد اكتشف الاطباء وجود هرمونات غير عاقلة ترسل رسائل عاقلة الى الجسم كله وان القلب مركز عقل وتعقل وليس مجرد مضغة أو مضخة)[٥] وفي هذا الاتجاه (ذكر الدكتور على الخطيب رئيس تحرير مجلة الأزهر السابق أن طبيبا للقلب مشهوراً قد اعتزل مهنة جراحة القلب ، ذلك لأن الأشخاص

---

١ سورة الحجرات الآية ٧

٢كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، مصدر سابق خ ١٢١٠

٣ التفسير الموضوعي لبيان القرآن، سميح عاطف الدين، مصدر سابق ج ٧ ص ٢٠٩

٤ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٧٨ ص ٢٥٤

٥ موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم، يوسف الحاج احمد، مصدر سابق ص ١٥٣

الذين قد نقلت لهم قلوب من أشخاص آخرين وجدهم قد تغيرت بعض تصرفاتهم وطرأت عليهم أشياء لم يكونوا يفعلونها قبل إجراء العملية مما حدا به إلى اعتزال المهنة)[١] ومن بدهيات عالم الطب هو فحص ضربات القلب قبل اجراء العمليات الجراحية لملاحظة مدى انفعال أو خوف المريض من العملية الجراحية وهذه الحالة تتبين من خلال قياس عدد ضربات القلب فاذا ازدادت عن المعدل الطبيعي (وهو ٦٠ ضربة أو دقة في الدقيقة الواحدة) يمتنع الاطباء عن اجراء العملية الجراحية لان انفعال قلب المريض اذا كان قويا فقد يشكل خطرا على حياته، وفي حالات الانفعال الشديد للقلب قد يشعر المريض بوخزة وألم في قلبه في الجهة اليسرى من الصدر ، وفي كثير من الحالات ينفعل الشخص فتزداد ضربات قلبه وترتجف عضلاته بشكل عنيف فيموت وهو واضع يديه على قلبه ، ولو كان القلب غير مشارك في الانفعال العاطفي لما تأثر وانتحر بهذا الشكل المأساوي،يقول صاحب تفسير الامثل (مركز العواطف، وهو عبارة عن هذا القلب الصنوبري الواقع في الجانب الأيسر من الصدر. والمسائل العاطفية تؤثر أول ما تؤثر على هذا المركز حيث تنقدح الشرارة الأُولى حينما نواجه مصيبة فإننا نحسّ بثقلها على هذا القلب الصنوبري، وحينما يغمرنا الفرح فاننا نحسّ بالسرور والإنشراح في هذا المركز، أن المركز الأصلي للإدراك والعواطف هو الروح والنفس الإنسانية، ان المظاهر وردود الفعل الجسمية تظهر أولا في جهاز الدماغ في حين تكون ردود فعل القضايا العاطفية كالحب والبغض والخوف والفرح تظهر في القلب بشكل واضح ، ويحسّها الإنسان في هذا الجزء من الجسم ، ممّا تقدم نفهم ارتباط المسائل

---

[١] فتاوى الشبكة الإسلامية - (ج ٢ / ص ٥١٦)

العاطفية في القرآن بالقلب العضو الصنوبري المخصوص)[١] ولابد من الاشارة الى ان القرآن الكريم استعمل مصطلح القلب ومصطلح الفؤاد (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)[٢] ونستدل من الآية المباركة ان الفؤاد مركز التصديق في القلب ٠ كالمدير الذي يختم على قرار يتخذه قبل اصداره ٠ ومن خلال ملاحظة الحديث الشريف يتبين وجود اسس عاطفية لعمل القلب قال ﷺ (جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها) [٣]

ختم القلب

ان استشارات القلب متقلبة لان قوة العاطفة جياشة فقد يميل احيانا بصاحبه عن الطريق القويم فيصيبه مرض نفسي (المرض النفسي يصيب القلب المعنوي والمرض الجسدي يصيب القلب المادي) قال تعالى (إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ) [٤] فقد يغضب الله على القلب أو السمع او البصر او النفس التي انحرفت فيعاقبهم بالختم (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [٥] (وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ) [٦] فالمعاصي تلقي حجبا على القلوب (أكنة)وفي آذانهم وقرا (ثقلا) يمنعها و يعميها عن معرفة الحق و{الختم والطبع يقال على وجهين

---

[١] نَاصِرِ مَكارم الشيرازي : تفسير الأمثل، مصدر سابق ج ١ ص ٩١

[٢] سورة الاسراء الآية ٣٦

[٣] بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٧٨ ص ١٤٠

[٤] سورة الانفال الآية ٤٩

[٥] سورة البقرة الآيتان ٦، ٧

[٦] سورة فصلت الآية ٥

مصدر ختمت وطبعت وهو تأثير الشيء كنقش الخاتم والطابع والثاني الاثر الحاصل عن النقش ، ان الانسان اذا تناهى في اعتقاد باطل او ارتكاب محظور ولايكون منه تلفت بوجه الى الحق يورثه الله هيئة تمرنه على استحسان المعاصي وكأنما يختم بذلك على قلبه (أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ) [1] وعلى هذا النحو استعارة الاغفال في قوله عز وجل (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ)[2] واستعارة الكن في قوله تعالى (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ)[3] واستعارة القساوة في قوله تعالى (وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) [4] قال الجبائي؛ يجعل الله ختما على قلوب الكفار ليكون دلالة للملائكة على كفرهم فلا يدعون لهم} [5] وفي هذا المورد نذكر قول النبي محمد عليه الصلاة والسلام (شرالعمى عمى القلب) [6] (لكل قلب وسواس فاذا فتق الوسواس حجاب القلب نطق به اللسان واخذ به العبد واذا لم يفتق القلب ولم ينطق به اللسان فلا حرج) [7] ومن(وجد من هذا الوسواس فليقل آمنت بالله ورسوله ثلاثا فان ذلك يذهب عنه)[8] وفي اتجاه مغاير فان القلب اذا تطهر من الاوساخ المعنوية وسَما الى الخصال الروحية السامية يستطيع كما تقول نظرية القرآن ان ينال حقائق ما فوق الحس ولعل اولى تباشير هذا التكريم الالهي ان الله يمنع المرء من ارتكاب المعاصي الكبرى(وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ

---

١ سورة النحل الآية ١٠٨

٢ سورة الكهف الآية ٢٨

٣ سورة الانعام الآية ٢٥

٤ سورة المائدة الآية ١٣

٥ المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، مصدر سابق ص ١٤٩

٦ البحار ج ٧٧ ص ١١٤

٧كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، مصدر سابق خ ١٣٦٨

٨ المصدر نفسه ١٢٤٥

وَقَلْبِهِ) [1] يقول الإمام الصادق (عليه السلام) (إن منزلة القلب من الجسد بمنزلة الإمام من الناس) [2] ومن الجميل والضروري هنا ان نعرض قول الدكتور بسكال (١٦٢٣- ١٦٦٢م) في رسالته للدكتوراه حيث يقول (نحن نعرف الحقيقة ليس فقط بوساطة العقل بل وأيضا بوساطة القلب. فبالقلب تعرف المباديء الاولى . وعبثا يحاول التعقل وهو لانصيب له في ذلك الامر. فالعقل خاضع لارادة القلب. ان المباديء تُستشعر بالقلب والقضايا تستنتج بالعقل . ومن المضحك ان يطالب العقل القلب ببراهين على مبادئه الاولى ومن المضحك ان يطلب القلب من العقل ان يشعر كل القضايا المبرهن عليها) [3]

العوامل المؤثرة على قرار القلب

١) الاهواء: { جمع هوى أي الميل} [4] ان الهوى كالغبار الذي يلبد مرآة القلب وقد يكون الهوى ايجابيا كما في قوله تعالى(فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) [5] وقد يكون الهوى سلبيا يتجه نحو الباطل كما في قوله تعالى (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا) [6] وهذا النوع من الهوى هو المقصود بالحديث الشريف (إنما سمي الهوى لانه يهوي بصاحبه) [7] ورد عن النبي الاكرم(ص)(ان ابليس

---

١ سورة الانفال الآية ٢٤

٢ ميزان الحكمة، محمد الريشهري، مصدر سابق ج ٣ ص ٣١٣

٣ الافكار الفلسفية والدينية عند فيلون السكندري، اسكندر صمويل، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٧ م ص ٤٦٠

٤ المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، مصدر سابق ص ٥٢٤ – ٥٢٦

٥ سورة ابراهيم الآية ٣٧

٦ سورة الفرقان الآية ٤٣

٧ التفسير المعين، محمد هويدي، مصدر سابق، ص ٤٠٧

قـال:اهلكتهم بالـذنوب فـأهلكوني بالاسـتغفار فلمـا رأيـت ذلـك أهلكـتهم بالاهواء فهم يحسبون انهم مهتدون فلا بستغفرون)[١] وروي عن الامام علي عليه السلام قوله(الهوى أس الفتن)[٢] (انما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع)[٣] ان الهوى له تجليات عديدة فهو يتجلى في العشق تارة وفي الغضب والحقد تارة اخرى.

قال الشاعر

فلما جعلت القلب تحت رحى الهوى

ندمت وصار القلب في موضعٍ صعب)[٤]

٢) الطمع : قد يسيطر أحيانا ويؤثر على قرارات القلب في عقيدة القرآن الكريم (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [٥] (رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ :. يقول: غلب على قلوبهم وغَمَرها وأحاطت بها الذنوب فغطتها، يقال منه: رانت الخمر على عقله، فهي تَرِين عليه رَيْنا، وذلك إذا سكر، فغلبت على عقله؛ ومنه قول أبي زُبيد الطائي:

ثُمَّ لَمَّا رآهُ رَانَتْ بِهِ الخَمْـ رُ وأن لا تَرِينَهُ باتِّقاء

ومنه قول الراجز

---

١ ميزان الحكمة - الريشهري - مصدر سابق ج ١١ ص ٧١

٢ ميزان الحكمة - الريشهري، مصدر سابق ج ١١ ص ٧٠

٣ بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة) محمّد تقي التّستري(ت ١٤١٥ هـ) (ت ١٩٩٤م) مؤسسة نهج البلاغة، طهران ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، ج ١ ص ٦

٤ بدائع البدائه، علي بن ظافر الازدي (٥٦٧ - ٦١٣ هـ = ١١٧١ - ١٢١٦م) طبع القاهرة، ١٢٧٨هـ، ج ١ ص ٢٣

٥ سورة المطففين الآية ١٤

لم نَروَ حتى هَجَّرَت وَرِينَ بي   وَرِينَ بالسَّاقي الَّذي أمْسَى مَعِي)[١]

ونقول ان الرين مرتبط بكثرة الكسب فاننا نلاحظ ان اغلب الاغنياء يصابون بالخدر الروحي والقلبي بسبب كثرة الطعام اللذيذ ومواصلة الانغماس باللذات فتغطى قلوبهم بطبقة اشبه بالثلج تمنعهم من الاحساس بالفقراء ومعاناتهم . لاحظ ان الامام علي عليه السلام قد وبخ عامله على البصرة توبيخا شديدا عندما حضر وليمة دسمة لانه يعرف آثارها القلبية في صناعة طبقة من الرين على القلب ((فمن كتاب له عليه السلام الى عثمان بن حنيف الانصاري عامله على البصرة ، و قد بلغه أنه دعي الى وليمة قوم من أهلها ، فمضى اليها قوله :أمّا بعد ، يا بن حنيف ، فقد بلغني أنّ رجلا من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها . تستطاب لك الألوان ، و تنقل إليك الجفان و ما ظننت أنّك تجيب إلى طعام قوم ، عائلهم مجفوّ (أي محتاجهم مطرود) وغنيّهم مدعوّ . فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم (قضم : اكل بطرف أسنانه) . فما اشتبه عليك علمه فالفظه ،و ما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه .ألا و إنّ لكلّ مأموم إماما يقتدي به و يستضيء بنور علمه ، ألا و إنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه (أي ثوبيه الباليين) ، و من طعمه بقرصيه (أي رغيفيه-))[٢] لاحظ ان الامام علي عليه السلام امتنع عن الطعام الدسم اللذيذ (بالرغم من كونه حلال لاشك فيه) لانه عرف تاثيره في جمود احساس القلب بمعاناة الفقراء . وفي الوقت نفسه وبخ عامله على حضوره الى الوليمة الدسمة (وهي حلال لاشك فيه) لانه يعرف خطر الرين على الناس عموما وعلى الحكام والقادة بشكل خاص. روي عن الامام علي عليه السلام (حب المال

---

[١] جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) محمد بن جرير الطبري، مصدر سابق ج ٢٤ ص ٢٨٦

[٢] تصنيف نهج البلاغة - (ج ٢٠٢ / ص ١)

يوهن الدين ويفسد اليقين)[١] كما ورد في الحديث (اياكم واستشعار الطمع فإنه يشوب القلب شدة الحرص ويختم على القلوب بطابع حب الدنيا) [٢] قال أبو العتاهية:

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه ... تملكه المال الذي هو مالكه)[٣]

٣) الترهيب والترغيب : من العوامل المؤثرة في قرارات القلب،الترهيب بالنار والعذاب والترغيب بالجنة وملذاتها وفي نظرية القرآن ان لكل انسان رقباء من الملائكة يسجلون اعماله واقواله الحسنة والسيئة في الليل والنهار وهذا ما يؤثر في طبيعة القرار الذي يتخذه القلب ويرفعه الى النفس قال تعالى (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ،كِرَامًا كَاتِبِينَ ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ)[٤] وفي مضمار الترهيب قال تعالى(وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [٥] وفي الترغيب قال تعالى(وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [٦] قال ابو تمام وكأنه يصف القلب

يا حساماً مهنداً وغماماً ... ديمتاه الترغيب والترهيب)[٧]

حركات القلب وسكناته : روي عن النبي محمد(ص) انه قال (جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من اساء اليها) [١] وعن تاثير القلب

---

١ غرر الحكم و درر الكلم، الآمدي، مصدر سابق ج ١ ص ٢٤٩

٢ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٧٧ ص ١٨٢

٣ الأغاني، ابو الفرج الاصفهاني، مصدر سابق ج ١ ص ٣٤٩

٤ سورة الانفطار الآيات ١٠ - ١٢

٥ سورة الرعد الآية ٥

٦ سورة التوبة الآية ٧٢

٧ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ ١٠٣٨م) ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، ج ١ ص ٤٢٤

القلب المعنوي على القلب المادي قال ﷺ(إذا طاب قلب المرء طاب جسده واذا خبث القلب خبث الجسد)[٢] (ان لله تعالى في الارض اواني الا وهي القلوب فاحبها الى الله ارقها واصفاها واصلبها ارقها للاخوان واصفاها من الذنوب واصلبها في ذات الله)[٣] (سئل النبي الاكرم ما القلب السليم ؟ فقال: دين بلا شك وهوى وعمل بلا سمعة ولا رياء)[٤] (جلاء هذه القلوب ذكر الله وتلاوة القرآن)[٥] وعن الامام علي عليه السلام(إذا شككت في مودة انسان فاسأل قلبك عنه)[٦] (ماجفت الدموع إلا لقسوة القلب وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب)[٧] وفي غرر الحكم(معاشرة ذوي الفضائل حياة القلوب) (الحكمة شجرة تنبت في القلب وتثمر على اللسان) (القلب مصحف البصر) وروي عن الامام الصادق(ع) قوله(إن القلب يتلجلج في الجوف يطلب الحق فاذا اصابه اطمأن وقر ثم قرأ قوله تعالى(فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) [٨] (القلب حرم الله فلا تسكن حرم الله غير الله)[١] (الغضب ممحقة لقلب الحكيم ومن لم يملك غضبه لم يملك عقله) [٢]

---

١ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٧٨ ص ١٤٠

٢ ميزان الحكمة، الريشهري، مصدر سابق ج ٨ ص ٣١٠

٣ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، مصدر سابق ج١ ص ٢٢٧

٤ مستدرك الوسائل، محمد حسين النوري الطبرسي، الطبعة الاولى مؤسسة آل البيت (ع) لاحياء التراث، بيروت، ١٤٠٨ هـ، ١٩٧٨م، ج ١ ص ١٢

٥ ميزان الحكمة - الريشهري، مصدر سابق ج ٨ ص ٣٤٠

٦ شرح نهج البلاغة، أبو حامد بن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ، ١٢٥٨م)، تحقيق - محمد أبي الفضل إبراهيم، ط٢، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٩هـ، ١٩٥٩م،ج ٢٠ ص ٧٠١

٧ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٧٠ ص ٤٦

٨ المصدر نفسه ج ٧٨ ص ٢٤٠

اقبال القلوب وادبارها : روي عن الامام علي (ع) قوله (ان للقلوب شهوة واقبالا وادبارا فآتوها من قبل شهوتها واقبالها فان القلب اذا اكره عمي) [٣] (ان للقلوب اقبالا وادبارا فاذا اقبلت فاحملوها على النوافل واذا ادبرت فاقتصروا بها على الفرائض) [٤] (ان هذه القلوب تمل كما تمل الابدان فابتغوا لها طرائف الحكم)[٥] وعن الامام الصادق عليه السلام (ان القلب يحيا ويموت فاذا حيا فأدبه بالتطوع واذا مات فاقصره على الفرائض)[٦] وعن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام (ان للقلوب اقبالا وادبارا ونشاطا وفتورا فاذا اقبلت بصرت وفهمت واذا ادبرت كلت وملت فخذوها عند اقبالها ونشاطها واتركوها عند ادبارها وفتورها)[٧] وعن الامام الحسن العسكري عليه السلام (اذا نشطت القلوب فأودعوها ، واذا نفرت فودعوها)[٨]

ما يجلي القلب وينوره ؛

قال النبي الاكرم محمد ﷺ (من زهد في الدنيا اثبت الله الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه)[٩] (ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء ، قيل وما جلاؤها ؟ قال كثرة ذكر الموت وتلاوة القرآن)[١٠] (ان للقلوب صداء

---

١ المصدر نفسه ج ٧٠ ص ٢٥

٢ المصدر نفسه ج ٧٨ ص ٢٥٥

٣ المصدر نفسه ج ٧١ ص ٢١٧

٤ شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٢١٩

٥ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٧٠ ص ٦١

٦ المصدر نفسه ج ٧٨ ص ٢٧٨

٧ المصدر نفسه ص ٣٥٤

٨ المصدر نفسه ص ٣٧٧

٩ المصدر نفسه ج ٧٧ ص ٨٠

١٠ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، مصدر سابق ج١٥ ص ٨٥٢

كصداء النحاس فاجلوها بالاستغفار) [١] وعن الامام علي (ع) (أحي قلبك بالموعظة ••• ونوره بالحكمة)[٢] (أحي قلبك بالموعظة وامته بالزهادة وقوه باليقين)[٣] وعن الامام موسى بن جعفر عليه السلام (ان الزرع ينبت في السهل ولاينبت في الصفا فكذلك الحكمة تعمر قلب المتواضع ولاتعمر قلب المتكبر الجبار لان الله تعالى جعل التواضع آلة العقل) [٤]

مايقسي القلب:

قال الرسول محمد (ص) (ثلاث يقسين القلب :استماع اللهو وطلب الصيد واتيان باب السلطان)[٥] (إياكم واستماع المعازف والغناء فانهما ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل)[٦] وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال (ما جفت الدموع الا لقسوة القلب وما قست القلوب الا لكثرة الذنوب)[٧] (من يأمل ان يعيش غدا فانه يأمل ان يعيش أبدا ومن يأمل ان يعيش أبدا يقسو قلبه) وقد لاحظنا ذلك الخلط الواضح بين مفاهيم الصدور والقلوب والنفوس عند جموع المفسرين وفي حقيقة الامر ان لكل مصطلح منها مقصد مختلف وغاية خاصة.

والخلاصة : ان القلب في نظرية القرآن المعرفية أحد عظماء المستشارين للنفس وهو مختص بالامور العاطفية•

---

١ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٩٣ ص ٢٨٤

٢ نهج البلاغة، الشريف الرضي، مصدر سابق، كتاب ٣١

٣ المصدر نفسه

٤ المصدر نفسه ج ٧٨ ص ٣٧٠

٥ المصدر نفسه ج ٧٩ ص ٢٥٢

٦ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، مصدر سابق ج١٥ ص ٣١٥

٧ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٧٠ ص ٥٥

١٢ – الصدر

الصدر: الجارحة (هو: أعلى مُقَدَّم كُلِّ شيءٍ، وصَدْرُ القَناة أعلاها، وصَدْرُ الأمر أوَّلُه. وصُدْرةُ الانسان ما أشرفَ من أعلى صَدْره)[1] قال تعالى(قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ٠ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ٠وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ٠ يَفْقَهُوا قَوْلِي) [2] وجمع صدر: صدور كقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) [3] قال الشاعر

فلقيته عند باب العقر ... ينشطها والدرع عند الصدر)[4]

يعد الصدر في منظور القرآن الكريم من ادوات المعرفة وله معاني تتجلى كالآتي ؟

١) الصدور مخبأ للاسرار؛ فإنّ (ذات) تعني عين الأشياء وحقيقتها، كقوله تعالى (وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) [5] وقصد سفينة نوح بذاتها دون غيرها وليس في الصدر إلا الرئتين وقد لاحظنا ذلك الخلط الواضح بين مفاهيم الصدور والقلوب والنفوس عند جل المفسرين وفي حقيقة الامر ان لكل مصطلح منها مقصد مختلف وغاية خاصة (فالمراد بذات الصدور الإسرار المستكنة فيها) [6] أي (إن الله ذو علم بكل ما أخفته صدور خلقه من

---

١ كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) مؤسّسة دار الهجرة، قم، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ، ج ٢ ص ٣٢

٢ سورة طه الآيات ٢٥-٢٨

٣ سورة آل عمران الآية ١١٩

٤ الأغاني، ابو الفرج الاصفهاني، مصدر سابق -ج ٢ ص ٣٧٠

٥ سورة القمر الآية ١٣

٦ مستدرك الوسائل، محمد حسين النوري الطبرسي، مصدر سابق ج ٢ ص ٣٤١

إيمان وكفر وحق وباطل وخير وشر) [١] ذات الصدور أي الصدور نفسها وعينها فالعلم بها كناية عن العلم بما فيها (قال الشاعر الهذلي:

وعاوَدني ديني فبت كأنّما ... خلالَ ضُلوع الصّدرِ شِرْعٌ ممدَّدُ)[٢]

(وقال ابن السكيت

ليسَ بِعلمٍ ما يَعى القِمَطْرُ ... ما العِلْمُ إلا ما وعاهُ الصَدرُ)[٣]

فالصدور مخبأ للاسرار عند البشر. قال تعالى (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)٤ وهي كذلك مخزن وسجل للاعمال (أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ)[٥] (قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ)[٦] ومن كلام للامام علي بن أبي طالب عليه السلام (إن في صدري هذا لعلما جما علمنيه رسول الله صلى الله عليه وآله ولو أجد له حفظ يرعونه حق رعايته)[٧]

٢) الصدر مركز للغل والتباغض: قال تعالى (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ)٨ (قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي

---

١ جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) محمد بن جرير الطبري، مصدر سابق ج ١٥ ص ٢٣٩

٢ جمهرة اللغة، ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ) ط٢، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧م، ج ١ ص ٣٩٦

٣ الصحاح في اللغة، اسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) ط١، دار الحضارة العربية، بيروت ١٩٧٤م، ج ٢ ص ٩٥

٤ سورة غافر الآية ١٩

٥ سورة العاديات الآيتان ٩-١٠

٦ سورة آل عمران الآية ٢٩

٧ حياة أمير المؤمنين عليه السلام عن لسانه، محمد محمديان، موسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٧ هـ، ج ١ ص ٢١١

٨ سورة الحجر الآية ٤٧

صُدُورهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآَيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ)١ وفي كتب اللغة (الدِّمْنَةُ: ما اندَمَن من الحِقْدِ في الصَّدْر)٢ قال الشماخ يصف قوساً:

فلمّا شراها فاضت العين عبرة ... وفي الصدر حزاز من اللوم حامز)٣

٣) الصدر مكان لوسوسة الشيطان:قال تعالى (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ•مَلِكِ النَّاسِ • إِلَهِ النَّاسِ•مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ•الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ•مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ)٤ قال الشاعر

طاف به طيف من الوسواس ... نفر عنه لذة النعاس

فما يرى يأنس بالأناس ... ولا يلذ عشرة الجلاس)[5]

٤) مخزن لرغبات الانسان كقوله تعالى (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ • وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ)٦ قال الشاعر

(إن في الصدر حاجة لن تقضى ... ما دعا في الغصون داع هديلا)[7]

٥) الصدر مكمن الرهبة كما في قوله تعالى (لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ)٨ قال الشاعر

(فلقيته عند باب العقر ... ينشطها والدرع عند الصدر)[9]

---

١ سورة آل عمران الآية ١١٨

٢ كتاب العين، الفراهيدي، مصدر سابق ج ٢ ص ١٢٢

٣ أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله

٤ سورة الناس الآيات ١-٦

[5] الأغاني، ابو الفرج الاصفهاني، مصدر سابق ج ٥ ص ٢٦٣

٦ سورة غافر الآيتان ٧٩ – ٨٠

[7] الأغاني، ابو الفرج الاصفهاني، مصدر سابق ج ١ ص ٤٩٩

٨ سورة الحشر الآية ١٣

[9] الأغاني، ابو الفرج الاصفهاني، مصدر سابق ج ٢ ص ٣٧٠

وقال آخر

ليث الليوث علينا باسلٌ شرسٌ ... وفي الحروب هيوب الصدر جياض)[1]

شرح الصدر وضيقه

الشرح بمعنى البسط أو التوسعة (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۰ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ)٢ ويقابل الشرح الضيق والحرج قال تعالى يخاطب النبي ﷺ (الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۰ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ)٣ وفي آية كريمة جمع الضيق و الشرح (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ)٤ فقد صورت الآية ضيق الكافر بالايمان بقوة ضاغطة على الصدر بتصوير دقيق جدا يتفق مع نظريات العلم التي تؤكد انه كلما ارتفع الانسان في السماء ازداد الضغط كثافة واثرا على الصدر ۰ ان توسعة الصدر هدفها في منظور القرآن تهيئة الصدر لاستقبال نور الايمان (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ)٥ وفي دعاء نبي الله موسى لربه (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۰ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۰ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۰ يَفْقَهُوا قَوْلِي)٦ (قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۰ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي)٧ لاحظوا ان ضيق الصدر او عدم انشراحه يمنع الانسان من الكلام وعندما يبالغ الكفار في ايذاء الرسول ﷺ يخاطبه ربه (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا

---

[1] المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٧

٢ سورة الانشراح الآيتان ١-٢

٣ سورة الحجر الآيتان ٩٦-٩٧

٤ سورة الانعام الآية ١٢٥

٥ سورة الزمر الآية ٢٢

٦ سورة طه الآيات ٢٥-٢٨

٧ سورة الشعراء الآيتان ١٢، ١٣

يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ)١ وفي آية واحدة فقط في القرآن الكريم استخدم مفهوم شرح الصدر مع الكفر كنوع من الاستدراج والتهكم والانتقام (وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)٢ والانشراح مرة يراد منه التوسعة المادية للصدر كقوله تعالى (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ) ومرة يراد منه الانشراح المعنوي باخراج الكمد والغيض وازالة الهموم والعقد النفسية (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ)٣ قال حاتم الطائي :

أَمَاويَّ ما يُغني الثَّراءُ عن الفتى

إذا حَشرَجَتْ يوماً وضاقَ بها الصدْرُ)٤

ان الشرح والضيق أو البسط والانقباض حالتان خطرتان في حياة الانسان لهما تاثير على سعادة الانسان او شقائه وفي شفاء الصدر او مرضه فالموعظة مثلا تشفي الصدور والنصر على الاعداء شفاء لما في الصدور لانه يرفع الهم والغم والكمد (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) ٥ (يقول حسين بن فارس اللغوي

---

١ سورة هود الآية ١٢

٢ سورة النحل الآية ١٠٦

٣ سورة يونس الآية ٥٧

٤ الصاحبي في فقه اللغة : أحمد بن فارس الرازي (ت ٣٩٥هـ) الطبعة الأولى، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، ج ١ ص ٦٧

٥ سورة التوبة الآية ١٤

إذا ازدحمت هموم الصدر قلنا ... عسى يوما يكون لها انفراج)١

(لقد ثبت من خلال التجارب الطبية التي اجريت في الولايات المتحدة الامريكية والتي تم خلالها استبدال رئتين مريضتين لاحد الاشخاص برئتين سليمتين من شخص آخر تعرض للموت بحادث دهس حيث انتزعت رئتيه قبل موته ان الشخص الذي زرعت فيه الرئتان اخذ يتذكر معلومات خاصة بالميت المدهوس، وكذلك حدث الامر نفسه عند استبدال زراعة قلب من شخص لآخر بالطريقة نفسها ان الشخص الذي زرع له قلب سليم اخذ يتذكر قصائد رومانسية تعود للميت صاحب القلب المزروع بمجرد ان تقرأ الام البيت الاول من قصائد وجدتها في خزانة ولدها الميت)٢ ونصل من خلال الحقائق القرآنية التي ايدتها التجارب الطبية الحديثة الى القول الجازم وهو ان الطب لو تطور الى درج خلع رأس رجل وزراعته في جسد جديد لتغير تفكير الرأس البشري بشكل جوهري بتأثير القلب والرئتين والتصميم الفطري للجسد الجديد وكذلك اذا تم استبدال الرئتين أو استبدال القلب ، والخلاصة : ان الصدر في نظرية القرآن مكمن ومخزن لكثير من المعلومات والوساوس والأقوال والأفعال والإرادات والأفكار.

---

١ درة الغواص في أوهام الخواص، عبد الله بن القاسم الحريري (ت ٥١٦هـ) بغداد، مكتبة المثنى ج١ ص ١٨

٢ لقد سمعت هذه المعلومات من احد كبار الاطباء المختصين في زرع الاعضاء الذي صرح لجمهور الصحفيين في احدى القنوات التلفزيونية وقال ان التوثيق العلمي لهذه الاكتشافات الطبية سيتم لاحقا

١٣ـ الغريزة الجنسية

(تظهر الحاجة الجنسية لغالبية الناس على انها دافع قوي للسلوك يتحرك في سن البلوغ أي عندما تبدأ الغدد الجنسية بالنضج والقدرة على افراز الهرمونات ويرى الكثير من العلماء المختصين ان هذا الدافع يظهر أيام الطفولة وهم لايحددون الدافع الجنسي بالعمليات الجنسية فقط وانما يدخلون في اطاره جميع الميول والافعال الجنسية ،ان خطورة هذا الدافع تكمن في الصعوبات التي تقف امام التربية الصحيحة ويطرح علماء النفس في عالم اليوم دراسات عديدة عن اثر الجانب الجنسي في السلوك ومستوى النضج والمستوى المعرفي) [١] وتقول نظرية القرآن في المعرفة ان الغريزة الجنسية لها تأثير أصيل وقوي على قرارات القلب والنفس وهي منفذ مهم من منافذ الشيطان في الوقت نفسه، ان عدم الاكتفاء الجنسي هو سبب رئيس للاضطراب النفسي والقلق والاجهاد الدائم وان مايسمى بالحب الغرامي هو غرائز ممنوعة من الصرف تنعكس داخل العقل وتؤثر في قراراته الطبيعية، وهناك من الشواهد الشعرية في هذا المضمار ما يجل منه مقام هذا البحث قال الشاعر السري بن احمد الكندي

بلاني الحب منك بما بلاني   فشأني أن تفيض غــروب شاني
أبيت الليل مرتفقاً أناجي   بصـــدق الوجه كاذبة الأماني
فتشهد لي على الأرق الثريا   ويعلم ما أجنّ الفـــــرقدان
فيا ولع العــواذل خل عني   ويا كف الغرام خذي عنان)[٢]

---

١ علم النفس العام، جمال الدين الآلوسي، مصدر سابق ص ١٧١

٢ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور الثعالبي، مصدر سابق ج ١ ص ٢٠٨

لاحظ هذه القصة القرآنية، ان امرأة عزيز مصر(عزيز مصر: النائب الاول للملك) التي لها شأن عظيم في بلاط الملك راودت خادمها الغلام يوسف عن نفسه وهي في غاية الجمال والمنصب والنظارة والشباب وتهيأت له وتصنعت ولبست أفخر ثيابها قال تعالى (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ، وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)[1] (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ، قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ ، قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ،فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)[2] إن نساء الامراء وبنات الكبراء ذكرن امرأة العزيز بسوء بسبب مراودتها فتاها أو خادمها فاعدت لهن طعاما خاصا ودعتهن لبيتها فلما شاهدن يوسف في جماله اتخذن قرارا جماعيا خاطئا ودعين يوسف على طاعة سيدته فيما تريد وتشتهي ، ونلاحظ أيضا ان يوسف وهو من سلالة الانبياء قال (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)[3] فهو يقول

---

١ سورة يوسف الآيات ٢٣- ٢٤

٢ سورة يوسف الآيات ٣٠ - ٣٤

٣ سورة يوسف الآية ٣٣

ليس لنفسي الا العجز والضعف لاستطيع مقاومة الاغراء الا ان يقويني الله ويعصمني ويحفظني بحوله وقوته من هذا السيل الجارف العاصف الهادر الآتي من تاثير الغريزة الجنسية وفي هذا الاتجاه ورد عن الامام علي بن ابي طالب عليه السلام (ان الله ركب في الملائكة عقلا بلا شهوة وركب في البهائم شهوة بلا عقل وركب في بني آدم كليهما فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم)[١] إن للغريزة الجنسية اثرا بالغا في نظام المعرفة وطبيعة قرارات الانسان وتصرفاته في كثير من الاحيان ولها تأثيرات واضحة المعالم في حياتنا اليومية إيجابا كما هي حالات السعادة والفرح التي يشعر بها الانسان عند ممارسة العمل الجنسي ،أو سلبا حين ممارسة النشاط الجنسي خارج الضوابط الصحيحة ، وهنا لابد لنا من تثبيت حقيقة مهمة وهي الغريزة الجنسية لاتصنع المعرفة ولكنها تؤثر في طبيعة القرار والسلوك لقوتها العاصفة ، كما ان الكبت الجنسي منفذ من منافذ الشيطان يدخل من خلاله الى نظامه المعرفي ويضلله فيتخذ القلب او النفس قرارا خاطئا تحت تاثير الغريزة الجنسية ،وفي هذا المضمار ينقل الكاتب المصري سلامة موسى الحادثة الآتية (حدث في العام ١٩٣٧م ان بنتا عانسا قتلت اخوتها الاربعة واختيها ووالدتها لتشديدهم الرقابة عليها ولأنهم امتنعوا غير مرة من تزويجها من خاطبيها بدعوى عدم كفاءتهم لها فلم تجد بدا من ان تجعل أسرتها ضحية آمالها لتكون حرة في الامر)[٢] وتقع يوميا مئات الحالات المشابهة في شتى انحاء العالم يقتل فيها الزوج او العاشق وكل ذلك بسبب قرار اتخذته النفس تحت تاثير الغريزة الجنسية ،ان القرآن الكريم لم يغال في

---

١ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٦ ص ٢٩٩

٢ أسرار النفس، سلامة موسى، مؤسسة الخانجي، القاهرة ١٩٦٢م ص ١٦

نظرته للغريزة الجنسية كما فعل فرويد الذي قال ان لب المعرفة هو الغريزة الضامرة بل اعترف بتأثيرها الواضح على قرارات النفس والقلب وفي الوقت نفسه اعطى حلولا ناجحة ناجعة لهذه المسألة الحيوية حتى يمارسها الانسان بشكلها الطبيعي من دون ان يتخذ قرارا مخطئاً وسنعرض بعض الحلول :

١) الدعوة للزواج : قال تعالى (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)[1] الايامى : جمع أيم وهو كل ذكر من دون انثى وكل انثى من دون ذكر بل هناك من الاحاديث الشريفة للنبي محمد ﷺ مايدعو الى الزواج المبكر (يامعشر الشباب من استطاع من منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج)[2] من معاني الباءة : القدرة على مباشرة النساء

٢) الدعوة الى سهولة مهر المرأة ويسره في الزواج قال النبي ﷺ (لو ان رجلا اعطى امرأة صداقا ملء يديه طعاما كانت حلالا)[3]

٣) الابتعاد عن الزنى قال تعالى (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)[4]

ان الزواج اساس السكون والاستقرار النفسي وسعادة لها وهو في الوقت نفسه يهذب الانفعالات النفسية ويساعد على التوازن العاطفي ويعطي للنفس متسعا من النظر لكي تتخذ قرارها الصائب وادراكها الصحيح ٠ ونسجل هنا ان كثيرا من طلبة المدارس والجامعات لاينكب على درسه بسبب الخواطر الجنسية التي تسرح وتمرح خارج سيطرته ولايمكنه ضبطها فالغريزة قد تستقر

---

١ سورة النور الآية ٣٢

٢ تفسير حقي، حقي البروسوي، مصدر سابق ج ٩ ص ١٢٨

٣ بلوغ المرام، احمد بن حجر العسقلاني، ط ١ دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م ص ٢١٦

٤ سورة الاسراء الآية ٣٢

كقوة مضغوطة أو ضاغطة ليست على وفاق مع قوانين النفس المنطقية فتحدث الارباك في قرارات الادراك البشري • ان اغراء المرأة للرجل واغراء الرجل للمرأة له تأثير عاصف على القلب والنفس والتفكير البشري•يقول الكاتب سلامة موسى (ان الغريزة الجنسية هي اهم عوامل النشاط في العقل الكامن وهي اهم أصل للاحلام والخواطر وربما كانت ايضا اكبر اسباب الجنون النفسي عند الرجال والنساء) [١] فاذا اشتغلت هذه الغريزة بطاقة عالية او بطاقة قصوى يمكن ان تصيب نظام المعرفة بشلل مؤقت من حيث تاثيرها العاصف على العقل والنفس وفي كثير من الاحيان تجبر النفس على اتخاذ قرارات مخطئة وقد حذرت الشريعة الاسلامية من خطر الوقوع في الهاوية السحيقة اذا اتخذ الانسان قراراته تحت تاثير الغريزة او الشهوة الجنسية وفي القصة المعروفة في القرآن الكريم عن قوم لوط الذين استسلموا لتأثير غرائزهم الجنسية وأطلقوا لها العنان من دون ضابط وكانت النتيجة ذلك الانحراف العظيم لتلك الامة الباغية قال تعالى (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ • إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ • وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ • فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ • وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) [٢] روي عن النبي الاكرم محمد ﷺ قوله (من عرضت له فاحشة أو شهوة فاجتنبها من مخافة الله حرم الله عليه النار وآمنه من الفزع الاكبر) [٣] (طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد لم يره) [٤] (ثلاث

---

١ اسرار النفس، سلامة موسى، مصدر سابق ص ١٧

٢ سورة الاعراف الآيات ٨٠ – ٨٤

٣ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٧ ص ٣٠٧

٤ الوسائل ج ١١ ص ١٦٤

أخافهن بعدي على أمتي : الضلالة بعد المعرفة ، ومضلات الفتن ، وشهوة البطن والفرج)[1] (الحق ثقيل مر والباطل خفيف حلو ورب شهوة ساعة تورث حزنا طويلا)[2] وعن الامام علي بن ابي طالب (ع)(عبدالشهوة أرق من عبد الرق) [3] (ما أصعب على من استعبدته الشهوات أن يكون فاضلا) [4] (اقتصر من شهوة خالفت عقلك بالخلاف عليها) [5] قال الشاعر

(لا شيئ أجمل من عفاف زانه ورع ومن لبس العفاف تجملا
طبعت سرائرنا على التقوى ومن طبعت سريرته على التقوى علا)[6]

الخلاصة : ان الغريزة الجنسية كما واضح في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لها تاثير قوي في كثير من قرارات النفس الانسانية وهي جزء من نظام المعرفة.

١٤ ـ الشياطين :

جمع شيطان، زعيمهم :الشيطان (أو ابليس) وهو من الجن و(الشياطين مثل بقية الموجودات تابع صرف وإن جميع نفوذهم وقدرتهم من الله الذي يعطيهم الولاية والرسالة والعداوة للانسان وهي بعنوان عقاب أو امتحان)[7]

---

١ المصدر السابق ص ١٩٨

٢ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٧٧ ص ٨٢

٣ غرر الحكم و درر الكلم، الآمدي، مصدر سابق ج ١ ص ٢١١

٤ شرح نهج البلاغة - ابن ابي الحديد، مصدر سابق ج ٣ص ٢٥٨

٥ المصدر نفسه ج٣ ص ٣٢٨

٦ شعراء الغدير في القرن الثامن، عبد الحسين الأميني، مركز الأبحاث العقائدية، ج ١٠ ص ١٤

٧ الهداية في القرآن، عبدالله جواد آملي، مصدر سابق ص ٥٢

سنتطرق لهذه المخلوقات في بحث موجز على ضوء آيات القرآن الكريم ومن ثم نؤشر دورهم في المعرفة

أ – مادة خلقهم : قال تعالى (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ) [1]

ب- الشياطين يتزاوجون ويتناسلون (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا)[2] وابليس من اسماء الشيطان روي عن الامام علي عليه السلام قوله (الا وان الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله ورجله وان معي لبصيرتي)[3] (يا أيها الناس إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع ... ولو ان الحق خلص لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجللان معا فهنالك استحوذ الشيطان على اوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى) [4]

ج – خلق قبل الانسان (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ۝ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ)[5]

---

١ سورة الرحمن الآيات ١٤- ١٥

٢ سورة الكهف الآية ٥٠

٣ نهج البلاغة، الشريف الرضي، مصدر سابق، – خطبة ١٠

٤ تفسير نور الثقلين، عبدعلي بن جمعة العروسي (ت ١١١٢هـ) مطبعة الحكمة، قم ١٣٨٣هـ، ج ٤ ص ٢٦٧

٥ الحجر ٢٦- ٢٧ روي عن النبي محمد – ص – في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، مصدر سابق ج٦ ص ٢٠٨ (خلق الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم) وفي المصدر نفسه قال – ص - (خلق الله الملائكة من نور وان منهم لملائكة اصغر من الذباب) وروي عن الامام جعفر بن محمد الصادق – ع- في البحار ج ٥٩ ص ١٧٦(والذي نفسي بيده لملائكة السموات اكثر من عدد التراب في الارض ۰ وما في السماء موضع قدم الا

د – انهم مكلفون (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[١] ومنهم صلحاء ومنهم مردة (وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا)[٢]

ه – شيخهم رفض تنفيذ الامر الالهي: اراد الله سبحانه ان يستخلف خلقا في الارض فخلق الانسان من طين وطلب من الملائكة السجود لهذا المخلوق الجديد (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ • إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ • قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ • قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ •قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ •وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) [٣] ابليس من الجن ولكنه تطاوس فاصبح رئيسا على الملائكة (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ • إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ • قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ •إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ • وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ) [٤]

وفيه ملك يسبحه ويقدسه • ولا في الارض شجر ولامدر الا وفيه ملك موكل بها) وعنه –ع – في تفسير القمي ج ٢ ص ٢٠٦ (ان الملائكة لاياكلون ولا يشربون ولاينكحون وانما يعيشون بنسيم العرش)

١ سورة الذاريات الآية ٥٦

٢ سورة الجن الآية ١١

٣ سورة ص الآيات ٧٣ – ٧٨

٤ سورة الحجر الآيات ٣٩- ٤٣

خصائص الشيطان :

١) كفور لربه : (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا)[١]

٢) عدو مبين للبشر:(إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا)[٢]

٣) يرانا ولا نراه :(إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ)[٣]

٤) يوسوس للنفس ويحضها على الشر (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ◦ مَلِكِ النَّاسِ ◦ إِلَهِ النَّاسِ ◦ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ◦ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ◦ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ)[٤] (الوسوسة ؛ الخطرة الرديئة وأصله من الوسواس وهو الهمس الخفي ويقال لهمس الصائد وسواس)[5] يقول النبي محمد (ص)(الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله تعالى خنس واذا غفل وسوس)[٦] ومن اهداف الشيطان التغرير بالناس واضلالهم وابعادهم عن الصراط المستقيم والامر بالسوء والفحشاء والمنكر وكذلك يستهدف الصد عن ذكر الله

أساليب الشيطان :

١) الاغواء بشتى المحاولات : ورد في القرآن الكريم (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) [٧] روي عن ابن عباس

١سورة الاسراء الآية ٢٧

٢ سورة فاطر الآية ٦

٣ سورة الاعراف الآية ٢٧

٤ سورة الناس الآيات ١-٦

٥ المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، مصدر سابق ص ٥٣٧

٦ جامع الأصول من أحاديث الرسول، ابن الأثير، أبو السعادات، المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ) دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ، ج ٢ ص ٨٩٩

٧ سورة الاعراف الآيتان ١٦ – ١٧

(لآتينهم من بين أيديهم : أشككهم في آخرتهم ، ومن خلفهم : أرغبهم في دنياهم ، وعن أيمانهم : أشبه عليهم أمر دينهم ، وعن شمائلهم : أشهي لهم المعاصي)[١]

٢) يسول ويملي : يقول تعالى(إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ)[٢]

٣) التزيين في الارض (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) [٣]

٤) ينسي ذكر الله ،النسيان : على نوعين الاول : نسيان محمود يفعله الله لصالح البشر كنسيان المصائب ونسيان مذموم وهو يفعله الشيطان في الانسان فيحقق فيه الغفلة عن ذكر الله حتى يصل الانسان الى مرحلة الكفر (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ)[٤]

٥) الشعور بالحيرة والقلق والضياع : قال تعالى (قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ)[٥]

٦) التخويف : ان الخوف بحده الطبيعي مقبول أما عند الافراط به فهو الايحاء الشيطاني الخبيث ، والاستسلام للمقدار الوهمي من الخوف يجعل المرء العوبة بيد الشيطان ، والمؤمن لايخاف الا الله سبحانه ولا يتاثر بتخويف

---

١ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء اسماعيل بن كثير، بيروت ١٩٩٥م، ج ٢ص ٢٠٤

٢ سورة محمد الآية ٢٥

٣ سورة الحجر الآيتان ٣٩ - ٤٠

٤ سورة المجادلة الآية ١٩

٥ الانعام الآية ٧١

الشيطان الا اتباعه (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[1]

٧) التلويح بالفقر :انه اسلوب شيطاني آخر يشكك في قدرة الله على توفير الرزق للناس يقول تعالى (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ)[2]

٨) ينصب للبشر المكائد ، ونجد في القرآن الكريم نموذجا للتحريض الشيطاني مما وقع ليوسف عليه السلام من اخوته يقول تعالى (ذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)[3]

٨) إيقاع العداوة والغضاء ، فهو لايصبر على رؤية الناس يتحابون ويتعاملون بالحسنى فيما بينهم ، يقول تعالى (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)[4] الميسر : القمار

٩) الدفع نحو العجلة والتهور : يحرص الشيطان على جعل الانسان يواجه الموقف الصعب بتهور ونزق وتعجل فلا يتحسب للنتائج جانحا الى اسوء الحلول وفي القرآن دروس بليغة عما ارتكب من اخطاء في حالة الغضب تحت تاثير الشيطان، يقول تعالى (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ

---

١ سورة آل عمران الآية ١٧٥

٢ سورة البقرة الآية ٢٦٨

٣ سورة يوسف الآية ٤

٤ سورة المائدة الآية ٩١

الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ)[١] وقال النبي الاكرم محمد (ص)(إن الغضب من الشيطان)[٢]

١٠) التحريض والكيد : ان الشيطان يحرض الانسان على النيل من الناس بغير الحق(قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) [٣]

١١) السحر : وهو بضاعة للشيطان يروجها للتضليل والشر والاعراض عن الحق والهدى ٠ يقول تعالى (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ)[٤] (والسحر لايغير من طبيعة الاشياء ولاينشيء حقيقة جديدة لها ٠ ولكنه يخيل للحواس والمشاعر بما يريده الساحر ٠ وهذا هو السحر الذي صوره القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام عندما خيل الى الناس ان الحبال والعصي كأنها حيات تسعى٠ وهو بهذه الطبيعة يؤثر في الناس وينشيء لهم مشاعر على وفق ايحائه مشاعر تخيفهم وتؤذيهم وتوجههم الوجهة التي يريدها الساحر)[٥] فالسحر ضرب من التضليل واسلوب واداة يحاول الشيطان من خلاله خلط بصائر الخير والشر وقد يستطيع خداع بعض الناس لبعض الوقت ولكنه لايستطيع خداع كل الناس كل الوقت٠

(سأل زنديق الامام جعفر الصادق عليه السلام فقال : اخبرني عن السحر ماأصله ؟ وكيف يقدر الساحر على ما يوصف من عجائبه ؟ وما يفعل

---

١ سورة القصص الآية ١٥

٢ أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع، عبدالهادي الفضلي (ت ٢٠١٣م) ج ١ ص ٨٧

٣ سورة يوسف الآيتان ٤ – ٥

٤ سورة البقرة الآية ١٠٢

٥ في ظلال القرآن، سيد قطب، مصدر سابق ج ٨ ص ٧٠٩

؟ قال : ان السحر على وجوه شتى وجه منها بمنزلة الطب كما ان الاطباء وضعوا لكل داء دواء فكذلك علم السحر احتالوا لكل صحة آفة ولكل عافية عاهة ولكل معنى حيلة ، ونوع منه آخر خطفة وسرعة ومخاريق وخفة ، ونوع منه مايأخذ أولياء الشياطين منهم)[1] وبشرح المفسرين مفردة { السحر على معان ؛

الاول ؛ الخداع وتخييلات لاحقيقة لها نحو ما يفعله المشعوذ بصرف الابصار عما يفعله لخفة يد ، وما يفعله النمام بقول مزخرف عائق للاسماع وعلى ذلك قوله تعالى (قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ)[2] (قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى)[3] وبهذا النظر سموا موسى عليه السلام ساحرا(وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ)[4]

الثاني ؛ استجلاب معاونة الشياطين بضرب من التقرب اليه كقوله تعالى (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ، تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ)[5] وعلى ذلك قوله تعالى (وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ)[6]

الثالث ؛ مايذهب اليه الاغتام وهو اسم لفعل يزعمون انه من قوته يغير الصور والطبائع فيجعل الانسان حمارا ولاحقيقة لذلك عند المحصلين ،

---

١ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٦٣ ص ٢١

٢ سورة الاعراف الآية ١١٦

٣ سورة طه الآية ٦٦

٤ سورة الزخرف الآية ٤٩

٥ سورة الشعراء الآيتان٢٢١، ٢٢٢

٦ سورة البقرة الآية ١٠٢

الرابع ؛ ما يصور من السحر تارة حسنة فقد ورد في الحديث الشريف (إن من البيان لسحرا)[1] وتارة دقة فعله حتى قالت الاطباء الطبيعة ساحرة وسموا الغذاء سحرا من حيث انه يدق ويلطف تاثيره،

الخامس ؛ (السحرُ والسحرة اختلاط ظلام اخر الليل بضياء النهار وجُعل اسما لذلك الوقت ويقال لقيته بأعلى السحرين والسحور اسم للطعام الماكول سحرا } [2] وقد حذرت نظرية القرآن وتراث الشريعة الاسلامية من ممارسة السحر بمعنى الشعوذة ،روى الامام علي عليه السلام الآتي (أقبلت امراة الى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فقالت : يارسول الله ان لي زوجا وله علي غلظة واني صنعت به شيئا لأعطفه علي فقال رسول الله – ص- لعنتك الملائكة الاخيار لعنتك الملائكة الاخيار لعنتك ملائكة السماء لعنتك ملائكة الارض)[3] وعن الامام علي(ع) قال(المنجم كالكاهن والكاهن كا لساحر والساحر كا لكافر والكافر في النار)[4] وعن الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال (من تعلم شيئا من السحر قليلا او كثيرا فقد كفر وكان آخر عهده بربه وحدُه ان يقتل إلا ان يتوب)[5]

أين يوجد الشياطين ؟

إن للشياطين وجودا خارجيا في الاسواق والاماكن العامة والخاصة ولهم كذلك وجود داخلي في جسد الانسان ، يقول النبي محمد – ص- (مامنكم من أحد الا وله شيطان ، قالوا: ولا أنت يارسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا ان

---

[1] ميزان الحكمة، محمد الريشهري، مصدر سابق ج ١ ص ٢٨٢

٢ المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، مصدر سابق ص ٢٣٢

٣ المصدر السابق ج ٧٩ ص ٢١٤

٤ نهج البلاغة، الشريف الرضي، مصدر سابق، ، خطبة ٧٩

٥ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٧٩ ص ٢١٠

الله عز وجل أعانني عليه فأسلم)[1] ويوضح الرسول القائد – ص- دور المَلك ودور الشيطان في داخل الانسان بتفصيل اكثر (إن للشيطان لمة وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة المَلك فايعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد من ذلك شيئا فليعلم أنه من الله وليحمد الله ، ومن وجد الاخرى فليتعوذ من الشيطان)[2] اللمة:هي الخطرة بالقلب، فلمة الشيطان وسوسة بالسوء ولمة المَلك دعوة للاصلاح ،ان الشيطان يمارس دورا تخريبيا متعدد الاتجاهات ويتدخل في الامور العاطفية فيقوي جبروتها داخل القلب، فهو يتلبس في الاشياء ويؤثر على القرار الذي تتخذه النفس من خلال تاثيره في القلب ، روي عن النبي الاكرم محمد – ص –انه قال لاصحابه (الا اخبركم بشيء ان فعلتموه تباعد الشيطان عنكم كما تباعد المشرق عن المغرب ؟ قالوا بلى قال : الصوم يسود وجهه والصدقة تكسر ظهره، والحب في الله والمؤازرة على العمل الصالح يقطع دابره ، والاستغفار يقطع وتينه)[3] وقال – ص – (ان الشيطان واضع خطمه في قلب ابن آدم ، فاذا ذكر الله خنس واذا نسي التقم فذلك الوسواس الخناس)[4] (بينما موسى بن عمران جالس إذ أقبل ابليس ... فقال له موسى – ع : فاخبرني عن الذنب الذي اذا اذنبه ابن آدم استحوذت عليه ؟ فقال : إذا اعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه

---

١ المصدر نفسه ج ٦٧ ص ٤٠

٢ سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ، ٨٩٢م) تحقيق د بشّار عوّاد معروف، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، ج ١١ ص ٢٢٥

٣ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٦٩ ص ٣٨٠

٤ تفسير نور الثقلين، عبدعلي بن جمعة العروسي، مصدر سابق ج ٥ ص ٧٣٥

ذنبه)[١] (ومن وصايا النبي – ص – لابن مسعود يابن مسعود اتخذ الشيطان عدوا فان الله تعالى يقول : ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا)[٢]

قال الامام علي بن أبي طالب(ع)(احذروا عدوا نفذ في الصدور خفيا ونفث في الاذان نجيا) [٣] (الفتن ثلاث : حب النساء وهو سيف الشيطان وشرب الخمر وهو فخ الشيطان وحب الدينار والدرهم وهو سهم الشيطان)[٤] (ذكر الله مطردة للشيطان)[٥] وعن الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام (ان الشيطان يدبر للانسان في كل شيء فاذا اعياه جثم له عند المال فاخذ برقبته)[٦] (قال ابليس خمسة ليس لي فيهن حيلة وسائر الناس في قبضتي: من اعتصم بالله عن نية صادقة واتكل عليه في جميع اموره ومن كثر تسبيحه في ليله ونهاره ومن رضي لاخيه المؤمن ما يرضاه لنفسه ومن لم يجزع على المصيبة حتى تصيبه ومن رضي بما قسم الله له ولم يهتم لرزقه)[٧] (ان الشياطين اكثر على المؤمنين من الزنابير على اللحم)[٨] وفي مواعظ الامام موسى ابن جعفر الكاظم (ع) لهشام (فقلت له : فأي الاعداء أوجبهم مجاهدة ؟ قال عليه السلام اقربهم اليك واعداهم لك .. ومن يحرض اعداءك عليك وهو ابليس)[٩] وفي نظرية القرآن الكريم قد يحطم الشيطان نظام المعرفة عند الانسان

---

١ مستدرك الوسائل، محمد حسين النوري الطبرسي، مصدر سابق ج ١ ص ١٦

٢ المصدر نفسه ج ٧٧ ص ١٠٥

٣ غرر الحكم، الآمدي، مصدر سابق

٤ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٧٣ ص ١٤٠

٥ غرر الحكم، الآمدي، مصدر سابق

٦ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٦٣ ص ٢٦٠

٧ المصدر نفسه ج ٦٩ ص ١٧٧

٨ المصدر نفسه ج ٨١ ص ٢١١

٩ المصدر نفسه ج ٧٨ ص ٣١٥

وينسفه من اساسه كما في حالة الجنون (الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ)[١] وكني بالمس عن الجنون ولعل أعظم تخريب يحققه الشيطان بعد ايصال الانسان الى الكفر هو هذا المس الذي يحطم نظام البصائر، فتختلط في ذات الانسان مفاهيم الخير والشر ، الصواب والخطأ ، الجمال والقبح الخ

الخلاصة : إن الشياطين لهم دور حيوي تخريبي في نظام المعرفة وفي نوع القرار الذي تتخذه النفس ، يتجلى في قرارات النفس السيئة او الامارة بالسوء

١٥ـ التفكر والنظر والتجربة

((الفكرة قوة مطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للانسان دون الحيوان ، ورد في الحديث الشريف (تفكروا في آلاء الله فانكم لن تقدروا قدره)[٢] قال تعالى (أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات) و(رجل فكير كثير الفكرة) (النظر ؛ تقليب البصر والبصيرة لادراك الشيء ورؤيته ، وقد يراد به التأمل والفحص قال تعالى (قل انظروا ماذا في السموات) أي تأملوا، والنظر ؛ البحث وهو أعم من القياس لأن كل قياس نظر وليس كل نظر قياسا))٣

تقول نظرية القرآن في المعرفة ان سعي الانسان وعمله وتجاربه وتفكيره يمكنه من اكتشاف معارف مهمة قال تعالى (قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)[٤] (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ

---

١١ سورة لبقرة الآية ٢٧٥

٢ تفسير كنز الرقائق / ج ٣ ص ٣٥٤

٣ المصدر نفسه ص ٥٠٠

٤ سورة يونس الآية ١٠١

شَيْءٍ)[١] (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)[٢] (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[٣] (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى • وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى)[٤] هذه مثلا دعوة لدراسة الرياح (وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [٥] وهذه دعوة لغزو الفضاء من خلال استخدام العلم (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) [٦] السلطان المقصود هنا هو العلم وفي الحديث الشريف (خذوا العلم من أفواه الرجال)[٧] ونقتبس من أقوال الامام علي بن ابي طالب -ع- حول أهمية التجارب في ولادة العلوم الجديدة (التجارب لاتنقضي والعاقل منها في زيادة)[٨](العقل عقلان عقل الطبع وعقل التجربة وكلاهما يؤدي الى المنفعة)[٩] (التجارب علم مستفاد)[١٠] (من لم يجرب الامور خدع)[١١] (من أحكم من التجارب سلم من العواطب)[١٢] (من غني من التجارب عمي عن العواقب) [١٣] (رأي الرجل على قدر تجربته)[١] (حفظ التجارب رأس العقل)[٢]

---

١ سورة الاعراف الآية ١٨٥
٢ سورة البقرة الآية ٢٦٦
٣ سورة الاعراف الآية ١٧٦
٤ سورة النجم الآية ٣٩
٥ سورة الجاثية الآية ٥
٦ سورة الرحمن الآية ٣٣
٧ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٢ ص ١٠٥
٨ المصدر السابق
٩ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٧٨ ص ٩
١٠ غرر الحكم، الآمدي، مصدر سابق ج١ ص ٣٠٢
١١ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٧٧ ص ٤٢٠
١٢ غرر الحكم، الآمدي، مصدر سابق ج١ ص ٢٠٣
١٣ المصدر نفسه

العقل)[٢] (من حفظ التجارب أصابت أفعاله)[٣] ومن وصاياه عليه السلام (يابني إني وان لم اكن قد عمرت عمر من كان قبلي • فقد نظرت في اعمارهم • وفكرت في أخبارهم • وسررت في آثارهم • حتى عدت كأحدهم بل كأني بما انتهى الي من امورهم قد عمرت مع أولهم الى آخرهم)[٤] (بالفكر تنجلي غياهب الأمور)[٥] (من طالت فكرته حسنت بصيرته)[٦] (من أكثر الفكر فيما تعلم أتقن علمه و فهم ما لم يكن يفهم)[٧]وعن الامام الصادق -ع- قال (تفكر ساعة خير من عبادة سنة)[٨] (لايطمعن القليل التجربة برأيه في رئاسته)[٩]

(التجربة والحضارة الاسلامية)

التجربة أحدى أدوات المعرفة الرئيسة وقد احتلت مكانة سامية في الغرب وتربعت على عرش المعرفة وشكلت حجر الاساس لكثير من الاختراعات والاكتشافات ولكن يجب ملاحظة ان الاستنتاج من التجربة يتوقف على حكم عقلي ولولاه لكانت التجربة عقيمة كما ينبغي القول ان الغرب ليس مبتكرا للتجربة بل سبقه اليها الاغريق والاسلاميون في العصور الاسلامية الاولى•ان الاسلام انتج فطاحل وأساطين عظاما في العلوم الطبيعية سلكوا مسالك التجارب والاختبارات العلمية فخرجوا بنتائج باهرة واكتشافات عظيمة

---

١ المصدر نفسه

٢ المصدر نفسه

٣ المصدر نفسه

٤ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٧٧ ص ٢٠١

٥ غرر الحكم، الآمدي، مصدر سابق ج١ ص ١٦

٦ المصدر نفسه

٧ المصدر نفسه

٨ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٧١ ص ٣٢٧

٩ المصدر نفسه ج ٧٨ ص ١٩٥

دفعت عجلة العلوم البشرية الى الامام وارست قواعد الحضارة الحديثة وفيما يأتي نذكر بعضا من نوابغهم:

١) جابر بن حيان الكوفي (٧٠٢- ٧٦٠ م) (١٢٠- ١٩٨هـ)

أول رائد مسلم احتضن العلوم الكونية وكشف مجهولاتها على اساس مبدأ التجربة والاختبار من خلال تفسير الطبيعة بالطبيعة فهو من قمم الفكر والثقافة الاسلامية ومفخرة يعتز بها المسلمون لقب بأبي الكيمياء ((وقال عنه عالم الكيمياء الفرنسي برتيلو- ١٨٢٧ - ١٩٠٧ م : لجابر بن حيان في الكيمياء ما لأرسطو في المنطق ان العبقري الموهوب جابر من تلامذة الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام (ان جابر بن حيان اول من استخرج حامض الكبريتيك وسماه زيت الزاج واول من اكتشف الصودا الكاوية واول من استحضر ماء الذهب ومركبات اخر ككربونات الصوديوم وكربونات البوتاسيوم وهو الذي درس وسجل مركبات الزئبق واستحضرها وهو اول من وصف اعمال التقطير والتبلور والتذويب والتحويل وغير ذلك)) [١]

٢) محمد بن زكريا الرازي (٨٥٤ - ٩٣٢ م - ٢٤٠- ٣٢٠ هـ) اشتغل بالكيمياء والسيمياء وصناعة الطب والفلسفة نبغ واشتهر وقد ذكر من تصانيفه ٢٣٢ كتابا ورسالة منها الحاوي في الطب ترجم الى اللاتينية ، الطب المنصوري،المرشد في الطب ،الجدري والحصبة، برء الساعة)[٢]

٣) الشيخ الرئيس ابن سينا (٩٨٠- ١٠٣٧ م)(٣٧٠- ٤٨٢ هـ) هو واحد من ابرز الاسماء اللامعة في تاريخ العلم والطب والفكر والفلسفة والطبيعيات وضع كتبا عميقة" اشهرها ، الاشارات ، الشفاء ، النجاة ، القانون وهذا

---

١ فلاسفة الشيعة، عبدالله نعمة، منشورات دار الحياة بيروت ٢٠٠٤ م ص ١٨٤- ٢٣٠

٢ : الاعلام، خيرالدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٥ م ط ١٦، ج ٦ ص١٣٠

الاخير موسوعة طبية مكونة من خمسة أجزاء وقد بقي معولا عليه ستة قرون من الزمن وترجمه الافرنج الى لغاتهم وكانوا يتعلمونه في معاهدهم ان قسم الطبيعيات من كتاب الشفاء مثلا مليء بالتجارب التي اجراها يقول مثلا عن البحث في موضوع قوس قزح وقد تواترت مني هذه التجربة بعد ذلك مرارا فظهر لي ان السحاب الكدر ليس يصلح ان يكون مرآة البتة) [١]

٤) الحسن بن الهيثم (٩٦٥ – ١٠٤١ م) (٣٥٤- ٤٣٠ هـ)

فلكي رياضي كان اكثر علمه بالبصريات والعدسات والمشهور انه مخترع المجهر ، له كتاب في علم المناظر ترجم الى اللاتينية واصبح كتابا مدرسيا في اوربا العصور الوسطى الى عصر بيكون وله مقالة في الضوء) [٢]

٥) نصير الدين الطوسي (١٢٠١ – ١٢٧٤م) (٥٩٧- ٦٧٣ هـ)

المحقق المشهور نبغ في الفلسفة والكلام والرياضيات والفلك والجغرافيا ، بنى مرصدا في اذربيجان عام ٦٥٧ هـ ورصد وجماعته الكواكب وعينوا اطوالها ودرجات عرضها ، وقد طلب نصير نخبة فريدة من كبراء علماء الفلك المشهود لهم بالمقدرة العلمية لاتمام المرصد ، وكانت النفقات التي صرفت في هذا المضمار باهظة جدا ، واستغرق بناؤه خمسة عشر عاما ، واستنبط المحقق نصير الدين الطوسي مايعرف بالزيج الايلخاني في المرصد المذكور ونشره في كتاب خاص ، احتوى على جداول وطرائف حسابية جديدة لم تكن معروفة من قبل وبقي هذا الزيج هو المعتمد عليه في اوربا خلال عصر النهضة) [٣] ان المسلمين استخدموا التجربة اداة للفحص عن الحقائق ومن اراد التوسع

---

١ المصدر السابق ص ١٣٠

٢ ريحانة الادب ، لمحمد علي المدرس، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٠ م، ج ٦ ص ٢٨١

٣ فلاسفة الشيعة، عبدالله نعمة، مصدر سابق ص ٤٧٢ – ٤٨٢

فعليه الرجوع الى كتاب – ميراث الاسلام – بقلم عدد من المستشرقين ، وكتاب – شمس العرب تسطع على الغرب – تأليف زيكرند هونكه،

الخلاصة : إن المعرفة غير الفطرية أي المكتسبة يحصل عليها الانسان بالتدريج من خلال التفكر والنظر العقلي والسعي واستخدام التجارب ، ان هذا اللون من العلم يعد مصدرا من مصادر المعرفة كما تقول نظرية القرآن الكريم،

١٦ ـ الروح أو النفس

إنها شخصية مستقلة هي حصن المعرفة الاصيل ووعاؤها الكبير ومحركها الاول بل هي السيد الاكبر في أعماق الذات ، لها سلطان على المادة (البدن) وهي نافذة على الغيب وما وراء الطبيعة لنستعرض أولا بعض النصوص القرآنية والاحاديث الشريفة : قال تعالى (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)[1] كما ورد في القرآن الكريم ان الله سبحانه بعد ان خلق الانسان من صلصال من حمأ مسنون (قالب من طين) قال (ونفخت فيه من روحي)[2] وفي الحديث (الروح جسم رقيق قد البس ثوبا كثيفا)[3] كما (ان الروح جسم رقيق هوائي مأخوذ من الريح، ويدل على ذلك أنه يخرج من البدن ويرد عليه)[4] وبتعبير الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عندما سئل عن الروح (قال التي هي في الدواب والناس قيل ماهي ؟

---

١ سورة الاسراء الآية ٨٥

٢ سورة الحجر الآية ٣٠

٣ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٦١ ص ٣٤

قال : هي من الملكوت ومن القدرة)[١] فالروح كما نستشف من النصوص آنفة الذكر هي باعث الحركة (وعن وضع الروح عند النوم سئل الامام الصادق -ع- فقال : انها تخرج من البدن ويبقى منها جزء فيه)[٢] وفي رواية(سأل ابو بصير أبا عبدالله الصادق عليه السلام : الرجل النائم هنا والمرأة النائمة يريان انهما بمكة أو بمصر من الامصار أرواحهما خارج من ابدانهما ؟ قال : لا ياأبا بصير فان الروح إذا فارقت البدن لم تعد إليه غير انها بمنزلة عين الشمس هي مركبة – مركوزة - في السماء كبدها وشعاعها في الدنيا)[٣] وبتعبير المصطلحات العلمية الحديثة فان الروح تسيطر على الجسم عند النوم (سيطرة بعيدة) كما اسلفنا في فصل الرؤيا المنامية، ان عمل الروح الجوهري هو اعطاء الطاقة التي يمكن تشبيهها بالطاقة الكهربائية التي تحرك جميع أجهزة الجسم، وإن الروح اذا تنفست ارتدت اسما جديدا هو النفس : مأخوذة من التنفس والكائنات المتنفسة هي الكائنات الحية، فيقال روح الجنين ولايقال نفس الجنين ولا مشكلة عند القول روح الطفل أو نفس الطفل والرَّوحُ ؛ التنفس)[٤] ((وذلك لكون النفس بعض الروح نحو تسمية الانسان بالحيوان وجُعل اسما للجزء الذي به تحصل الحياة والتحرك واستجلاب المنافع واستدفاع المضار، وسمي أشراف الملائكة أرواحا نحو (يوم يقوم الروح والملئكة صفا – تعرج الملئكة والروح – نزل به الروح الامين) سمي به جبريل وسماه بروح القدس في قوله (قل نزله روح القدس) وسمي عيسى بن مريم

---

١ المصدر السابق ج ٦ ص ٢٠٩

٢ أمالي الصدوق، الحر العاملي، تحقيق محمد جواد المحمودي، طبعة قم مطبعة باسدار اسلام ١٤٢٠ هـ ج ٥ ص ١٢٥

٣ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٩١ ص ٤٣

٤ سورة الرحمن الآية ١٢

عليه السلام روحا في قوله (وروح منه) وذلك لما كان له من إحياء الاموات وسمي القرآن روحا في قوله تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) وذلك لكون القرآن سببا للحياة الاخروية الموصوفة • والروح التنفس وقد أراح الانسان إذا تنفس وقوله (فروح وريحان) فالريحان ماله رائحة قال الشاعر :

ياحبذا ريح الولد ريح الخزامى في البلد

أو لأن الولد من رزق الله تعالى والريح معروف وهي مما قيل الهواء المتحرك والرَوح من السعة والفرج والرحمة (وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ))[1] ولا تعارض بين القول ان النفس هي مركز المعارف او القول ان الروح هي مركز المعارف وبعبارة الامام علي بن محمد الهادي عليه السلام (ان الله خلق الروح وجعل لها سلطانا فسلطانها النفس)[2] إن خلق النفس ليس كخلق الجسد فقد يكون الجسد كاملا أو ناقصا ولكن النفس خلقت كاملة الصنعة مستوية (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا)[3] ويعرف الفقهاء النفس بأنها (جوهر روحاني بسيط مجرد عن المادة قائم بذاته لاحيز له وهو لايتغير بتغير الظواهر النفسية ولا يتبدل بتبدلها)[4] ان القرآن الكريم يتعامل مع النفس بكونها شخصية مستقلة لها السيادة والسلطان على المادة (البدن) وهي في الوقت نفسه نافذة على الغيب•النفس معلقة بالبدن تعطي أوامر تحريكه الا انها في النهاية مفارقة لهذا البدن لأنها من تكوين مختلف، فلا ينالها الانحلال أو الفناء بل تنتقل الى عالم آخر جديد(إِذِ

---

١ المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، مصدر سابق ص ٢١٢

٢ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٤٠ ص ٢٢٢

٣ سورة الشمس الآية ٧

٤ التفسير الموضوعي لبيان القرآن، سميح عاطف الدين، مصدر سابق ج ٧ ص ١١

الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ)[١] (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[٢] وفي الحديث الشريف (الارواح جنود)[٣] ولامناص من القول ان اتصال النفس بالبدن يتم عن طريق الدماغ الذي له وجهان وجه مادي كما يشاهده الاطباء وآخر روحي كما يدرسه الفقهاء، ان النفس تسيطر على جميع أجزاء الجسد المادية والمعنوية، فامبراطورية الجسد خاضعة لقرار النفس وهي تتركز بالشأن الذي تبغيه فتارة تظهر في العقل واخرى في القلب وثالثة في الحواس كالزعيم الذي يزور أجزاء امبراطوريته عند الحاجة ولكن مركز اتصالها الجوهري هو الدماغ ، يقول صدر المتألهين الشيرازي(ان النفس مملكة تشبه مملكة بارئها تشمل على أنواع الجواهر والاعراض المجردة والمادية)[٤] إن الروح عندما تلبس ثوب النفس تصاحبها حركة جوهرية مستمرة تتطور فيها وتتكامل ويشرح الاستاذ حسن ابراهيميان هذه الحركة فيقول(ان النفس تمثل نتاجا لحركة تكاملية لجوهر المادة بمعنى ان النفس بخصوصياتها تسعى نحو الكمال بحركة ذاتية جوهرية وفي نهاية هذا السير تتخلص من المادة وقوانينها وتعبر الى عالم المجردات مستخدمة البدن في طي مداخل الكمال)[٥] أما صاحب تفسير الميزان فيقول (النفس في أول وجودها عين البدن ، ثم تمتاز

---

١ سورة الانعام الآية ٩٣

٢ سورة الزمر الآية ٤٢

٣ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، مصدر سابق ج٦ ص ٢٠٨

٤ نظرية المعرفة عند صدر المتألهين، محمد شقير، مصدر سابق ص ٦٩

٥ نظرية المعرفة، حسن إبراهيميان، بيروت لبنان مؤسسة أم القرى ٢٠٠٤ م، ص ١٠١

بالإنشاء منه ، ثم تستقل عنه بالكلية)[1] فتصير بحال (لا تمازج البدن ولا تواكله وإنما هي كلل للبدن محيطة به)[2] وفيما يتعلق بالمعرفة (ان الانسان يأتي الى الدنيا خالي الذهن من أي علم ومعرفة حتى المعارف البديهية وتكون المعارف مختمرة بالقوة في النفس الانسانية تظهر وتتفتح شيئا فشيئا مع مرور الزمن واحتكاك الانسان بالوقائع الخارجية عبر ادوات المعرفة) [3] وبعبارة الامام علي (ع) (العقل غريزة تزيد بالعلم والتجارب)[4]

إن النفس الانسانية واحدة وان تسميات النفس النباتية والنفس الحيوانية وغيرها من المسميات انما هو من باب تسجيل تجليات النفس كما يقال ان فلانا صادق فيقصد إن صدقه برز أكثر من كذبه أو إن فلانا شريف ويقصد إن شرفه برز اكثر من فجوره وقد شبه علماء المسلمين النفس بالجسم فاذا كان الجسم متناسقا في أعضائه يكون سليما من الامراض أما إذا اختل عضو فيه فان الجسم يفقد توازنه ويصبح سقيما ولهذا يقال ان نفس فلان مريضة وهذا المفهوم لايتعارض مع كون النفس عند بداية خلقها مستوية (متكاملة الخلقة) وقد عبر القرآن الكريم عن النفس بمعان عدة تمثل حالاتها أو تجلياتها سنتطرق اليها بخطوطها العامة التي يمكن تسميتها بانها مراتب النفس

١) النفس الأمارة : ان النفس بطبعها تدعو الى مشتهياتها من السيئات فليس للانسان ان يبرىء نفسه من الميل الى السوء وانما له ان يكف عن أمرها بالسوء ودعوتها الى الشر وذلك برحمة من الله سبحانه (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ

---

[1] الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطبطبائي، مصدر سابق ج ١ ص ٢٠٤

[2] بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٥٨ ص ٤١

[3] مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، ط٣ مؤسسة الامام الصادق، قم ١٤٢١ هـ، ج ١ ص ٧٣

[4] عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، مصدر سابق ج ١ ص ٤١

النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ)[1] قال الامام علي عليه السلام (ان النفس لامارة بالسوء والفحشاء فمن أئتمنها خانته ومن استنام اليها اهلكته ومن رضي عنها اوردته شر المورد) [2] والدعوات الاخلاقية جاءت لتعديل ذلك الميل وتحفيز النفس لكي تتجه في مسير السعادة والابتعاد عن الافراط والتفريط،إن النظريات المادية نادت بالانصياع لرغبات اللذة في حين نادت الرهبانية بكبح جماح اللذات والشهوات والعزوف عن الحياة في الكهوف والاديرة أما الاسلام فقد راح يدعو الى منهج وسط بينهما (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق)[3] وفي الوقت نفسه يامر بكبح جماح النفس عن ارتكاب المعاصي والسيئات التي توجب الفوضى في المجتمع وتسوقه الى الانحلال الاخلاقي .

٢) النفس اللوامة : وهي الضمير الذي يؤنب الانسان على ما اقترفه من السيئات والآثام ولاسيما بعدما يفيق من سكراتها وينحدر في دوامة الندم على ماارتكبه وهذا يدل على ان النفس ممزوجة بالميل الى الشهوات وفي الوقت نفسه فيها ميل الى الحق والعدل ولكل تجلٍ ظروفه فان غلبة الشهوات يحول دون ظهور نورالحق فيقترف المعاصي والآثام ولكنه ما ان تخمد شهوته يصفو أمامه جمال الحياة وتنكشف مضرات اللذة فتستيقظ النفس وتأخذ باللوم والعذل الى حد ربما تدفع صاحبها الى الانتحار لعدم تحمله وطأة تلك الجريمة، والخلاصة ان النفس اللوامة هي تلك التي إذا فعل الانسان سوءا لامته وانبته

---

١ سورة يوسف الآية ٥٣

٢ ميزان الحكمة، محمد الريشهري، مصدر سابق ج ١٠ ص ٤٢٥

٣ سورة الاعراف الآية ٣٢

على فعله واليها اشار القرآن الكريم بقوله (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ • وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ)[١]

(واختلف المفسرون في المراد من النفس اللوامة على آراء أهمها

١) : انها النفس الكافرة الفاجرة التي تلوم نفسها يوم القيامة إن كانت عملت خيرا قالت : هلا ازددت • وإن كانت عملت سوءا قالت ليتني لم افعل .

٢) : ان المراد نفس المؤمن التي تلومه في الدنيا على ارتكاب المعصية وتحفزه على اصلاح ما بدا منه • والظاهر ان القول الثاني هو المتعين فالآية الكريمة تحكي عن المنزلة العظيمة التي تتمتع بها النفس اللوامة الى حد أقسم بها سبحانه)[٢] (وفي مصطلحات علم النفس تسمى النفس اللوامة بالوجدان الاخلاقي • ويصفون الوجدان بانه محكمة لاتحتاج الى قاض سوى النفس وهي التي تقوم بتاسيس المحكمة وتشخص المجرم وتصدر الحكم بلا هوادة ومن دون أي تهاون)[٣]

٣) النفس المطمئنة

وهي النفس التي توصلها النفس اللوامة الى حد لاتعصف بها عواصف الشهوة وتطمئن برحمة الرب وتحس بالمسؤولية الموضوعة على عاتقها أمام الله وامام المجتمع يقول سبحانه (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ • ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً • فَادْخُلِي فِي عِبَادِي • وَادْخُلِي جَنَّتِي)[٤] فصاحب هذه النفس يمتلىء بالسرور والفرح عند الطاعة وتجد في صميمها لذة للطاعة وحلاوة

---

١ سورة القيامة الآيتان ١-٢

٢ مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، مصدر سابق، ج ٩ ص ٤٠٢

٣ المصدر السابق ص ٤٠٣

٤ سورة الفجر الآيات ٢٧ - ٣٠

للعبادة لايمكن وصفها بالقلم واللسان وبعبارة اخرى (النفس المطمئنة هي التي تسكن الى ربها وترضى بما رضي به فترى نفسها عبدا لايملك لنفسه شيئا من خير او شر أو نفع أو ضر ويرى الدنيا دار مجاز وما يستقبله فيها من غنى او فقر أو أي نفع وضر ابتلاء وامتحانا إلهيا فلا يدعوه تواتر النعم عليه الى الطغيان واكثار الفساد والعلو والاستكبار ولايوقعه الفقر والفقدان في الكفر وترك الشكر بل هو في مستقر من العبودية لاينحرف عن مستقيم صراطه بافراط او تفريط)[1] قال امير المؤمنين علي عليه السلام (ان النفس لجوهرة ثمينة من صانها رفعها ومن ابتذلها وضعها)[2]

٤) النفس الراضية المرضية

وهي النفس المتكاملة الراضية من ربها والتي رضى الرب منها واطمئنانها الى ربها يستلزم رضاها بما قدر وقضى تكوينا أو حكم به تشريعا فلا تسخطها سانحة ولا تزيغها معصية واذا رضى العبد من ربه لزم طريق العبودية استوجب ذلك رضى ربه ولذا عقب قوله (راضية) بقوله (مرضية) (وفي قوله تعالى : وادخلي جنتي ،تعيين لمستقرها وفي إضافة الجنة الى ضمير المتكلم تشريف خاص ولايوجد في كلام الله تعالى إضافة الجنة الى نفسه تعالى إلا في هذه الآية)[3]

١ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطبطبائي، مصدر سابق ج ٢٠ ص٢٨٥

٢ غرر الحكم ودرر الكلم، الآمدي، مصدر سابق ج١ ص ١٤٨

٣ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطبطبائي، مصدر سابق ج٢٠ ص ٢٨٦

جهاد النفس

لاشك ان الوعظ من العوامل المؤثرة في النفوس { الوعظ ؛ زجر مقترن بتخويف • قال الخليل بن احمد الفراهيدي هو التذكير بالخير كقوله تعالى : يعظكم الله لعلكم تذكرون}[1] (روي ان رسول الله محمد ﷺ رأى بعض اصحابه منصرفا من بعث كان بعثه وقد انصرف بشعثه وغبار سفره وسلاحه يريد منزله فقال : انصرفوا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فقيل له : او جهاد فوق الجهاد بالسيف ؟ قال : نعم جهاد المرء نفسه)[2] (جاهدوا انفسكم عن شهواتكم تحل قلوبكم الحكمة)[3] وعن امير المؤمنين علي عليه السلام (مجاهدة النفس شيمة النبلاء)[4] (ينبغي للعاقل أن لايخلو في كل حال من طاعة ربه ومجاهدة نفسه)[5] وعن الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام قال (ان المؤمن مُعنى بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها فمرة يقيم اودها ويخالف هواها في محبة الله ومرة تصرعه نفسه فيتبع هواها فينعشه الله فينتعش ويقيل الله عثرته فيتذكر)[6] ومن امراض النفس العُجب بالنفس روي عن الامام الصادق (ع) (من اعجب بنفسه هلك ومن اعجب برأيه هلك وان عيسى بن مريم عليه السلام قال : داويت المرضى فشفيتهم بإذن الله وأبرأت الأكمة والأبرص بإذن الله

---

١ المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، مصدر سابق ص ٥٤٢

٢ مستدرك الوسائل، محمد حسين النوري الطبرسي، مصدر سابق ج ٢ ص ٢٧٠

٣ تنبيه الخواطر و نزهة النواظر، ورام ابي فراس المالكي الاشتري(ت ٦٠٥ هـ) دار التعارف بدون تاريخ، بيروت، ص ٣٦٢

٤ غرر الحكم ودرر الكلم، الآمدي، مصدر سابق ج١ ص ١٥٩

٥ المصدر نفسه

٦ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٧٨ ص ١٦٣

وعالجت الموتى فأحييتهم بإذن الله وعالجت الاحمق فلم أقدر على اصلاحه فقيل ياروح وما الاحمق؟ قال : المعجب برأيه ونفسه الذي يرى الفضل كله له لا عليه ويوجب الحق كله لنفسه ولايوجب عليها حقا)[١] يقول الامام علي عليه السلام (ما لابن آدم والعجب أوله نطفة قذرة وآخره جيفة قذرة وهو بين ذلك يحمل العذرة)[٢] (إذا عجبت بما انت فيه من سلطانك فحدث لك أبهة أو مخيلة فانظر الى عظيم ملك الله وقدرته مما لاتقدر عليه من نفسك فان ذلك يلين من جناحك ويكف من غربك ويفيء اليك مما غرب عنك من عقلك)[٣]

إن النفس بعد الموت تنتقل الى عالم البرزخ وتسكن جسما يعبر عنه بالهيولى وعلامة الموت كما يقول الامام الصادق جعفر بن محمد (إذا جمد الدم فارق الروح البدن)[٤] ان (الروح : النفس) تهبط من عالم ما وراء المادة الى الجسد وفي كتب التفسير (أن ولوج الروح الى الجسد بعد اربعة أشهر من حمل الجنين في بطن امه)[٥] وهو ما تؤيده كتب الطب الحديث،وبعد ان تمر النفس بالتحولات تتجرد ثانية فتصعد الى العالم الذي جاءت منه ، تنزل روحا مجردة وتصعد مرتدية ثوب النفس وما كسبت في الحياة الدنيا، قال الامام الصادق عليه السلام (ان الجسم الهيولي الذي تسكن فيه الروح في البرزخ يشبه تماما في شكله

---

١ المصدر نفسه ج ٧٢ ص ٣٢٠

٢ ميزان الحكمة - محمدي الريشهري - مصدر سابق ج ٣ ص ٣٨

٣ المصدر نفسه

٤ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ١٠ ص ١٨٥

٥ المصدر السابق ج ٥٧ ص ٣٥

وتفاصيله الانسان الذي كان في الدنيا فكأنه طيف له)[1] واذا قامت القيامة ونفخ في الصور حينها تزوج النفوس (الارواح الهيولية) بأجسادها المادية القديمة (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ)[2] (ان الادراك البشري ينقسم على قسمين رئيسين وهما التصور والتصديق فالتصور عبارة عن وجود صورة لمعنى من المعاني في مداركنا الخاصة، فعندما يدق أحد ما عليك باب الدار فانك ستتصور وجود شخص ما وراء الباب أما التصديق وهو القسم الآخر من الادراك فهو عبارة عن حكم النفس بوجود حقيقة من الحقائق وراء التصور كمعرفتك بأسم الشخص الذي دق باب الدار هو محمد، ومادامت النفس في البدن فانها تتسلم المعرفة بجميع الطرق (المعرفة الحسية) (إستنتاجات العقل وبصائره) (رغبات الفطرة) (إشارات الايحاء) (التسديد الالهي بالتعليم) (أضواء الهداية) (الرؤيا المنامية) وتختمر هذه الطرق في مرحلتي التصور والتصديق ومن ثم تتخذ النفس قرارها المناس،

الخلاصة : النفس شخصية مستقلة وهي حصن المعرفة الاصيل ووعاؤها الكبير ومحركها الاول ،هي السيد الاكبر في أعماق الذات لها سلطان على (المادة ، البدن، الجسد) وهي نافذة على الغيب وما وراء الطبيعة فالمعارف تأتي الى النفس من كل حدب وصوب والقوى تتجاذبها ليلا ونهارا،

---

١ الاعجاز العلمي عند الامام علي، لبيب بيضون، مؤسسة الاعلمي بيروت ٢٠٠٥ م ص ٨١

٢ سورة التكوير الآية ٧

١٧ـ الميزان :

عنصر جوهري في ولادة المعرفة البشرية وله اهمية بالغة فهو يستلم جميع عناصر المعرفة (من الحواس والعقل والقلب والبصائر والالهام والفطرة والايحاء والهداية والرؤيا المنامية والذاكرة) ويقارن بين الصواب والخطأ ويقدم ما يشبه تقريرا موجزا متوازنا الى النفس لتتخذ قراراتها والميزان على نوعين ميزان الاثقال والتجارة وميزان الافعال والاقوال بدليل قوله تعالى(وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ)[١] (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ)[٢] (فالمراد من الميزان كل ما يوزن أي يقدر به الشيء وهو أعم من ان يكون عقيدة أو قولا أو فعلا ومن مصاديقه الميزان الذي يوزن به الاثقال)[٣] (الميزان لغة المقياس وهو وسيلة لوزن الاجسام المادية والذي ذكر بعد خلق السماء له مفهوم واسع لاينحصر بقياس الاوزان المادية فقط بل يشمل كل وسيلة للقياس بما في ذلك القوانين التشريعية والتكوينية)[٤] وبعبارة السيد محمد حسين فضل الله (الميزان الذي يحدد للناس حدود الاشياء وموازينها بالطريقة التي لاتنحرف في دائرة التصور عن الاستقامة في الفكر في الحكم وفي القيمة لان هناك قاعدة في الوحي الالهي تضبط ذلك كله من خلال الخطوط الموضوعية لتقدير القيم والقضايا والافكار كما تنطلق هذه القاعدة لتحدد خطوط السير في دائرة الحركة الى المواقع التي يريد الله للانسان أن يتحرك فيها وهكذا يمتد الامر الى العلاقات الانسانية التي جعل الله لها حدودا وركز لها ميزانا يزن

---

١ سورة الحديد الآية ٢٥

٢ سورة الرحمن الآيتان ٧، ٨

٣ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطبطبائي، مصدر سابق ج ١٩ ص ١٠٩

٤ الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، مصدر سابق ج١٧ ص ٣٧٣

الامور على اساس العدل فلا تخضع لهوى ولاتتحرك بانفعال بل تلتقي على قاعدة التوازن التي خلق الانسان على اساسها في لقاء الجوانب المتعددة في شخصيته)[١] والميزان يكشف الاخطاء سواء منها خطأ الاحساس بالواقع أو خطأ المعطيات المقدمة الى النفس أو خطأ أي من أدوات المعرفة، فالصواب هو المطابق للواقع وهو عكس الخطأ أو الباطل (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ)[٢] والضلال هو العدول عن الطريق عمدا أو سهوا أما الخطأ فهو ما ليس للانسان فيه قصد واحد اسبابه سرعة عمل الميزان أو خطأ في المعطيات التي قدمت الى الميزان مما ادى الى خطأ في القرار الذي اتخذته النفس ومن الضروري والمفيد في هذا الفصل ملاحظة هذا البحث المقتضب

معيار الحقيقة والوهم ٣

ما معيار كون الشيء حقيقة أو وهما ؟ تعددت الآراء والنظريات الفلسفية في محاولاتها الاجابة عن هذا السؤال ، سنستعرض أهمها مع نقدها بايجاز شديد :

١) أجابة الفيلسوف الفرنسي أوغست كونت ١٧٩٨ – ١٨٥٧ م

الحق هو المقبول من المجتمع والوهم هو المرفوض منه ،ان فكرة كون الارض مركز الكواكب كانت مقبولة لدى المجتمع عامة فهي حق في زمانها وفكرة كون الشمس هي مركز الكواكب مقبولة اليوم فهي حق في زمانها،

تعليق: ليس الكثرة دليل الحق ولا القلة دليل الباطل لان الحق والباطل عبارة عن قيم وجدانية لاعلاقة لها بالكثرة أو القلة. ان الرأي العام ليس هو

---

١ من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله، ط ٣، دار الزهراء، بيروت ج ٢١ ص ٣٥٩

٢ سورة الحج الآية ٦٢

٣ نظرية المعرفة : جعفر السبحاني، مصدر سابق ص٧٦

معيار الحق من الوهم دائما فالحقائق الرياضية مثلا او القوانين الاخلاقية والمنطقية لايتبدل الرأي العام فيها فان ٢+٢=٤ هذه حقيقة ثابتة سواءا اتفق افراد المجتمع ام لا ، أو ان الخير محمود والشر مذموم وهكذا نجد جملة كثيرة جدا من الحقائق ثابتة خالدة لجميع البشر في جميع انحاء الارض ولكل مراحل التاريخ .

٢)أجابة الفيلسوف وليم جيمس ١٨٤٢- ١٩١٥م

الحق ما كان مفيدا أو ناجحا او نافعا في الحياة ،

تعليق: هذا القول لايمكن الاخذ به لان هذه النظرية لايمكن تعميمها على القوانين الفيزيائية والكيميائية والرياضية ولا علاقة للضرر والنفع بحقيقة ان(الارض تدور حول الشمس) او (ان الذرة مكونة من الكترون وبروتون ونيوترون)

٣) أجابة الفيلسوف بول فورييه١٧٧٢- ١٨٣٧م

الحقيقة أمر نسبي لامطلق يختلف بحسب الظروف الزمانية والمكانية، فانت تصف احد الاصدقاء في فترة من الفترات بالاخلاص وتصفه في فترة اخرى بالخيانة وكلا الوصفين صحيح في مرحلته فلا توجد حقيقة ثابتة البتة،

تعليق : ان ما ذكر من مثال لايمت بصلة الى النسبية فان الرأي الاول يرفض الرأي الثاني فلم تجتمع حقيقتان متناقضتان لتقويم الشخص بل ان الشخص نفسه غير تصرفاته من حال الى حال ،في حين موضوعنا الاصل هو كيف نميز بين الحق والوهم ، أي الصواب من الخطأ ،

٤) أجابة الفيلسوف الانجليزي فرانسيس بيكون ١٥٦١ – ١٦٢٦م

التجربة هي معيار تمييز الحقيقة عن الاوهام أي ان العمل بالتجارب والتاكد من صحتها هو المقياس والمعيار.

تعليق: ان هذه الاجابة لايمكن قبولها لان المعارف العقلية الاولية سابقة على التجربة وحاكمة عليها كما ان المباديء الرياضية والاخلاقية والعاطفية غير خاضعة للتجربة .

٥) أجابة الفيلسوف الالماني كارل ماركس { ١٨١٨م-١٨٨٣ م}

الغلبة هي علامة الحق وآيته والهزيمة هي ملاك الباطل وعلمه ٠

تعليق: ان وقائع التاريخ مثلا ترفض هذا اللون من التفكير فلو نظرنا الى سيطرة الدول الاستعمارية على الدول الفقيرة فهل مجرد السيطرة تعطي الحق للظالم المحتل٠ أو ان المظلوم الذي سلبت ارضه ووطنه اصبح باطلا ٠

٦) أجابة ارسطو ومعه الفلاسفة الاسلاميون :

ان المعرفة البدهية (تجليات البصائر) هي المعيار فهي الحجر الاساس لتشخيص الحق عن الباطل والصواب عن الخطأ ٠ ان الافكار البدهية في باطن العقل التي يذعن لها الانسان من دون الحاجة الى برهان هي معيار الحقيقة والوهم ٠ فالقضية الصادقة هي المطابقة للواقع والكاذبة هي المخالفة له ٠ أن السؤال الجوهري لم يطرح بعد وهو : ما الملاك الذي يكون به الشيء حقا او وهما ؟ من الذي يقرر ان القضية صادقة مطابقة للواقع ومعبرة عنه أم لا ؟ من الذي يميز المفيد والناجح عن الضار والفاشل ٠ان المحاولات آنفة الذكر هي هروب من الجواب وليس جوابا .

ان هذا السؤال لاجواب له الا في مفهوم الميزان الذي طرحه القرآن الكريم : فالميزان عنصر جوهري من مكونات النفس وله اهمية بالغة فهو يستلم جميع عناصر المعرفة ويقارن بين الصواب والخطأ[1] ويقدم ما يشبه تقريرا

---

[1] ومن الأمور المهمة التي يجب الإشارة إليها هو في كيفية نشأة الخطأ في الفكر البشري وقد اثار هذا التساؤل كثير من الفلاسفة والمناطقة واجابوا باجابات متعددة.

موجزا متوازنا الى النفس لتتخذ قراراتها • والميزان كما اسلفنا أعم من ميزان الاثقال بل المراد منه ميزان الافعال والاقوال والعقائد (السماء رفعها ووضع الميزان الا تُطغوا في الميزان)[١] (وضع الميزان) ميزان النفس

الخلاصة: الميزان يكشف الاخطاء سواء منها خطأ الاحساس بالواقع أو خطأ المعطيات المقدمة الى النفس أو خطأ أي من الأدوات • إن الوهم هو العدول عن الطريق عمدا أو سهوا أما الخطأ فهو ما ليس للانسان فيه قصد واحد اسبابه سرعة عمل الميزان أو خطأ في المعطيات التي تسلمتها الحواس وقدمتها الى الميزان مما يؤدي الى خطأ في القرار الذي اتخذته النفس•

اجابة: ان علوم المنطق تتكفل عصمة الفكر عن الخطأ، ويبقى على عاتق الإنسان مراعاته عند التطبيق، فالخطأ الناشيء هو من سوء التطبيق.

اجابة: - أن الخطأ ينشأ بسبب خطأ نفس مواد الأقيسة حيث ان بعضها نظري، وكلما ابتعدت القضايا عن البداهة زادت نسبة الخطأ.

اجابة: - ان الخطأ هو نتيجة عدم توازن في افعال النفس فقد ذكرنا سابقا ان الاذعان والجزم الحاصل لدى النفس هو غير النتيجة، وان وظيفة العقل النظري هو الادراك، فالخلل يحصل عندما يحصل تجزم واذعان غير متناسب مع درجة الادراك الحاصلة لدى العقل النظري.

وقد سعى الفلاسفة والمفكرون لازالة هذا الخطأ أو على الأقل تقليل نسبة الخطأ. ومن تلك المحاولات ما دعى اليه السيد محمد باقر الصدر (رحمه الله) باعتماد منهج الاستقراء وتراكم الاحتمالات في الفكر البشري بدلا من القياس الارسطي، والاستقراء طريقة رياضية عملية. حيث تتضاءل احتمالات الخلاف حتى تصل إلى نسبة قليلة جداً بحيث تقوم النفس بالغاء احتمال الخلاف، وتتعامل مع النتيجة معاملة اليقين الصحيح التام وتكون النتيجة حينئذ يقينية برهانية) انظر : الإمامة الإلهية، محمد سند، سلسلة الكتب العقائدية (١٦٤)، إعداد مركز الأبحاث العقائدية ج ٧ ص ٢

١ سورة الرحمن الآيتان ٧، ٨

١٨ ـ الذاكرة :

كيف ترجع الى بيتك ؟ انك تعرف مكانه، وكيف عرفت مكانه ؟ ان مكانه قد اودع في ذاكرتك ، وانت في محلك التجاري كيف تأخذ من هذا المكان هذه القطعة ومن هذا المكان هذه القطعة ، لان هذه القطع كلها مودعة في ذاكرتك ، ان الانسان اذا عاش ستين عاما فهناك من الصور التي تختزنها ذاكرته مايزيد عن مليارات المعلومات فلو اردنا ان ننسخ هذه المعلومات في كتب لاحتاجت الى آلاف المجلدات، وثمة ذاكرة للمسموعات وذاكرة للمشمومات وذاكرة للمبصرات وذاكرة للالوان وذاكرة للاسماء فاذا قدم اليك عطر شممته تقول اسمه كذا وهكذا في الذوقيات ويقول بعض العلماء ان الذاكرة قاموس ومترجم فوري ويتجسد عملها من خلال الحفظ (وهو ضبط الصورة المعلومة بحيث لا يتطرق إليها التغيير و الزوال)[1] (ان الخلية العصبية لاتنقسم ولاتموت فلو انها انقسمت وماتت لفقد الانسان خبراته كلها)[2] فيقول لك فلان ان خبرتي في الطب اربعون عاما وانا خبرتي في القانون خمسون عاما ولو فقد ذاكرته لفقد كل خبراته دفعة واحدة فما هي الذاكرة وما هو التذكر ؟ التذكر وعي وهو الادراك المركز{ الوعي حفظ الحديث ونحوه يقال وعيته في نفسي، قال تعالى (لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية)[3] والايعاء حفظ الامتعة في الوعاء قال تعالى (وجمع فاوعى)[4] قال الشاعر

والشر أخبث ما أوعيت من زاد ، ولاتماسك للنفس من دون وعي}[5]

---

[1] الميزان في تفسير القرآن، الطبطبائي، مصدر سابق ج ٢ ص ٢٤٧

٢ موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم، يوسف الحاج احمد، مصدر سابق ص ٦١٠

[3] سورة الحاقة الآية ١٢

[4] سورة المعارج الآية ١٨

٥ المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، مصدر سابق ص ٥٤٢

والذاكرة هيئة للنفس بها يمكن للانسان ان يحفظ ما يقتنيه من معرفة ويثبت ما يؤدي الى الفهم وهي كالحفظ وتعد واحدة من أهم عناصر النفس وقد عبر القرآن الكريم عن الذاكرة بالتذكر وقال ان التذكر من الله(وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)[١] (وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)[٢] وفي الاصطلاح القرآني هناك ذاكرة ضعيفة وذاكرة قوية كما هي ذاكرة أولي الالباب (وما يذكر الا أولوا الالباب)[٣] وعكس التذكر النسيان وهو ترك النفس ضبط ما استودعت عن غفلة أو عن قصد وقد يكون النسيان إرادة الهية كما في قوله تعالى (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[٤] ننسها : نحذف ذكرها عن النفوس بالقوة الالهية (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)[٥] أو يكون النسيان غفلة من البشر وسهو (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا)[٦] عهد الله الى آدم ان يأكل من كل الثمار الا شجرة واحدة فنسى ، وفي هذا المضمار يقول الامام الصادق عليه السلام في حديثه مع المفضل (أفرأيت لو نقص الانسان من هذه الخلال واحدة وكيف يكون حاله؟ وكم من خَلل يدخل عليه في أموره ومعاشه وتجاربه اذ لم يحفظ ما له وماعليه وما أخذه وما أعطى وما رأى وما سمع ثم لايهتدي لطريق لو سلكه ما لايحصي ولا يحفظ علما ولو درسه عمره ولا يعتقد دينا ولا ينتفع بتجربة بل كان حقيقا ان ينسلخ من الانسانية اصلا

---

١ سورة المدثر الآية ٥٦

٢ سورة البقرة الآية ٢٢١

٣ سورة البقرة الآية ٢٦٩

٤ سورة البقرة الآية ١٠٦

٥ سورة الرعد الآية ٣٩

٦ سورة طه الآية ١١٥

وأعظم من النعمة على الانسان في الحفظ النعمة على النسيان فانه لولا النسيان لما سلا أحد عن مصيبة)[١] وتبقى اشارة مهمة قال بها القرآن الكريم وهي ان الذاكرة عند بعض الناس تضعف عند تقدم العمر (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا)[٢] فمن فقد علما تعلمه فقد ضعفت ذاكرته ونسي ولابد من الاشارة بالقول ان المراد بالتذكر ليس هو ما ذهب اليه افلاطون القائل ان العلوم هي عبارة عن تذكير لما هو موجود أصلا في سريرة الانسان بل المقصود هنا هو الحفظ كما يقول أئمة اللغة)[٣]

الخلاصة: إن الذاكرة ليست آثار تنقش من خلال معطيات الحس بل هي حافظة ملحقة بالنفس لها أسرار وقوانين تجعل الانسان يتذكر ما يصلح إمور حياته ويتناسى ما يفسدها ، وهناك ذاكرة قوية يمتلكها أصحاب العقول الراجحة (اولي الالباب) وذاكرة أقل قوة لعامة الناس وقد تنعدم الذاكرة أحيانا عند بعض المعمرين من الناس بل قد تنعدم الذاكرة عند بعض الناس.

١٩ـ الكتب السماوية والانبياء

هي مصدر أساس من مصادر المعرفة كما تقول آيات القرآن الكريم ، لقد زود الانسان بعدد هائل من الحقائق التاريخية والاجتماعية والعلمية والثقافية والاقتصادية من خلال الكتب السماوية مما ساعده في رسم مفاهيم أصيلة للكون والخلق والحياة والتطور حيث الفت كتب غزيرة واكتشفت علوما جمة

١ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٣ ص ٨١

٢ سورة الحج الآية ٥

٣ لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق

وعن هذا المصدر المعرفي ، قال القرآن الكريم (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ)[١] (وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ)[٢] وفي الخطاب الموجه الى النبي محمد- ص- (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ)[٣] (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)[٤] (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[٥] وسنذكر بعض الحقائق العلمية التي تزود بها البشر من خلال القرآن الكريم لكي تكتمل ملامح الصورة .

حقيقة : انخفاض الضغط الجوي عند ارتفاع الانسان الى السماء، قال تعالى (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ)[٦]

حقيقة : ان بعض النباتات تلقح بوساطة الرياح (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ)[٧]

حقيقة : ان عسل النحل علاج شاف لبعض الامراض (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[٨]

---

١ سورة المائدة الآية ٤٤

٢ سورة المائدة الآية ٤٦

٣ سورة النحل الآية ٨٩

٤ سورة ابراهيم الآية ٤

٥ سورة الجمعة الآية ٢

٦ سورة الانعام الآية ١٢٥

٧ سورة الحجر الآية ٢٢

٨ سورة النحل الآيتان ٦٨ - ٦٩

حقيقة : ان الجبال تحفظ للارض توازنها في مواجهة الماء (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ)[١]

حقيقة : إن المياه العذبة والمياه المالحة لاتمتزجان عند التلاقي (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا)[٢]

حقيقة : أن الارض متحركة (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب)[٣] والجبال ملتصقة بالارض.

إن الكتب السماوية في حاجة الى بيان معانيها وتوضيحها وكشف المراد منها وكان الانبياء يقومون بهذا الدور ويفيضون على الناس بمزيد من المعلومات في مختلف نواحي الحياة فشكلوا مصدرا للمعرفة كما تقول نظرية القرآن ، أن الفقهاء والمفسرين يقولون ان الكتب السماوية والرسل هم بمثابة (نبي خارجي) وان بصائر النفس وثوابتها البديهية هما بمثابة (نبي داخلي) والخلاصة : ان الانبياء والكتب السماوية ينبوعان من ينابيع المعرفة كما تقول نظرية القرآن الكريم .

(٢٠) المعرفة الشهودية الخارقة:

إن في القرآن الكريم آيات كثيرة تصرح بان الأنسان المتقي المتحلي بالفضائل المتنزه عن الرذائل ترعاه عناية الله تعالى وتفيض عليه الهداية بعد الهداية والعلم بعد العلم ولايزال يرقى مدارج المعرفة حتى يبلغ مقام شهود

١ سورة النحل الآية ١٥

٢ سورة الفرقان الآية ٥٣

٣ سورة النمل الآية ٨٨

الغيب ويعطى قدرات خارقة تكريما من الله سبحانه لعباده المخلصين وفيما يأتي بعض هذه الآيات قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا)[١] أي يجعل لكم في قلوبكم نورا خاصا تفرقون به بين الصالح والطالح تارة بالبرهنة والاستدلال واخرى بالشهود والمكاشفة وقد تصل العناية الالهية لمن اخلص لله الى مراحل متقدمة تتمثل في صرف السوء والفحشاء عنه فهذا رجل (رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)[٢] وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ) [٣] (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ)[٤] ونلاحظ هنا الصلة الواضحة التي تربط بين التقى والتعليم لاحظ الآية (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)[٥] فالعبادة هدف أوسط أما الهدف الاسمى فهو اليقين (اليقين شيء لايتصور غيره بحال)[٦] وبعبارة العلامة الطبطبائي (اليقين: هو اشتداد الإدراك الذهني بحيث لا يقبل الزوال و الوهن)[٧] وهناك ثمار متعددة لمراتب اليقين في المنظور القرآني (كلا لو تعلمون علم اليقين، لترون الجحيم، ثم لترونها عين اليقين)[٨] ان الرؤية أو الاطلاع على الجحيم أو رؤية الجنة من ثمرات علم اليقين بالمعارف الالهية وان المشاهدة

---

١ سورة الانفال الآية ٢٩

٢ سورة يوسف الآية ٢٤

٣ سورة الحديد الآية ٢٨

٤ سورة البقرة الآية ٢٨٢

٥ سورة الحجر الآية ٩٩

٦ الموسوعة الفلسفية، عبدالرحمن بدوي، مصدر سابق ج ٢ ص ٦٤٠

٧ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مصدر سابق ج ٢ ص ١٤٢

٨ سورة التكاثر الآيتان ٥-٧

الاعلى هي(عين اليقين)(ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ)[١] ثم مرحلة اعلى تسمى(حق اليقين) قال تعالى (إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ)[٢] والمراد رؤية الجحيم قبل يوم القيامة في هذه الحياة الدنيا لان رؤية الجحيم يوم القيامة أمر ميسور ومتحقق لجميع المؤمنين وجميع الكافرين العالمين منهم والجاهلين. ان هذه الآيات وكثير غيرها تقول إن نافذة الفتوحات الباطنية والمكاشفات والمشاهدات تنزل على الامثل فالامثل من افراد الامة على قدر استحقاقهم وتحملهم. ورد في الحديث الشريف (ومن زهد فيها – في الدنيا- فقصر فيها أمله أعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية وأذهب عنه العماء وجعله بصيرا)[٣] وفي الحديث القدسي قول الله عز وجل عن العابد المجاهد (فاذا عشقني وعشقته رفعت الحجب فيما بيني وبينه)[٤] (لايزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى احبه فإذا احببته كنت له سمعا وبصرا وقلبا ويدا ورجلا إن دعاني أجبته وإن ناداني لبيته) [٥] وقال عز من قائل(عبدي اطعني حتى اجعلك مثلي اقول للشئ كن فيكون تقول للشئ كن فيكون)[٦] وفي قراءة موحدة لنصوص هذا الفصل نرى الصور الآتية :

(الذين ءامنوا بالله ورسوله) (واتقوا الله) (وعبدوا الله مخلصين) (وكسبوا العلم الرصين العميق) (وزهدوا في الدنيا) (وعشقوا الله بكل جوارحهم) سيصل كل منهم الى النتائج الآتية (يجعل له فرقانا) (يؤته كفلين

---

١ سورة التكاثر الآية ٧

٢ سورة الواقعة الآية ٩٥

٣ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مصدر سابق ج ٧ ص ٣٣٩

٤كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، مصدر سابق خ ١٨٧٢

٥ التحفة السنية، عبدالله نور الدين نعمة الله الموسوي، طهران كتبخانة ستان قدس ج ٣٧ ص ٢٦١

٦ شجرة طوبى، محمد مهدي الحائري، ط٥، المكتبة الحيدرية، النجف ١٣٨٥ هـ، ١٩٦٥م، ج ١ ص ٤٦

من رحمته) (يجعل له نورا يمشي به) (يعلمه الله) (يأتيه اليقين) (يرى الجحيم في الحياة الدنيا قبل الآخرة) (يصل الى عين اليقين) (يعطيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية) (يذهب عنه العمى ويفتح بصيرته) (ترفع الحجب فيما بينه وبين الله) ويحدث الكشف ، والمقصود بالكشف رفع الحجاب من الحقائق الغيبية والامور الخفية، سواء عن طريق المشاهدة كما تشاهد الصور في المرآة او عن طريق السماع يسمع صوت المَلك ولا يرى صورته أو قذف مباشر في القلب أو عن طريق الملامسة بالاتصال بين النورين أو رؤية الحقيقة خلال المنام ،قال علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله واصحابه المنتجبين (كشف الله له عن السموات والأرض حتى العرش وأسفل الأرضين)[1] وعن الامام علي عليه السلام بعد ان رأى كل الحقائق قال (لو كُشف لي الغطاء مازددت يقينا)[2] وقيل إن (الكشف يعني الحصول على تجليات الاسم العليم الحكيم بشكل مجرد عن المادة وآثارها)[3] (ويصب العرفاء الشرائط اللازمة لامكان التلقي من الغيب في أمور لابد من تحققها في النفس وهي :

١- عدم نقصان جوهرها ، بأن لاتكون كنفس الصبي التي لاتتجلى لها المعلومات لنقصانها ،

٢- صفاؤها عن كدورات ظلمة الطبيعة وخبائث المعاصي وهو بمنزلة الصقل عن الخبث والصدأ،

٣- توجهها الكامل الى عالم الغيب وانصرافها الى المطلوب، بأن لاتكون غارقة في الامور الدنيوية وهي بمنزلة محاذاة المرآة .

---

١ تفسير البحر المحيط، ابو حيان الاندلسي، مصدر سابق ج ٥ ص ١٨٧

٢ في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية، مصدر سابق ج ١٠٨ ص ٢

٣ نظرية المعرفة عند صدر المتألهين، محمد شقير، مصدر سابق ص ١٤٩

٤- تخليها عن التعصب والتقليد وهو بمنزلة ارتفاع الحجب.

٥- التوصل الى المطلوب بتأليف مقدمات مناسبة للوصول اليه على الترتيب المخصوص والشرائط المقررة .

كما حدد العرفاء الاسلاميون آلية الاشراق وخرق الحجب فقالوا ان العارف اذا اراد الوصول الى المعرفة الخاصة طوى المراحل اللازمة ٠ التي تسمى عندهم منازل السائرين وهي

١- اليقظة
٢- التوبة
٣- المحاسبة
٤- الإنابة
٥- التفكر
٦- التذكر
٧- الإعتصام
٨- الانقطاع
٩- كبح جماح النفس
١٠- درك اللطائف)[١]

فإذا ارتفعت حجب العصبية والسيئات عن النفس تجلت لها صورة عالم الملك والشهادة بحسب ما تستطيعه من الاخذ والتلقي(على قدر الدين تكون قوة اليقين)[٢] وعندها يلقب العارف بانه (مُحدَث) قال الامام الصادق عليه السلام (العارف شخصه مع الخلق

---

١ نظرية المعرفة : جعفر السبحاني، مصدر سابق ص ١٨٢- ١٨٤

٢ غرر الحكم، الآمدي، مصدر سابق

و قلبه مع الله لو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقا إليه)[1] ويرسم طريق الوصول الى مرحلة العارف بالعبارة الآتية (ثق بالله تكن عارفا)[2] وفي الحديث الشريف (ان عيسى ابن مريم كان يمشي على الماء ولو زاد يقينا لمشى في الهواء)[3] (لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال)[4] إن الامام علي عليه السلام عندما يتحدث عن هذه النافذة المعرفية العظمى فيصف العارف (وقد أحيا عقله وأمات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق فأبان له الطريق وسلك به السبيل)[5] وفي هذا المضمار قال الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام (الايمان ثابت في القلب واليقين خطرات فيمر اليقين بالقلب فيصير كأنه زبر الحديد ويخرج منه فيصير كأنه خرقة بالية)[6] وروي عن الامام الصادق عليه السلام (اليقين يوصل العبد الى كل حال سني ومقام عجيب)[7] وبعبارة الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام(الايمان فوق الاسلام بدرجة والتقوى فوق الايمان بدرجة واليقين فوق التقوى بدرجة)[8] أما الشيخ الرئيس ابن

---

[1] مصباح الشريعة، المنسوب للامام جعفر الصادق عليه السلام الطبعة الاولى، مؤسسة الأعلمي، بيروت - ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، ج ١ ص ٨٢

[2] ميزان الحكمة، محمد الريشهري، مصدر سابق ج ٣ ص ١٠٧

٣ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، مصدر سابق ج٣ ص ٧٩٢

٤ المصدر السابق ج٣ ص ٢٧٥

٥ نهج البلاغة، الشريف الرضي، مصدر سابق،، الكلم الصغار الرقم ١٤٧

٦ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٧٨ ص ١٨٥

٧ المصدر نفسه ج ٧٠ ص ١٧٩

٨ أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، مصدر سابق ج ٢ ص ٥٢

سينا [١] فيقول (ان للعارفين مقامات ودرجات يُخصون بها وهم في حياتهم الدنيا دون غيرهم فكأنهم وهم في جلابيب من ابدانهم قد نضّوها وتجردوا عنها الى عالم القدس ولهم امور خفية فيهم وامور ظاهرة عنهم يستنكرها من ينكرها ويستكبرها من يعرفها)[٢] وعلى تعبير صدر المتألهين الشيرازي (إن الروح الانساني إذا تجرد عن البدن خرج عن وثاقه من بيت قالبه ومواطن طبعه مهاجرا الى ربه لمشاهدة آياته الكبرى وتطهر من درن المعاصي واللذات والشهوات والوساوس العادية والتعلقات لاح له نور المعرفة والايمان وملكوته الاعلى وهذا النور إذا تأكد وتجوهر كان جوهرا قدسيا يسمى عند الحكماء في لسان الحكمة النظرية بالعقل الفعال وفي لسان الشريعة النبوية بالروح القدسي وهذا النور العقلي الشديد يتلألأ فيه أسرار ما في الأرض والسماء ويترآى منه حقائق الاشياء)[٣] وفي مناجاة العارفين المروية عن الامام علي بن الحسين (ع) ورد (الهي فاجعلنا من الذين ترسخت اشجار الشوق اليك في حدائق صدورهم ، واخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم ، فهم الى اوكار الافكار يأوون ، وفي رياض القرب والمكاشفة يرتعون ، ومن حياض المحبة بكأس الملاطفة يكرعون وعذب في معين المعاملة شربهم ، وطاب في مجلس الانس سرهم

---

١ ابن سينا :- الشيخ الرئيس امام الحكماء ابو حسين عبدالله بن علي المعروف بابن سينا .من نوابغ البشرية ٣٧٠- ٤٨٠ هـ طلب العلم في بخارى، حفظ القرآن الكريم في العاشرة من عمره تفوق على اساتذته في المنطق والهندسة والنجوم، من كتبه القانون في الطب وكتاب الشفاء والاشارات في الفلسفة

٢ شرح الاشارات والتنبيهات، الشيخ الرئيس ابن سينا، مصدر سابق ج ٣ ص ٣٦٣

٣ الاسفار الاربعة، صدر المتألهين الشيرازي، مصدر سابق ج ٧ ص ٢٤

واطمأنت بالرجوع الى رب الارباب انفسهم وقرت بالنظر الى محبوبهم اعينهم الهي ما الذ خواطر الالهام بذكرك على القلوب وما احلى المسير اليك بالاوهام في مسالك الغيوب ، وما اطيب طعم حبك ، وما اعذب شرب قربك))[1] وفي عبارة الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام (ان العبد اذا اختاره اللّه عز وجل لامور عباده شرح صدره، واودع قلبه ينابيع الحكمه، والهمه العلم الهاما فلم يع بعد بجواب، ولا يحير فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيد، موفق مسدد، قد امن من الخطايا والزلل والعثار يخصه اللّه بذلك ليكون حجته على عباده وشاهده على خلقه، وذلك فضل اللّه يوتيه من يشاء واللّه ذو الفضل العظيم)[2] .

وبتعبير عبدالكريم إبن هوازن القشبيري وهو من المصنفين الاوائل (٣٧- ٤٧٥ هـ) (كل عالم بالله تعالى عارف وكل عارف عالم وعند هؤلاء القوم المعرفة صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته، ثم صدق الله في معاملاته، ثم تُنفى عنه أخلاقه الرديئة وآفاته ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب إعتكافه، فحظي الله تعالى بجميل إقباله، وصدق الله تعالى في جميع أحواله، وأنقطع عن هواجس نفسه ولم يصغ بقلبه الى خاطر يدعوه الى غيره فاذا صار من الخلق أجنبيا ومن آفات نفسه بريا ومن المساكنات والملاحظات تقيا ودامت في السر مع الله تعالى مناجاته وحق في كل لحظة إليه رجوعه وصار مُحَدثا من

١ براهين اصول المعارف الالهية، ابو طالب التجليل . مطبعة الحوزة العلمية، قم، ١٤١٧هـ، ١٩٩٥م، ج٢٣ص ١٠

٢ دروس في الامامة والقيادة، مجتبى الموسوى اللارى، ترجمة كمال السيد ج ٣ ص ٨

الحق سبحانه بتعريف أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره، ويسمى عند ذلك عارفا وتسمى حالته معرفة)[١] وفي عبارة الفيلسوف الاسلامي الكندي (المتوفى سنة ٢٥٢ هـ) (إذا بلغت النفس مبلغا في الطهارة رأت في النوم عجائب من الاحلام وخاطبتها الانفس التي فارقت الابدان وأفاض عليها الباري من نوره ورحمته فتلتذ حينئذ لذة فوق لذة تكون بالمطعم والمشرب والنكاح والسماع والنظر والشم واللمس لأن هذه لذات حسية دنيئة تعقب الاذى وتلك لذة إلهية روحانية ملكوتية تُعقب الشرف الاعظم هذه النفس لاتنام مطلقا لأنها وقت النوم تترك إستعمال الحواس فتعلم كل مافي العلم وكل ظاهر وخفي)[٢] وهكذا يصل الانسان الى معرفة أسرار العالم أي يشاهد الحقائق الكلية فلا يكون فيها أي أحتمال للخطأ يقول الامام علي عليه السلام وهو سيد العارفين(ما شككت في الحق مذ أُريته)[٣]

إن نظرية المعرفة في القرآن الكريم تحدثت عن مراحل الحس والعقل ثم القلب ثم النور الذي يفيضه الله على قلب الانسان بتدفق غير اعتيادي فمن الممكن ان تجد عالما كبيرا أو فيلسوفا عظيما خاليا من النور وقد تجد رجلا عاديا يفيض بالنور ،جاء في الحديث الشريف (ثلاث صفات من صفة اولياء الله : الثقة بالله في كل شيء ، والغناء به

١ الرسالة القشيرية / عبدالكريم بن هوازن القشيري، مطبعة التقدم العلمية – بيروت ١٩٩٧م ١٣١٩ هـ ص ٢٤١

٢ التفكير الفلسفي في الاسلام، عبدالحليم محمود، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٩٣م ص ١٢٠

٣ نهج البلاغة، الشريف الرضي، مصدر سابق، الحكمة ١٧٥

عن كل شيء والافتقار اليه في كل شيء)[١] روي عن الامام علي عليه السلام (ان الله تبارك وتعالى اخفى وليه في عباده فلا تستصغرن عبدا من عبيد الله فربما يكون وليه وانت لاتعلم)[٢] (ان اولياء الله هم الذين نظروا الى باطن الدنيا إذا نظر الناس الى ظاهرها واشتغلوا بآجالها إذا اشتغل الناس بعاجلها فاماتوا منها ما ماخشوا ان يميتهم وتركوا منها ما علموا انه سيتركهم)[٣] وهذا ما عناه الامام الصادق عليه السلام عند خطابه (عنوان البصري : ليس العلم بالتعلم انما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى ان يهديه)[٤] وهذا الكلام يشير الى ما في الآية المباركة (يهدي الله لنوره من يشاء)[٥]

إن بعض العرفانيين يشبهون من يتبع المعرفة بالعقل والحس بمن يمشي برجل خشبية اذا ما قيس بالعارف ولكن الواقع ان العقل والحس هما محطة الادراك حتى في المعرفة الخارقة أو الاشراقية أو الالهية، وفي قصة نبي الله سليمان عليه السلام لما أراد جلب عرش الملكة بلقيس من اليمن الى دمشق وضوح في مدى القدرة الخارقة التي يحصل عليها من لديه جزء من علم الكتاب قال تعالى (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ، قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ، قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا

---

١ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ١٠٣ ص ٢٠

٢ المصدر نفس ج ٦٩ ص ٢٧٥

٣ المصدر نفسه ص ٣١٩

٤ ميزان الحكمة، محمد الريشهري، مصدر سابق ج ٣ ص ٣٩٨

٥ سورة النور الآية ٣٥

رَآَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي)[1] فالذي عنده علم من الكتاب (مِن للتبعيض) أي جزء من علم الكتاب فقد أوتي قدرة خارقة (والمشهور عند جمهرة المفسرين انه آصف بن برخياء)[2] وهو عفريت من الجن. ونجد ذكر المحدث في الأمم السالفة واضح في مواضع اخرى من القرآن الكريم فهذا صاحب موسى - ويقال انه الخضر كان محدَثا فقد أخبرعن مصير السفينة والغلام والجدار وهو لم يكن نبيا وهذه مريم البتول كانت الملائكة تكلمها وتحدثها ولم تكن نبية ، قال سبحانه{ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ}[3] وينفرد الامام علي امير المؤمنين عليه السلام ببيانه البليغ عن حقائق العرفان ومراحل الحياة المعنوية واخذ منه تلاميذه تلك الذخائر الجمة واشهر اصحابه من العرفاء سلمان الفارسي واويس القرني ورشيد الهجري وميثم التمار وتكاد تجمع امهات المصادر الاسلامية على ان الامام علي بن ابي طالب عليه السلام كان عنده علم الكتاب وهو المقصود في قوله تعالى (كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب)[4] ومن عرفانه

---

١ سورة النمل الآيات ٣٨- ٤٠

٢ التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي، مصدر سابق ج ٨ ص ٨٩ . وروي عن الامام الباقر محمد بن علي -ع- (إن اسم الله الاعظم في ثلاثة وسبعين حرفا . وانما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالارض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ثم عادت الارض كما كانت اسرع من طرفة العين) انظر : بحار الانوار ج ١٤ ص١١٣

٣ سورة آل عمران الآية ٤٢

٤ سورة الرعد الآية ٤٣ / وقيل ان من عنده علم الكتاب هو عبدالله بن سلام حبر اليهود الذي اسلم وقد رد على هذا الرأي ابن عباس بقوله : ان هذه الآية مكية وان هذا اليهودي اسلم بعد الهجرة . وقيل ان المقصود هم اهل الكتاب الذين آمنوا من اليهود والنصارى وهذا الرأي مرفوض

قال (ايها الناس سلوني قبل ان تفقدوني فلأنا بطرق السماء اعلم مني بطرق الارض)[١] ربي (ما عبدتك خوفا من نارك ، ولا طمعا في جنتك ، ولكن وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك)[٢] وهذه تسمى عبادة العاشقين ٠ ونلاحظ الامر نفسه مع نبي الله يوسف عليه السلام فلما بلغ اشده اعطاه الله علما وحكمة (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)[٣] ونلاحظ أيضا انه بعدما امتلك العلم والحكمة امتلك القدرة الخارقة فكان قميصه وسيلة لعلاج ابيه من العمى (قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ٠ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ)[٤] (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا)[٥]

ان الفرق بين العارف الاسلامي والعارف الصوفي هو الآتي :

١) ان الصوفي يحصر أدوات المعرفة بالالهام في حين ان العارف الاسلامي يؤمن بتعدد أدوات المعرفة - الحس والالهام والعقل والقلب والوحي الخ

لان المخاطب هو شخص واحد ٠ وقيل ان من عنده علم الكتاب هو جبرائيل عليه السلام وهذا القول مرفوض لان جبرائيل لايمكن ان يحضر للمشاهدة امام الناس ومن ثم يكون شاهد ٠ ومن يريد التفاصيل يراجع التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي، مصدر سابق، ج ٣ ص ٧٤، تفسير نور الثقلين، عبدعلي بن جمعة العروسي، مصدر سابق ج ٢ ص ٣٤٦

١ نهج البلاغة، الشريف الرضي، مصدر سابق، ص ٣٧٠

٢ البيان في تفسير القرآن، أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م) الطبعة الرابعة، دار الزهراء، بيروت، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، ج١ ص ٣٢

٣ سورة يوسف الآية ٢٢

٤ سورة يوسف الآيتان ٩٢- ٩٣

٥ سورة يوسف الآية ٩٦

٢) الصوفي يقول ان التمارين والرقصات والاناشيد والمكابدات تؤدي الى المعرفة والكشف في حين يقول العارف الاسلامي ان الالتزام بالعبادات كلها وقواعد الشريعة ظاهرها وباطنها يؤدي الى المعرفة والكشف.

٣) ان الصوفي يقول انه يصل الى مرحلة الاتحاد بالذات الالهية في حين يقول العارف الاسلامي انه في جميع الاحوال والمعارف والدرجات يبقى يتلقى المعرفة من الفيض الالهي والتكريم الالهي . تكريم السيد للعبد .

الخلاصة : ان الانسان إذا ارتقى في سلم الطهارات والعبادات والعلم يكرمه الله بمعرفة غير طبيعية تخترق الحجب الغائبة عن حواسنا فيرى اشياء غيبية من عالم الملكوت وقد يكرمه الله تعالى بان يسخر له بعض الجن او بعض الملائكة يطيعونه فيما يريد.

إستدراك : يمكن تقسيم فيض المعرفة في القرآن الكريم على قسمين:

الاول : الآلي الثابت العام :

وهو المتعلق بمجموع الالهامات الثابتة لكل البشر ومنها ، الفطرة ، الالهام ، البصائر ، الميزان ، الخير والشر ، الفجور والتقوى ، تعليم اللغة والبيان ، الرؤيا المنامية الاعتيادية ، هداية الخلقة ، الوحي التكويني ، الترهيب والترغيب وغيرها

الثاني : **المتحرك الحي** :

وهو المتعلق بالذات البشرية ككائن حي له ظروفه الخاصة كفرد ويدخل فيها : الوحي بملك للانبياء ، الاصطفاء ، التعليم الخاص المسدد ، الرؤيا المنامية الخاصة ، العرفان ، الضلال والهدى

خلاصة نظرية القرآن في المعرفة

١) إن المعرفة الحسية لها أهمية بالغة في المعرفة،ولكنها معرفة سطحية ظاهرية، فالمعرفة الحسية تعمل على تفتح العلم الوجداني الموجود في العقل وتزهره وتطوره فتقدم المعرفة خطوة جوهرية الى الامام ولكن المعرفة الحقيقية الرصينة هي التي تقوم على اساس التعقل والتدبر والتعاطي اليقيني مع المعارف وهو ما يقوم به العقل ،

٢) العقل ينظم الانطباعات الحسية الخام ويغربلها ويصنفها من خلال قياسها بالبصائر الثابتة التي الهم بها

٣) يساهم الالهام الذي هو عبارة عن القاء القوانين الوجدانية في النفس من دون وساطة وهو على قسمين عام لجميع البشر و خاص لفئة معينة منه

٤) البصائر : هي علة المعقولات وتعد المعيار والحجر الاساس لتشخيص الحق عن الباطل والصواب عن الخطأ ، وهي مجموعة عظيمة من القضايا البدهية يجدها الانسان في باطن عقله من طريق الالهام ويذعن بها من دون حاجة الى إقامة برهان أو يطلب دليل، وهذه البصائر يجهز بها جميع البشر، فاذا طرحت امام الانسان قضية ما لايدري هل هي صحيحة وصادقة أو زائفة وموهومة يرجعها الى القضايا والمعارف البدهية — البصائر — فإن صدقت تلك كانت هذه قضية حقة وان لم تصدقها كانت قضية باطلة

٥) الفطرة : لطف من الله سبحانه وهي كالبوصلة النفسية والجسدية الثابتة في صميم الخلقة مودَعةِ في كل فردٍ من أفراد العالم تجعل الانسان يتحرك وينمو ويتطور داخل اطار ثابت

٦) الوحي : وهو عبارة عن إشارات داخلية ربانية تساهم في تكامل المعرفة البشرية ويشترك الوحي بجميع انواعه العام والخاص في المساهمة في المعرفة البشرية٠

٧) الهداية الالهية في المعرفة دلالة لطيفة ومصدر من مصادر الادراك وهي أشبه بالنور الذي يقود الانسان الى ما قرره الله سبحانه٠

٨) التعليم : أي التسديد الالهي للانسان(ولاسيما العلماء في جميع اتجاهاتهم والمتمثل بالومضات الروحية للحظات من الزمن تمكن الانسان من حل الاشكالات المعرفية الصعبة والمنعطفات العصية على الحل٠

٩) الرؤيا المنامية عدها القرآن أحد مصادر المعرفة فهي تسهم في تكامل أدلة الهداية وبراهين اضافية عن تدخل الغيب الالهي في المعرفة

١٠) القلب أحد عظماء المستشارين للنفس وهو مختص بالامور العاطفية وله قوانينه الخاصة ٠

١١) الصدر يعد مكمن ومخزن لكثير من المعلومات والضغائن والوساوس والافكار٠

١٢) الغريزة الجنسية لها تأثير واضح وأصيل في الكثير من القرارات التي تتخذها النفس٠

١٣) الشياطين لهم دور تخريبي في نظام المعرفة وفي القرارات الخاطئة التي تتخذها النفس ويتجلى في قرارات النفس السيئة او الامارة بالسوء ٠

١٤) التفكر والنظر العقلي واستخدام التجارب : ان هذا اللون من العلم الذي يسمى المعرفة الكسبية يحصل عليها الانسان بالتدريج من خلال سعي الانسان وتجاربه العلمية والحياتية تمثل فيضا متجدد من العلم والمعارف تسهم في تكامل الصور المعرفية.

١٥) النفس شخصية مستقلة وهي حصن المعرفة الاصيل ووعاؤها الكبير ومحركها الاول .هي السيد الاكبر في أعماق الذات . لها سلطان على المادة البدن وهي نافذة على الغيب وما وراء الطبيعة فالمعارف تأتي الى النفس من كل حدب وصوب والقوى تتجاذبها ليلا ونهارا.

١٦) الميزان يكشف الاخطاء سواء منها خطأ الاحساس بالواقع أو خطأ المعطيات المقدمة الى النفس أو خطأ أي من الأدوات . إن الوهم هو العدول عن الطريق عمدا أو سهوا . أما الخطأ فهو ما ليس للانسان فيه قصد واحد اسبابه سرعة عمل الميزان أو خطأ في المعطيات التي استلمتها الحواس وقدمتها الى الميزان مما يؤدي الى خطأ في القرار الذي اتخذته النفس.

١٧) الذاكرة هيئة للنفس بها يمكن للانسان ان يحفظ ما يقتنيه من معرفة ويثبت ما يؤدي الى الفهم وهي كالحفظ وتعد واحدة من أهم عناصر النفس. إنها حافظة ملحقة بالنفس لها أسرار وقوانين تجعل الانسان يتذكر ما يصلح إمور حياته ويتناسى ما يفسدها

١٨) الكتب السماوية والانبياء لها دور مهم في تكامل المعرفة من حيث ارشاد النفس بعدد هائل من الحقائق المطلقة.

١٩) ان الانسان إذا ارتقى في سلم الطهارات والعبادات والعلم يكرمه الله بمعرفة غير طبيعية تخترق الحجب الغائبة عن حواسنا فيرى اشياء غيبية من

عالم الملكوت وقد يكرمه الله تعالى بان يسخر له بعض الجن او بعض الملائكة يطيعونه فيما يريد ٠

٢٠) إن النفس تتسلم المعلومات من مختلف مصادرها : الحس ، العقل ، الفطرة ، البصائر ، الوحي ، ألالهام ، الرؤيا المنامية ، القلب ، الصدر ، الكتب السماوية والانبياء التجارب البشرية فترسلها الى الذاكرة التي ترسل المعلومات بدورها الى الميزان الذي يقدم خلاصة مركزة على ضوئها تتخذ النفس قرارها الذي ينفذه الجسد ٠

ان طبيعة القرار الذي تتخذه النفس يخضع لهذه العوامل جميعا وهذه هي خلاصة نظرية القرآن في المعرفة

سؤال قديم وجواب جديد

يطرح في هذا الموضع السؤال التقليدي المعروف وهو هل الانسان مخير في قراراته ام مسير؟ وبعبارة الفقهاء القدماء هل هو مجبر ام مفوض؟ وأرى من المناسب قبل ان نعطي جوابا قاطعا حول هذا الموضوع ان نستعرض بعض النصوص ٠قال الامام علي بن ابي طالب عليه السلام في بيان بطلان الجبر(لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والامر والنهي والزجر ولسقط معنى الوعد والوعيد ولم تكن على مسيء لائمة ولا لمحسن محمدة ولكان المحسن أولى باللائمة من المذنب والمذنب أولى بالاحسان من المحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وخصماء الرحمن)[1] وقال عليه السلام (الاعمال ثلاثة: فرائض وفضائل ومعاص فاما الفرائض فبأمر الله ومشيئته وبرضاه وبعلمه وقدره يعملها العبد

١ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٥ ص ١٣

فينجو من الله بها وأما الفضائل فليس بأمر الله لكن بمشيئته ••• وأما المعاصي فليست بأمر الله ولا بمشيته)[1]

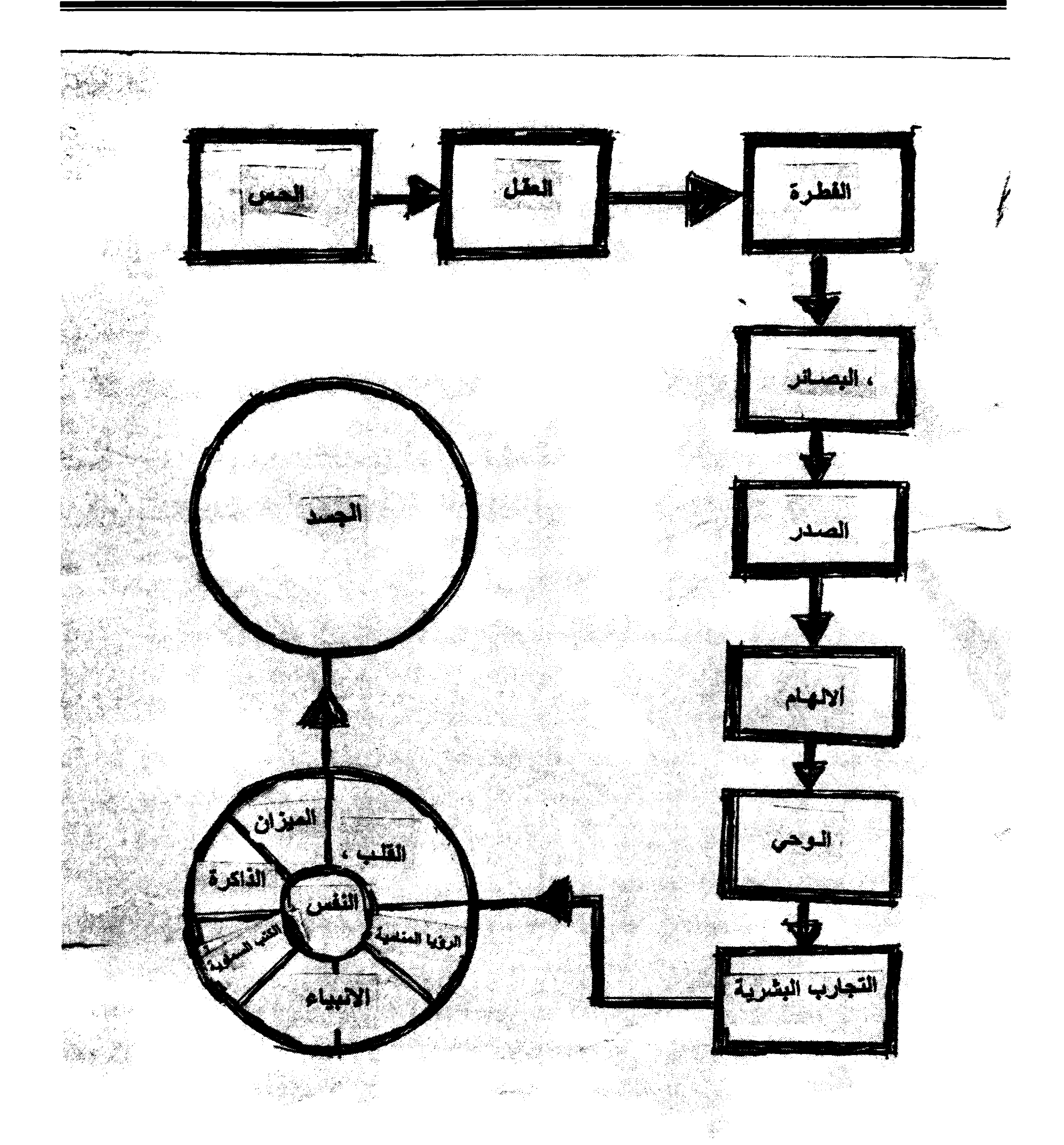
(سأل رجل الامام الصادق –ع – أجبر الله العباد على المعاصي ؟ قال لا • فقال : فوض اليهم أمرهم ؟ قال لا • قال فماذا ؟ قال : لطف من ربك بين ذلك)[2] ومن اجل توضيح الجواب سنعطي المثال الآتي (عندك خادم تريد ان تختبر صدقه في الخدمة واخلاصه في العمل من كذبه وخيانته فتعطيه مبلغا من المال ليقضي بها الحوائج في السوق فيتصرف بكل حرية من دون رقيب عليه وانت تعلم هل هو خان الامانة أو صانها حين يأتي وقت الحساب • فالتخويل الالهي بشرطه)[3] وهكذا هي مسألة الجبر والتفويض: ان الله سبحانه وتعالى خول الانسان ان يتصرف في الحياة الدنيا بعد ان رسم له معالم ما يريد الله ويحب وما يكره الله وما يرفض• وبعبارة أوضح : جبر يتمثل بمجموع الأوامر والنواهي والترهيب والترغيب•وتفويض يتمثل بحرية التسوق في الحياة الدنيا (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى • وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى)[4]

١ تحف العقول، الحسن بن علي الحراني، مصدر سابق ص ١٤٦

٢ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ج ٥ ص ٨٣

٣ هذا المثال مقتبس من كتاب (أصول الدين الاسلامي)، تاليف د رشدي محمد عليان ود قحطان عبد جمال، مطبعة كلية التربية بغداد ٢٠٠٠ م ص ١١١

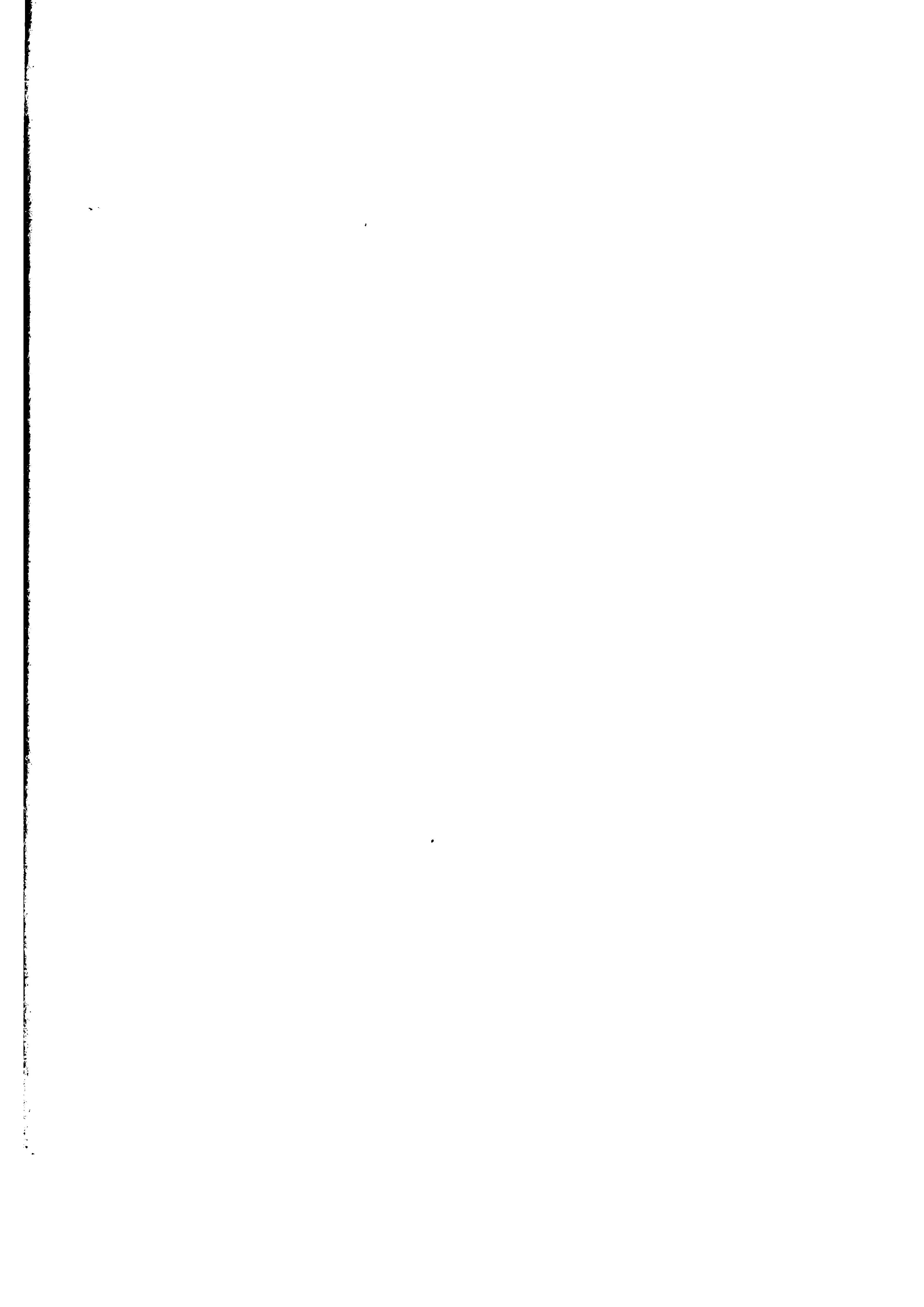
٤ سورة النجم الآيتان ٣٩، ٤٠



مخطط بياني يوضح نظرية المعرفة في القرآن الكريم

الفصل الثالث

المقارنة



تمهيد

ان القرآن الكريم ومصطلحات الفلاسفة عالمان متباعدان من الافكار والقيم وان المجهود التوفيقي بينهما هي محاولة غاية في الصعوبة فليس من السهل مزجهما في مفهوم مشترك للمقارنة ونحن حاولنا ان نقرب بينهما ما امكن ذلك ولعل من اهداف البحث هو تقريب القرآن المجيد الى اذهان الفلاسفة ◦ وإذا فسرنا الفلسفة بانها بحث عميق في جذور الافكار فان القرآن الكريم دعا الى التفكير الفلسفي كما في قوله تعالى(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[1] (قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)[2] (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ)[3] (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)[4] (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[5] وفي الوقت نفسه رفض القرآن الكريم الجدل العقيم الذي لاترجى منه فائدة ولايستند الى دليل قال تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ)[6] ان التفكير الفلسفي العميق الذي دعا اليه القرآن هو التفكير العلمي الموضوعي العقلاني الذي يحقق الفوائد ويستند الى الادلة:

---

١ سورة الرعد الآية ٤

٢ سورة يونس الآية ١٠١

٣ سورة الاعراف الآية ١٨٥

٤ سورة البقرة الآية ٢٦٦

٥ سورة الاعراف الآية ١٧٦

٦ سورة الحج الآية ٨

١) نقاط الاتفاق بين القرآن ونظريات الفلاسفة

١) اتفقت نظريات الفلاسفة مجتمعة والقرآن الكريم في اهمية نظرية المعرفة فعلى صعيد الفلسفة كانت نظرية المعرفة احد اعمدتها الاساسية وكذلك القرآن الكريم الذي بث نظريته في المعرفة مفرقة في ثنيات آياته هنا وهناك واعطى اشارة واضحة لرسم صورة شاملة لمعالم نظريته في هذا المضمار فقال (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)[1]

٢) اتفقت نظريات الفلاسفة جميعها مع نظرية القرآن على ان محور نظرية المعرفة هو الجواب على سؤال هذه الدراسة وهو السؤال المركزي: كيف تدرك النفس حقائق الاشياء؟

٣) اتفقت جميع نظريات الفلاسفة مع نظرية القرآن الكريم على ان الوسيلتين الاساسيتين للمعرفة عند الانسان هما الحس والعقل واكدا على دور حيوي للحس وقالا ان الانسان اذا فقد حاسة فقد المعرفة الخاصة بهذه الحاسة وان الحس هو قاعدة التصورات البشرية فيما شذت عن هذه القاعدة نظرية الغرائز الضامرة .

٤) اتفق الفلاسفة جميعا مع القرآن الكريم على ان الانسان يولد خالي الذهن عن كل معرفة (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا)[2]

٥) اتفق الذكر الحكيم مع نظرية الاستذكار الافلاطونية على امكان تذكر المعلومات من عالم الى آخر

٦) اتفق القرآن الكريم مع نظرية الافكار الفطرية على ذكر لفظ الفطرة.

---

١ سورة الذاريات الآية ٢١

٢ سورة النحل الآية ٧٨

٧) اتفق القرآن الكريم مع نظرية الغرائز الضامرة على وجود ما هو باطن في تفكير الانسان قد يؤثر على نوعية القرار الذي يتخذه الانسان وقال القرآن (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ)

٨) اتفق القرآن الكريم مع نظرية الاشراق الالهي والنظرية الصوفية على وجود قوى غيبية تسهم في المعرفة والادراك البشري

٩) اتفق الذكر الحكيم مع النظرية الجدلية على اهمية النظر الى الواقع الموضوعي لتكوين الصور المعرفية

١٠) اتفق الذكر الحكيم مع نظرية الافكار الفطرية ونظرية الاشراق الالهي ونظرية القوة الكامنة على وجود مباديء عقلية اولية يرتكز عليها التفكير وسماها القرآن البصائر.

١١) اتفق القرآن الكريم مع نظرية الغرائز الضامرة على وجود دور حيوي للغريزة الجنسية في صنع القرار.

١٢) اتفقت نظرية القرآن مع نظرية القوة الكامنة على وجود رغبات معرفية كامنة بالقوة في اعماق النفس تتفتح تدريجيا

٢) نقاط الاختلاف بين القرآن ونظريات الفلاسفة

١) اختلفت نظرية القرآن الكريم عن مقولات السفسطة كلها فالقرآن قال بوجود حقائق مطلقة عن الكون والحياة والخلق والمعرفة في حين نفت السوفسطائية ذلك جملة وتفصيلا . ويمكن ان نستلهم ردا قرآنيا على السفسطة في الآية المباركة (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ)[1]

---

١ سورة الحج الآية ٨

٢) اختلف القرآن الكريم مع نظرية الاستذكار حول مفهوم التذكر، فقال القرآن ان الانسان في حياة ما بعد الموت يتذكر حياة ما قبل الموت ، في حين قالت نظرية افلاطون ان الانسان يتذكر من عالم ما قبل الولادة واختلفت نظرية افلاطون عن الذكر الحكيم في ماهية المعلومات التي يتذكرها الانسان فقال القرآن ان الانسان يتذكر اعماله الصالحة او الطالحة التي عملها في الحياة ، قالت نظرية افلاطون ان الانسان يتذكر المثل ، واختلف مصطلح التذكر فقد قال افلاطون ان التذكر استرجاع في حين قصد القرآن الكريم الحفظ ،

٣) قالت اغلب نظريات الفلسفة التي درسناها في هذا البحث : ان الوجود يساوي المادة وان المعرفة ظاهرة مادية تتحقق اثر التعاملات الفيزيائية والكيميائية والفسلجية وانها لاتؤمن بوجود مصادر معرفية خارج نطاق الواقع المنظور في حين قالت نظرية القرآن ان الانسان مكون من قسمين مادي(الجسم) وروحي (الهيولي)[1] وان المعرفة ظاهرة روحية حسية وفيها انواع من الفيض الالهي او المدد الغيبي وان الوجود الفكري لاينحصر في الذهن فقط

٤) ان المعرفة في اغلب نظريات الفلاسفة احادية الجانب فهي عند افلاطون تذكر وعند لوك حس وعند ديكارت افكار فطرية وعند فرويد غرائز

---

١ الهيولي : لفظ يوناني بمعنى: الأصل، والمادة، وفي الاصطلاح: هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين: الجسمية، والنوعية.) وبعبارة اوضح ان الهيولي هو جوهر روحي يتخذ شكل الانسان الخارجي نفسه ويمثل الجسم صورة مادية طبق الاصل للهيولي ، وعند الموت يستخرج الهيولي الروحي ويبقى الجانب المادي من الهيولي وفي يوم القيامة يحدث التعاشق والتلاصق مرة اخرى انظر : التعريفات، علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ، ١٤١٣م) القاهرة سنة ١٣٠٦هـ، ١٨٨٨م، ج١ ص ٨٣

ضامرة وعند الاشراقيين نور وعند ماركس الواقع الموضوعي ٠ في حين نجد القرآن الحكيم يتحدث عن منظومة متكاملة شاملة مترابطة متحركة متطورة تشمل القوى الداخلية والخارجية ومنها الحواس والعقل والوحي والبصائر والنفس والقلب والصدر والوراثة والفطرة والشياطين والالهام والميزان والذاكرة والتعليم والغرائز والفيض الالهي والهداية والنبوة والسعي الانساني والرؤيا المنامية والعرفان والجانب الوراثي ٠

٥) اختلفت نظرية القرآن مع النظريات الحسية والجدلية والقوة الكامنة في تقدير قيمة الحس٠ ان هذه النظريات حصرت المعرفة بالحس وقالت انه السبيل الوحيد للمعرفة في حين قالت نظرية القرآن ان مرحلة الحس هي مرحلة تمهيدية لمعارف ارقى واعلى ٠

٦) ان النظريات الحسية ربطت المعرفة بالمادة الدماغية والجهاز الدماغي المادي في حين قال القرآن ان المعرفة مجردة عن المادة الدماغية وان المادة الدماغية عبارة عن وسيلة اتصال لاغير٠

٧) اختلف مفهوم الفطرة بين القرآن وديكارت ٠ فالفطرة على لسان القرآن والاحاديث النبوية هي الميل الذاتي الى الشيء من صميم الذات بلا حافز خارجي كالميل الى العدالة والعفة والزواج والرفعة والتفوق فهي ميول طبيعية يجدها الانسان في ذاته ٠اما الفطرة في مصطلح ديكارت فهي افكار طبيعية يجدها الانسان مزروعة في نفسه وتبدو في غاية الجلاء والوضوح كفكرة الله – وفكرة الحركة وفكرة الامتداد وفكرة النفس وكأنها لوازم للعقل البشري من دون ان يكون العقل مصدرا لها بل هو حامل لها وان مصدرها شيء غير ذاته وعقله٠

٨) ويوجد اختلاف حول المبادىء العقلية الاولية بين القرآن الكريم ونظريتي الافكار الفطرية والقوة الكامنة ففي حين سمتها نظرية ديكارت افكارا فطرية واسمتها نظرية القوة الكامنة المباديء الاولية سمتها نظرية القرآن بصائر.

٩) اعطى القرآن الكريم و بخلاف جميع نظريات الفلسفة مركزا تخصصيا للمعارف الوجدانية او العاطفية وسماه القلب – كناية عن الضمير - في حين كان موضوع الوجدانيات هامشيا متذبذبا في نظريات الفلاسفة الذين تعاملوا مع العقل البشري كأنه كمبيوتر يأخذ ويعطي من دون ان يكون له مشاعر مثل الحزن والفرح والحب والبغض وغيرها .

١٠) ان نظرية القرآن في المعرفة اعطت امتيازا وتفضيلا خاصا للسمع والبصر في حين تعاملت نظريات الفلاسفة مع ادوات الحس بالتساوي. وحدث تعارض بين نظرية القوة الكامنة التي فضلت البصر على السمع في حين ان القرآن الكريم فضل السمع على البصر

١١) تحدثت آيات القرآن الكريم عن الصدر وعدته وعاءا لكثير من المعلومات والضغائن في حين لم تشير كتب الفلسفة الى هذا الجانب من قريب او بعيد.

١٢) ان نظريات الفلاسفة تعاملت مع ادوات المعرفة كآلة ميكانيكية في حين تعامل القرآن الكريم مع ادوات المعرفة ككائن حي يأخذ ويعطي يرغب ويخاف . يتصل مع العالم العلوي – الغيب - ويتصل مع العالم السفلي- التجارب- بصيغة التأثر والتأثير .

١٣) ان معظم نظريات الفلسفة قالت ان مرحلة المعرفة واحدة في حين يقول القرآنالكريم ان للمعرفة مراحل متعددة ودعا الى التفكر والتفكير الطويل للوصول الى المعرفة اليقينية ٠

١٤) قالت اغلب نظريات الفلسفة ان علوم الانسان كلها مكتسبة حصولية لجميع الناس في حين قالت نظرية القرآن الكريم ان علوم الانسان تنقسم على قسمين هما

أ - ثابتة حضورية موجودة عند جميع الناس بالتساوي مثل البصائر

ب - حية متنوعة حصولية تختلف من انسان لآخر مثل الوحي للانبياء والاصطفاء للاولياء والرؤيا المنامية لبعض الصالحين

١٥) قالت نظريات لوك وماركس وهيوم ان التجربة هي الطريق الجوهري للوصول الى المعرفة في حين قالت نظرية القرآن ان الفيض الالهي الذي اعطى المعارف الاولية هو الاساس الذي يجعل التجارب لها قيمة ٠ وان التجربة تعكس ظواهر الاشياء فالتجريبيون(يدركون ظاهرا من الحياة الدنيا)

١٦) ركزت اغلب نظريات الفلسفة على آلية ولادة القرار الادراكي في حين نجد ان نظرية القرآن في المعرفة جاءت ممزوجة في كل فروعها وتفاصيلها بالدعوة الى ممارسة الخير والفضيلة ونبذ الشر والرذيلة٠

١٧) اختلف مفهوم العقل بين القرآن والفلاسفة فالعقل في منظور القرآن بمعنى التفهم وهو اداة الوصول الى الحق والعدل في حين ان العقل في منظور الفلاسفة اداة للمعرفة والادراك

١٨) اختلف القرآن الكريم مع النظرية الجدلية والنظرية الحسية حول قيمة الواقع الموضوعي فقد قرر القرآن هذا الواقع موضوعا للنظر العقلي لاثبات

قدرة وعظمة الخلق والخالق في حين قررت هاتان النظريتان الواقع الموضوعي مصدرا للمعرفة

١٩) اختلف القرآن الكريم مع نظرية القوة الكامنة حول هدف الرغبات الكامنة فقد قال القرآن ان في الانسان رغبات اصيلة كامنة لحب الخير والعدل والحقيقة ، فيما قالت نظرية القوة الكامنة انها رغبة في المعرفة والاستزادة حينا بعد حين،

٢٠) اشارت نظرية القرآن الكريم حالة لبعض الناس الذين تضعف ذاكرتهم ومراكزهم العقلية في نهايات العمر في حين لم تلتفت نظريات الفلاسفة كلها لهذه الحالة ،

٢١) ان نظرية القرآن الكريم اعطت معرفة خاصة لفئة محددة من الناس وهم الانبياء والاولياء واهل بيت النبي وذريته في حين نجد نظريات الفلاسفة تتحدث عن مفاهيم عامة مشتركة لجميع الناس

٢٢) ان نظريات الفلاسفة حاولت التهرب من موضوع الذاكرة ومفهومها وعجزت عن تفسير مسألة التذكر والنسيان في حين نجد نظرية القرآن اعطت اجابات محددة لهذه المسألة وجردتها عن المادة ،

٢٣) تحدثت نظرية القرآن الكريم عن سر الاكتشافات والاختراعات وقالت ان ومضة الهية كالنور تدخل الى ذهن الانسان فيدرك اسرار الطبيعة وقالت ان الاختراع مثلا خليط من السعي الانساني والتوفيق الالهي ،في حين لم تتحدث نظريات الفلاسفة عن هذا النور البتة الا اعتراف باستحياء قال به الفيلسوف ديكارت،

٢٤) تعاملت نظرية القرآن مع القيم الاخلاقية كمسلمات ثابتة وبدهيات عقلية في حين تعاملت اغلب نظريات الفلاسفة مع القيم الاخلاقية كنتائج عرضية للمعرفة ٠

٢٥) تحدثت نظرية القرآن عن توارث الصفات السلبية منها والايجابية كتوارث الجانب السيء (كما هو حال بني اسرائيل) وتوارث الجانب الايجابي (كتوارث آل ياسين)في حين لم تلتفت نظريات الفلاسفة في المعرفة لهذا الجانب مطلقا٠

٢٦) قالت نظرية القرآن الكريم بوجود عناصر تخريب وشر تؤثر في القرار الذي يتخذه الانسان وهم الشياطين في حين عدت نظريات الفلاسفة موضوعات الخير والشر بكونها مسائل نسبية تتغير حسب الظروف الزمانية والمكانية٠

٢٦) قالت نظرية القرآن في المعرفة ان الجنون هو سيطرة الشياطين على النفس مما يؤدي الى انهيار نظام البصائر و لم تتطرق نظريات الفلاسفة لهذا الموضوع البتة ٠ لقد تغافل الفلاسفة عن هذا الموضوع المعرفي المهم وأحالوه الى علم النفس الذي هرب من معالجته أو تفسيره وحول الموضوع مرة اخرى الى الطب النفسي الذي اكتفى بوضع العلاجات المسكنة أو المخدرة٠

٢٧) اللغة في نظريات الفلاسفة تتكون من خلال الخبرة والتدريب والحاجة أما في نظرية القرآن فان مفرداتها الاساسية الاولى هي الهام من الله (وعلم آدم الاسماء كلها) (علمه البيان)

٢٨) اختلف القرآن الكريم حول موضوع الرؤيا المنامية مع نظريات الفلاسفة ففي حين قال القرآن انها مصدر مهم من مصادر المعرفة قالت نظريات الفلاسفة ان الرؤيا المنامية هي تجليات نفسية لاقيمة لها وقال بعضهم

ان الرؤيا عبارة عن اضطرابات نفسية ولابد من تسجيل اعتراف ديكارت بدور الرؤيا المنامية في الهامه علم الهندسة التحليلية ولكن هذا الاعتراف لم تكن غايته الاشارة العلمية المنهجية الرصينة بكون الرؤيا المنامية مصدرا للمعرفة بل كانت من باب تسجيل الحكاية الغريبة العجيبة مما لايعطي لاعتراف ديكارت هذا اية قيمة بل نسجل هذه الرؤيا كنقطة خلل في تفكيره وليس العكس.

٢٩) قالت نظرية القرآن الكريم ان المعرفة اليقينية ممكنة للبشر ممن طهرت قلوبهم وصفت اذهانهم وقاموا بالرياضات الروحية والمجاهدات النفسية حيث سترتفع الحجب عن هؤلاء فيعرفون اسرار الكون والعالم كمن يرى في المرآة فيرى ما يحتاج او يريد من الماضي او الحاضر او المستقبل في حين وقفت نظريات الفلاسفة عند حدود الاستدلالات والبراهين العقلية. ويمكن استثناء النظرية الصوفية من هذه القاعدة مع اختلافها عن القرآن الكريم في الموارد والمقاصد .

٣٠) اختلف القرآن الكريم مع نظرية التحليل النفسي في تقدير قيمة الغريزة الجنسية ففي حين قال القرآن ان لهذه الغريزة اهمية بالغة في بعض قرارات النفس فتزيدها سلبا او ايجابا قالت نظرية التحليل النفسي ان الغريزة الجنسية هي الجوهر والاصل والمسبب للمعرفة .

٣١) الفيلسوف في نظرية المعرفة يريد ان يفهم العالم والعارف يريد ان يصل الى كنه وحقيقة الوجود ويتصل به ويشاهده .

٣٢) الادوات التي يستخدمها الفيلسوف في حركته العقل والمنطق والاستدلال في حين ان العارف يضيف لها القلب والتصفية والتهذيب.

٣٣) قال القرآن الكريم بوجود ميزان في اعماق كل انسان يستطيع من خلاله ان يميز بين المتناقضات في دنيا الحياة في حين لاتوجد لدى الفلاسفة اية نظرة واضحة في هذا الجانب

نتائج البحث

١) ان ما يلاحظه الباحث في نظرية المعرفة في القرآن الكريم هو الغنى والتنوع والحيوية والشمولية وانفتاح النوافذ المعرفية الداخلية والخارجية الثابتة والمتحركة العواطف والمبادىء الاولية ليلا ونهارا٠

٢) لابد من التنويه ان قوة الحجة القرآنية واصالة نظرية القرآن في المعرفة مصدرها الاول والاساس هو الاعجاز القرآني ٠

٢) ان الفلاسفة اختلفوا في تعيين الادوات التي يكتسب بها الانسان معارفه وانقسموا على طوائف ٠ الاولى جنحت الى الحس ورأوه الرصيد الاول والاساس للمعرفة وهؤلاء هم الحسيون والطائفة الثانية جنحت الى العقل ورأته الاداة الاهم لكسب المعارف وهؤلاء هم العقليون والثالثة رفضت الحس والعقل وركزت جل اهتمامها على الالهام والاشراق وهؤلاء هم الاشراقيون في حين نجد ان نظرية القرآن الكريم وازنت بين جميع مصادر المعرفة وآلياتها بدقة متناهية ٠

٣) ان الاصول التي يتبناها المادي في نظرته الكونية الى العالم تفرض عليه الا يعتقد الا بأداتين هما العقل والحس فهو لايرى الغيب والمعارف المفاضة الى قلوب الانبياء والعرفاء والاولياء وربما يخطؤه او يتغافلوا عنه اما القرآن الكريم فقد رأى ان دائرة الوجود اوسع من المادة وان هناك عالما غائبا عن حواسنا من الممكن ان نتصل به ونقف على اشياء لانقف عليها بالحس والعقل وان الفلسفات المادية قد بان عليها الفشل الذريع٠

٤) ان معظم الفلاسفة الذين وردت افكارهم في هذا البحث لم يدرسوا النفس بل درسوا السلوك النفسي وحسب وان مجمل معارفهم هي نظرات سطحية لامور قائمة على التخمينات والاجتهادات الذاتية اما مجال التعرف على المعرفة فهو ينبوع المعرفة الالهية كتاب الله وهدي الانبياء.

٥) ان اغلب نظريات الفلاسفة المذكورة آنفا قامت على اساس تعميم امثلة جزئية حاول من خلالها الفلاسفة رسم نظريات شاملة للمعرفة والواقع ان بعض الامثلة لاتخلو من صواب في موضعه ولكن ان ترسم نظرية شاملة للمعرفة البشرية من خلال تعميم هذا المثال الجزئي أو ذاك ففيه مغالاة وتجنٍ على الحقيقة .

٦) ان ما يلاحظه الباحث ايضا هو انتشار المذاهب المادية في المعرفة على امتداد قارة اوربا والامريكيتين وانحسار بل انعدام المذاهب المادية في المعرفة في المنطقة الممتدة بين الصين شرقا الى المغرب العربي غربا ومن تركيا شمالا الى اواسط افريقيا جنوبا وهي اراضي الوطن الاسلامي الكبير فهذه المنطقة تكاد تخلو تماما من الفلاسفة الحسيين مما يبرهن على التأثير العظيم للقرآن المجيد وقدرته الجبارة على هزيمة العقائد المادية وتفرعاتها.

٧) ان الفلاسفة المسلمين جميعهم آمنوا بأن القرآن خيمتهم الكبرى وان اختلافاتهم كلها كانت تحت قبة القرآن الكريم لذلك لم نستطع ان نسجل أي نظرية لهم خارج هذا السياق وهذا ليس قصورا منهم بل ارتقاءا وسموا وسموا به من خلال ايمانهم بمباديء هذا الكتاب الكريم.

٨) ان آراء الفلاسفة والكتاب وعلماء النفس والتربية مهما سما قدرها وعلا شأنها لاتعبر الا عن وجهات نظر بشرية مليئة بالثغرات والتناقضات[١] والأخطاء حتى اصبحت سمة لها وهي قابلة للتغيير والتبديل والتعديل والتطوير في حين امتلك القرآن وحدة منطقية وحصانة اعجازية وبرهانا قاطعا خال من الخطأ يقينه قطعي (فهل يتأتى لجميع فلاسفة العالم أن يثبتوا غلطة واحدة في القرآن)[٢] ان جل الفلاسفة ولانقول كل الفلاسفة في اوربا وأمريكا وآسيا هربوا من الاجابة على السؤال الخالد المطروح : ماهو مصدر الاعجاز القرآني؟ ان هروبهم كان مخزيا والمضحك انهم لم يجدوا ورقة توت يسترون بها عورتهم هذه ! فلم يجدوا الا التجاهل ولا أقول الجهل.

٩) إن نظريات الفلاسفة عجزت جميعها عن تفسير امور جوهرية في المعرفة ومنها الذاكرة ،الارادة والقرار ، المشاعر والعواطف القلبية ، ميزان التمييز بين الصواب والخطأ

١٠) لقد ثبت تفوق نظرية القرآن الكريم في تفسير نظرية المعرفة على نظريات الفلاسفة بالادلة العقلية والنقلية والروحية.

ان نظرية القرآن في المعرفة وضعت العقل الانساني في الاطار الكوني الفسيح وفي الواقع الميداني الصحيح وهي تعبر عن فلسفة موضوعية ثابتة راسخة تعطي أجابة شاملة متعددة الاركان واضحة المعالم لسؤال هذه

---

١ ولو قيل إن اختلاف الفلاسفة لايكون دليلا على عدم صحة الفلسفة لان الفقهاء ايضا مختلفون فهذا دليل على عدم صحة الفقه ؟ والجواب ان هناك فارق بين طريقة اختلاف الفلاسفة عن طريقة اختلاف الفقهاء فالفقهاء ينطلقون من اساس معلوم قطعا ويقينا وهو القرآن في حين يعتقد كل فرد من الفلاسفة انه لاغيره يمتلك الحقيقة التامة المطلقة

٢ القرآن الكريم والعلوم الحديثة، سعد حاتم محمد مرزا، ط١، مطبعة الحوادث بغداد ١٩٩٣م ص ٧٩ والقول للفيلسوف الانجليزي سبنسر، انظر : الله يتجلى في عصر العلم، مصدر سابق ص ٣٣

الدراسة ٠ يقول ان سبب المعرفة هو الادوات الداخلية والخارجية التي تستخدمها النفس الانسانية وبها تدرك حقائق الاشياء في حين لاتمتلك الفلسفة إجابة قاطعة فهي عاجزة متعارضة متذبذبة متغيرة ٠ إن المعرفة ظاهرة روحية لها ادوات تستخدمها النفس الانسانية عبر الاتصال بالعالم الخارجي ٠ ان الفلاسفة وسر المعرفة(مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا)[١] (أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ)[٢] (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً)[٣] (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)[٤] (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ)[٥] (ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ)[٦]

الحمد لله المتفرد في كماله والمتعالي في جلاله والمتجلي ببهائه وجماله الذي اغرق الكائنات بفيض نعمه ثم خص منها الانسان بوافر عطائه (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) [٧] ولم يكن امتياز الانسان عن سائر الكائنات الا بعلمه ومعرفته (الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٠ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)[٨] وكرامة العلم والمعرفة التي بها كمال الانسان إنما هي ثمرة جهود الادوات التي جهزه خالقه بها في ظاهره

---

١ سورة النجم الآية ٢٨

٢ سورة فصلت الآية ٥٤

٣ سورة الجاثية الآية ٢٣

٤ سورة الحجرات الآية ٤

٥ سورة البقرة الآية ١٣

٦ سورة غافر الآية ٧٦

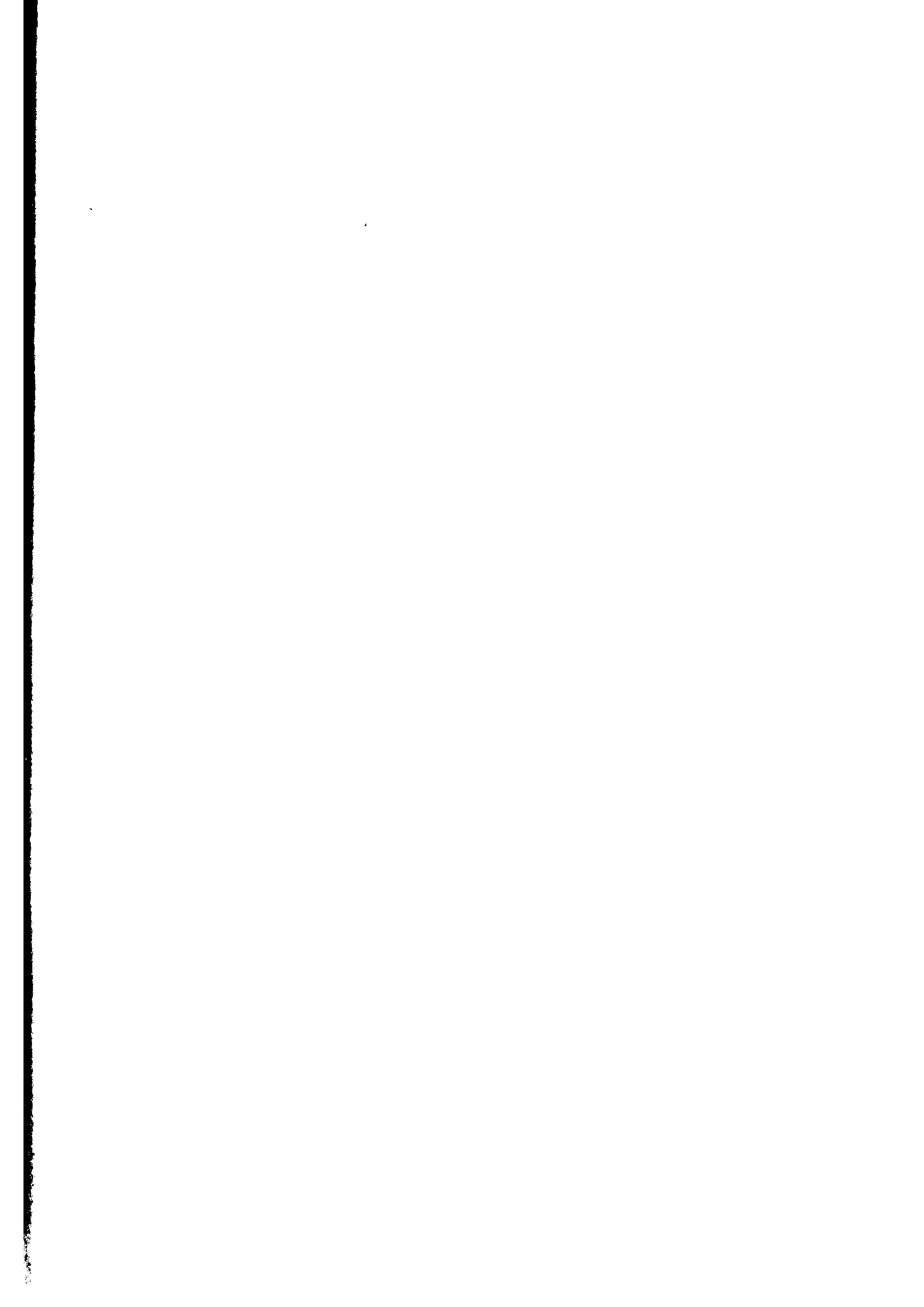
٧ سورة الاسراء الآية ٧٠

٨ سورة العلق الآيتان ٤، ٥

وباطنه ٠ الحس والعقل والوحي والفطرة والقلب والصدر والنفس والذاكرة والبصائر والالهام والهداية والتعليم والميزان والذاكرة والرؤيا المنامية والتفكير والغرائز والكتب السماوية والانبياء٠ ان انكار واحدة من تلك الادوات يوقف الفكر الانساني عن ادراك ما يحيط به من كون ووجود غائب ومشهود ويوجه طعنات في صميم المعرفة البشرية يحجز مواهب الانسان بين جدران ضيقة تبعده عن الحق جل شأنه وتسقطه في الهاوية ٠

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عبدالزهرة تركي فريح الفتلاوي
النجف / المشخاب
١٥ / ٧/ ٢٠٠٩



المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- الاسفار الاربعة ، صدر المتألهين الشيرازي ، دار المعارف الاسلامية ، ايران طهران ، ١٣٨٩هـ ، ١٩٧٩م
٢- الاعجاز القرآني ، مجموعة من الباحثين ، مطبعة وزارة الاوقاف بغداد ١٩٩٠م
٣- الله يتجلى في عصر العلم ، مجموعة من العلماء ، ترجمة د عبدالمجيد الدمرداش ، دار التربية بغداد ١٩٨٨م
٤- الاشارات والتنبيهات ، الشيخ الرئيس ابن سينا ، مؤسسة البستان للكتب ، قم ١٣٨٣هـ
٥- الاغاني ، ابو الفرج الاصفهاني(ت٣٥٦هـ ، ٩٦٦م) تحقيق عبد الكريم الغرباوي ،د.عبد العزيز مطر ، الطبعة الثانية ، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة ، ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م
٦- الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ، تحقيق : عبدالصبور شاهين ، الطبعة الاولى ، الكويت ١٩٦٩م
٧- البيان في تفسير القرآن ، أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م) الطبعة الرابعة ، دار الزهراء ، بيروت ، ١٣٩٥هـ ، ١٩٧٥م
٨- الهداية في القرآن ، دار الهادي ، بيروت – لبنان ١٩٩٣م ، عبدالله جواد آملي
٩- الهيات الشفاء ، الشيخ الرئيس ابن سينا ، طبعة طهران ١٣١٤ هـ
١٠- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة) محمّد تقي التّستري(ت ١٤١٥ هـ) (ت ١٩٩٤م) مؤسسة نهج البلاغة ، طهران ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .
١١- امالي الصدوق ،الحر العاملي ، تحقيق محمد جواد المحمودي ، طبعة قم مطبعة باسدار اسلام ١٤٢٠ ه
١٢- الاعجاز العلمي عند الامام علي ، لبيب بيضون ، مؤسسة الاعلمي بيروت ٢٠٠٥
١٣- الاربعون حديثا ، الامام الخميني ، دار التعارف للمطبوعات بيروت ١٩٩١
١٤- الآداب المعنوية للصلاة ، الامام الخميني ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت ١٩٨٣
١٥- الاحتجاج ، أحمد بن علي أبي طالب الطبرسي ، منشورات دار النعمان النجف ١٩٦٦
١٦- الاعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين بيروت ٢٠٠٥

١٧- الافكار الفلسفية والدينية عند فيلون السكندري ، اسكندر صمويل دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٧

١٨- اسرار النفس ، سلامة موسى ، مؤسسة الخانجي مصر ١٩٦٢

١٩- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي ، ط١ مؤسسة البعثة ، بيروت ، ١٤١٣هـ

٢٠- اصول علم النفس وتطبيقاته ، د فاخر عقل ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٣

٢١- أصول الكافي ، محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني(ت ٣٢٨هـ) الطبعة الثالثة ، دار صعب ، بيروت ، ١٤٠١هـ ،

٢٢- أصول الدين الاسلامي ، رشدي محمد عليان ، د قحطان عبد جمال ، مطبعة كلية التربية بغداد ٢٠٠٠ م

٢٣- اصول الفلسفة ، محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة الامام الصادق ايران قم ط ٢/ ١٤١٤ ه

٢٤- اصول الدين ، أبو منصور طاهر التميمي البغدادي ، مكتبة الدولة استنبول ١٣٤٦

٢٥- أبو ذر الغفاري / محمد جواد آل الفقيه ، منشورات مؤسسة الاعلمي بيروت ١٩٨٩

٢٦- بلوغ المرام ، احمد بن حجر العسقلاني ، دار الفكر بيروت ط ١ ، ١٩٨٥م

٢٧- بحار الانوار ، محمد باقر المجلسي ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ١٤٠٣ ه ،١٩٨٣م

٢٨- بحث في نشأة المصطلح الفني للتصوف الاسلامي ، لويس ماسينيون، مطبعة باريس ١٩٥٤

٢٩- دراسات في الحديث والمحدثين . هاشم معروف الحسني دار التعارف للمطبوعات بيروت لبنان ، ط ٢ ١٣٩٨ ه - ١٩٧٨ م

٣٠- الدر المصون في علم الكتاب المكنون ، (أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبى (ت ٧٥٦ هـ ، ١٣٥٥م) تحقيق عَلِيّ بن معوض . وآخرون . ط١ . دار الكتب العلمية . بيروت . ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣م .

٣١- دروس تمهيدية في علم الاصول ، محمد باقرالصدر ، الطبعة الثانية ، ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف (١٣٩٥هـ ، ١٩٧٥م

٣٢- البينات في حقية بعض المنامات ، محمد تقي التستري، دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٣

٣٣- التفسير المعين ، محمد هويدي ، دار المجتبى ابران قم ٢٠٠٦ ميلادية ١٤٢٧ هجرية

٣٤- التفسيرالموضوعي لبيان القرآن ، سميح عاطف الدين ، دار الكتاب اللبناني ١٩٩١

٣٥- التحفة السنية ، عبدالله نور الدين نعمة الله الموسوي ، طهران كتبخانة ستان قدس

٣٦- التربية والمجتمع : مصطفى الخميني ، إعداد ونشر / مركز الإمام الخميني الثقافي ، طهران ١٩٩٢ م

٣٧- التفكير الفلسفي في الاسلام ، د- عبدالحليم محمود ، دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٩٣

٣٨- التبيان في تفسير القرآن ، محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠هـ) تحقيق : أحمد حبيب قصير العاملي ، المطبعة العلمية ، النجف ، ١٣٧٦هـ ، ١٩٥٧م

٣٩- توحيد المفضل ، إملاء الامام جعفر بن محمد الصادق على المفضل بن عمر الجعفي ، المطبعة الحيدرية ــ ١٩٥٥ م

٤٠- تفسير القاسمي ، محمد جمال الدين القاسمي ، دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٣

٤١- تفسير القرآن العظيم ، للحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٥

٤٢- تفسير نور الثقلين ، عبدعلي بن جمعة العروسي ، مطبعة الحكمة قم ١٣٨٣هـ

٤٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي(ت ٦٨٥هـ) ط ٣، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ، ١٣٨٨هـ

٤٤- تفسير العياشي ، محمد بن مسعود بن عياش السلمي ، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي مطبعة قم ١٣٨٠ هـ .

٤٥- تفسير ابن أبي حاتم ، عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم الرازي (٢٤٠ - ٣٢٧ هـ = ٨٥٤ - ٩٣٨م) تحقيق أسعد محمد الطيب، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز ، السعودية، ١٤١٩هـ

٤٦- تفسير البحر المحيط ، أبو حيان : محمد بن يوسف الأندلسي (٦٥٤ - ٧٤٥ هـ = ١٢٥٦ - ١٣٤٤ م) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ،١٤٠٣هـ ،

٤٧- تفسير التحرير والتنوير : محمد طاهر ابن عاشور (١٢٩٦ - ١٣٩٣ هـ) (١٨٧٩ - ١٩٧٣م) الطبعة الأولى ، مؤسسة التاريخ ، بيروت ، ٢٠٠٠م .

٤٨- تفسير السراج المنير ، شمس الدين محمد بن احمد الشربيني، المتوفى (٩٧٧هـ) ط١ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ١٢٨٥هـ

٤٩- تصحيح الاعتقاد ، محمد بن النعمان (الشيخ المفيد) (ت٤١٣هـ) مطبعة رضائي تبريز ١٣٧١هـ

٥٠- تفسير سورة الحمد ، جعفر مرتضى العاملي ، ط٢ ١٩٩٩ م.المركز الاسلامي للدراسات ، بيروت_ لبنان _ بئر العبد

٥١- تعليقات على شرح فصوص الحكم ومصباح الانس ، الامام الخميني ، دفتر تبليغات اسلامي ١٤١٠ هجرية

٥٢- تاريخ الحضارات العام ، أندريه إيمار ، جانين أو بوايه ، منشورات عويدات بيروت ، باريس ٢٠٠٣

٥٣- تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم ، دار المعارف مصر ١٩٥٧

٥٤- تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، مؤسسة عز الدين بيروت - ١٩٩٣

٥٥- تاريخ الفلسفة اليونانية لمؤلفه وولتر ستيس، بيروت- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ١٩٩٩

٥٦- تلخيص البيان في مجازات القرآن، للشريف محمّد بن الحسين ابن موسى الرضي (ت ٤٠٦)، تحقيق مؤسّسة نهج البلاغة، نشر مؤسّسة الطبع والنشر في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران ١٤٠٧.هـ

٥٧- تحريرات في الاصول / السيد مصطفى الخميني ، نشر: مؤسسة تنظيم آثار الامام الخميني ١٤١٨ هـ الطبعة: الاولى المطبعة: مطبعة مؤسسة العروج

٥٨- تاريخ التصوف الاسلامي ، عبدالرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات الكويت ١٩٩٧

٥٩- تهذيب اللغة ، لأبي منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ) ، تحقيق - عبد السلام محمد هارون ، دار القومية العربية للطباعة - القاهرة ، لسنة (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م)

٦٠- تنبيه الخواطر و نزهة النواظر ، ورام ابي فراس المالكي الاشتري(ت ٦٠٥ ه) دار التعارف بدون تاريخ ، بيروت .

٦١- تحف العقول عن النبي وآل الرسول ، الحسن بن علي بن الحسين الحراني ، دار الكتب الاسلامية طهران ١٣٧٦ ه

٦٢- جزء الألف دينار ، أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك بن شبيب البغدادي المعروف بالقطيعي (٢٧٤-٣٦٨هـ) تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، ط١ ، دار النفائس ، الكويت، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م

٦٣- جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) تحقيق : أحمد محمد شاكر ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠م

٦٤- جامع الأصول من أحاديث الرسول ، ابن الأثير ، أبو السعادات ، المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ) دار الفكر، بيروت ، ١٤٠٣هـ .

٦٥- جمهرة اللغة ، ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ) ط٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٧م

٦٦- حديث تركت فيكم أمرين د. فالح بن محمد بن فالح الصغيّر ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٢٠٠٢ م

٦٧- حقيقة القلوب في القرآن الكريم ، عادل العلوي ، مؤسسة ام القرى للتحقيق والنشر بيروت ٢٠٠٥

٦٨- الحدائق الناضرة ، يوسف البحراني ، مؤسسة النشر الاسلامي قم ايران ١٤٢٠ هـ

٦٩- الخصال ، ابو جعفر بن بابويه القمي ، مكتبة الحسن النجف الاشرف ٢٠٠٧م

٧٠- الرسالة القشيرية ، عبدالكريم هوازن القشيري ، أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري ، دار أسامة بيروت ١٩٨٧

٧١- روح المعاني في تفسير القران العظيم و السبع المثاني ، محمود شكري الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ) ط١ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ١٤٠٥ هـ

٧٢- ريحانة الادب ، محمد علي المدرس ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٠

٧٣- الزنا احكامه اسبابه / د- جبر محمود الفضيلات ، دار عمار للنشر والتوزيع الاردن عمان ١٩٨٩ م ١٤١٠ هـ ،

٧٤- سنن الترمذى ، محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ ، ٨٩٢م) تحقيق د بشّار عوّاد معروف، الطبعة الثانية، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .

٧٥- شرح المواقف ، المحقق نصير الدين الطوسي ، مطبعة عامرة عثمان حلمي تركيا ١٣٧٧

٧٦- شرح الاشارات والتنبيهات للمحقق نصير الدين الطوسي تحقيق حسن زادة الآملي مؤسسة البستان للكتب قم ١٣٨٣ ه

٧٧- شرح نهج البلاغة ، أبو حامد بن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ ، ١٢٥٨م) ، تحقيق – محمد أبي الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، دار أحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٧٩هـ ، ١٩٥٩م ،

٧٨- الشفاعة في الكتاب والسنة ، جعفر السبحاني ، مركز الأبحاث العقائدية ، قم ١٤٢٠ هـ

٧٩- شبهة الغلو عند الشيعة ، عبد الرسول الغفار ، ط١ ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ١٩٩٤م

٨٠- شجرة طوبى ، محمد مهدي الحائري (ت ١٢١٢هـ)، ط٥ ، المكتبة الحيدرية ، النجف ١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥م

٨١- الصحاح في اللغة ، اسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) ط١ ، دار الحضارة العربية ، بيروت ، ١٩٧٤م

٨٢- الصاحبي في فقه اللغة : أحمد بن فارس الرازي (ت ٣٩٥هـ) الطبعة الأولى ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٨٣- علم النفس العام ، د- جمال الدين الآلوسي ، كتاب منهجي لكلية التربية الاسلامية بغداد ١٩٩٩م

٨٤- عقائد الامامية ، محمّد رضا المظفر ، الناشر مركز الابحاث العقائدية ، النجف ، ١٩٩٢م

٨٥- العقيدة الاسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت ، جعفر السبحاني ، مؤسسة الهدى طهران ١٤٢٣هـ ،

٨٦- عيون الحكم والمواعظ ، علي بن محمد الليثي الواسطي (من أعلام الإمامية في القرن السادس الهجري) تحقيق : حسين الحسني البيرجندي ، الطبعة الأولى ، دار الحديث ، قم ، ١٣٧٦هـ

٨٧- الطفل بين الوراثة والتربية ، فاضل الحسيني الميلاني ، دار التعاريف للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٩٩م

٨٨- طبيعة الانسان في ضوء فسلجة بافلوف ، نوري جعفر ، مكتبة التحرير بغداد ١٩٧٨

٨٩- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) مؤسّسة دار الهجرة، قم ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩هـ ،

٩٠- غررالحكم ودرر الكلم ، مطبعة طهران ١٣٨٠ هـ تحقيق عبد الواحد بن محمد الآمدي التميمي المتوفى : سنة ٥٥٠هـ

٩١- الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب ، محمد بيصار ، بيروت دار الكتاب اللبناني ١٩٧٣

٩٢- فلسفة التربية ، حسين رحيم التكريتي ، ماهر فاضل جواد القيسي د ماهر اسماعيل الجعفري ، دار الكتب للطباعة والنشر بغداد ١٩٩٣

٩٣- في ظلال القرآن ، سيد قطب (ت١٣٨٥هـ) ط ١١، دار الشروق، بيروت ، ١٤٠٥هـ

٩٤- فصوص الحكم ، محي الدين بن عربي ، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٠

٩٥- فلاسفة الشيعة ، الشيخ عبدالله نعمة ، منشورات دار الحياة بيروت ٢٠٠٤

٩٦- في التصوف الاسلامي وتاريخه ، نيكلسون ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧

٩٧- الصحيح من السيرة ، جعفر مرتضى الحسيني العاملي ، الطبعة الرابعة ، دار الهادي للطباعة ، بيروت ، ١٩٩٥م ، ١٤١٥هـ ،

٩٨- فلسفتنا ، محمد باقر الصدر، مطبعة أوفسيت الميناء بغداد ١٩٧٧

٩٩- القرآن الكريم والعلوم الحديثة ، سعد حاتم مرزا ، مطبعة الحوادث بغداد ١٩٩٣

١٠٠- قصة الحضارة ، ول ديورانت ترجمة زكي نجيب محمود ، مطبعة لجنة التأليف القاهرة، ١٩٤٩

١٠١- القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ط ٢ ، ١٩٥٢ مكتبة الحلبي مصر القاهرة

١٠٢- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علي بن حسام الدين المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ) ط١، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٩م

١٠٣- كشف المحجوب ، علي بن عثمان الهويجري الجلابي،مطبعة طهران ١٣٣٦ ه

١٠٤- كشف الغمة في معرفة الأئمة ، علي بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي، المتوفى سنة ٦٩٣ هـ ، تحقيق: السيد هاشم الرسولي ، ط١ ، مكتبة بني هاشمي، تبريز ، ايران ،١٣٨١هـ

١٠٥- لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي (ابن منظور) (ت ٤٢٨ هـ ، ١٠٣٦م) ، دار العلم للملايين ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ ، ١٩٦٦م

١٠٦- اللمع في تاريخ التصوف الاسلامي وتاريخه ، لأبي نصر عبدالله بن علي السراج ، تحقيق كامل مصطفى الهنداوي ، دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠١

١٠٧- لطائف الاعلام في اشارات الالهام ، مؤسسة الارشاد الاسلامي ، طهران ، ٢٠٠٠م ، كمال الدين عبدالرزاق

١٠٨- لودفيج فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية، فردريك انجلز ، ترجمة جورج استور منشورات الفكر الجديد بيروت ١٩٩٥

١٠٩- الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م) . الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٧٣م .

١١٠- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) فخر الدين الرازي: محمد بن عمر بن الحسين الرازي (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ) طبعة ثالثة ، دار الفكر بيروت (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥م)

١١١- الموسوعة الفلسفية ، عبدالرحمن بدوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت الطبعة الاولى ١٩٨٤م

١١٢- مصباح الشريعة ، المنسوب للامام جعفر الصادق عليه السلام الطبعة الاولى، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ـ ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م.

١١٣- الموسوعة الفلسفيةالمختصرة ، فؤاد كامل ، جلال العشري ، عبدالرشيد الصادق ، اشراف د زكي نجيب محمود ، المكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٥

١١٤- المنهج الجديد في تعليم الفلسفة ، محمد تقي مصباح اليزدي ، مؤسسة النشر الاسلامي ايران قم ١٤٠٧ ه

١١٥- المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصفهاني ، دار المعرفة لبنان بيروت ٢٠٠٥

١١٦- المجازات النبوية / الشريف الرضي ، تحقيق د- طه محمد الزيني ، منشورات مكتبة بصيرتي قم ١٤٣٣ هـ

١١٧- المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ، جوزيف ستالين مكتبة النهضة بغداد ١٩٧١

١١٨- مفردات الفاظ القرآن ، الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد، أبو القاسم (ت في حدود ٤٢٥هـ) (١) دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت: ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

١١٩- مع علماء النجف ، محمد جواد مغنية ، دار الهلال بيروت لبنان ١٩٩٢

١٢٠- مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبدالعظيم الزرقاني ، الناشر : دار الفكر - بيروت ،ط١ ١٩٩٦م

١٢١- مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني ، مؤسسة الامام الصادق ايران قم - ١٤٢١

١٢٢- معالم الفلسفة الاسلامية، محمد جواد مغنية ، دار الهلال بيروت ١٤٠٦ ه --- ١٩٨٦ م

١٢٣- مسيرة الفلسفة في اوربا ، محمد علي فروغي ، المكتبة التجارية مصر شارع محمد علي ١٩٣٧

١٢٤- مؤلفات افلاطون الكاملة ، فريد وجدي ، دائرة معارف القرن الرابع عشر ، دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٤٧

١٢٥- من وحي القرآن،العلامة محمد حسين فضل الله ، بيروت دار الزهراء للطباعة والنشر ط ٣

١٢٦- مقدمة في الفلسفة العامة ، يحيى هويدي ، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٨

١٢٧- ميزان الحكمة ، محمد الري شهري الناشر : دار الحديث ، الطبعة ١ ، ١٣٢٥ هـ

١٢٨- ميزان العمل ، محمد بن محمد الغزالي ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٩

١٢٩- محاضرات في فلسفة الغرب ، عقيل الشيخ محسن ، مطبعة كلية الرسول الاكرم ، بيروت ١٩٩١

١٣٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت ٧٧٠هـ ، ١٣٦٨م) ط١ ، مطبعة نظارة المعارف ، القاهرة ١٣٠٢هـ

١٣١- المحيط في اللغة ، الصاحب بن عباد (٣٢٦ - ٣٨٥ هـ) تحقيق: محمّد حسن آل ياسين ، ط١، عالم الكتب ، بيروت ١٤١٤ هـ ،

١٣٢- مقام العقل عند العرب، قدري حافظ طوقان ، دار المعارف مصر القاهرة ١٩٦٠

١٣٣- موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، يوسف الحاج احمد ، دار ابن حجر ، دمشق ، نيسان ، ٢٠٠٣ م

١٣٤- الامثال القرآنية القياسية د - عبد الله بن عبد الرحمن المنصور الجربوع ، المدينة المنورة ١٤١٩ هـ رسالة دكتوراه" بقسم العقيدة - كلية الدعوة وأصول الدين، التابعة للجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

١٣٥- مستدرك سفينة البحار ، علي بن محمّد بن إسماعيل النمازي (ت ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٤م) ، مؤسسة البعثة ، طهران ، مطبعة بهمن ، ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٨م .

١٣٦- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ، محمد باقر المجلسي (ت ١١١٠هـ ،) ، الطبعة الثانية ، دار الكتب الأسلامية ، طهران ، ١٤٠٤هـ .

١٣٧- مفاهيم القرآن ، جعفر السبحاني ، تحقيق :جعفر الهادي ، ط٣ ، مؤسسة الإمام الصادق - عليه السلام ، قم ،١٤٢٠هـ

١٣٨- مستدرك الوسائل ، محمد حسين النوري الطبرسي ، الطبعة الاولى مؤسسة آل البيت (ع)لاحياء التراث ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٧٨م

١٣٩- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي (ت ٩٦٣هـ) ط١ ، مصر ، القاهرة ، ١٣٦٧هـ

١٤٠- نفحات القرآن ، ناصر مكارم الشيرازي ، ط١ ، مطبعة الحوزة العلمية ، قم ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٨م

١٤١- نقض إصول العقلانيين ، سليمان بن صالح الخراشي ،الناشر : دار علوم السنة ، الرياض: مكتبة صيد الفوائد ، ٢٠٠١م

١٤٢- نهج البلاغة ، الامام علي بن ابي طالب جمع الشريف الرضي تحقيق محمد عبده ، مكتبة النهضة بغداد ،١٩٧٧

١٤٣- نقض إصول العقلانيين ، سليمان بن صالح الخراشي ،الناشر : دار علوم السنة ، الرياض: مكتبة صيد الفوائد ١٤٢١هـ

١٤٤- نقد المحصول ، نصير الدين الطوسي، مؤسسة البستان للكتب قم – ١٣٨٣ ه

١٤٥- نظرية المعرفة – المدخل الى العلم والفلسفة والالهيات / جعفر السبحاني ، تعريب : حسن محمد مكي العاملي / مؤسسة الامام الصادق – قم – ١٤٣٤ هـ

١٤٦- نظرية المعرفة في القرآن الكريم ، جوادي آملي ، دار الاسراء للتحقيق والنشر بيروت ١٤٢٨ هجرية

١٤٧- نظرية المعرفة والموقف الطبيعي ، فؤاد زكريا، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٢م

١٤٨- نظرية المعرفة والادراكات الاعتبارية عند العلامة الطبطبائي، علي أمين جابر آل صفا ، دار الهادي بيروت ،١٩٩٠م

١٤٩- نظريـة المعرفـة عنـد صـدر المتـألهين، محمـد شـقير ، ط١ دار الهـادي ، بيـروت ٢٠٠١م

١٥٠- نظريـة المعرفـة ، حسـن ابراهيميـان ، بيـروت – لبنـان – مؤسسـة أم القـرى ، ٢٠٠٤ م

١٥١- يتيمـة الـدهر فـي محاسـن أهـل العصـر ، أبـو منصـور عبـد الملـك بـن محمّـد بـن إسماعيل (ت٤٢٩هـ ١٠٣٨م) ط١ ، دار الكتـب العلميّـة ، بيـروت ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .

المحتويات

المقدمة ٩

الفصل الاول : نظرية المعرفة في الفلسفة ١٥

١ – الفلسفة ١٧
٢- نظرية المعرفة ١٨
٣ - السوفسطائية والمعرفة ٢٤
٤- نظرية الاستذكار الافلاطونية ٢٦
٥ - النظرية الحسية في المعرفة ٢٨
٦ - النظرية العقلية في المعرفة ٣٣
٧ - نظرية الافكار الفطرية ٣٧
٨ - نظرية الغرائز الضامرة ٤١
٩- النظرية النسبية في المعرفة ٤٥
١٠- نظرية الاشراق الالهي ٤٧
١١- نظرية الاتحاد مع الله ٤٩
١٢ - نظرية انعكاس العالم الموضوعي ٥٥
١٣ – نظرية الاثارة والاستجابة ٦٠
١٤ – نظرية السيل الشعوري ٦٤
١٥- نظرية المعرفة العلمية ٦٦
١٦ - نظرية تداعي المعاني ٦٧
١٧ - نظرية القوة الكامنة ٧٠

الفصل الثاني: نظرية المعرفة في القرآن الكريم ٧٥

١- مصطلح المعرفة في المنظور القراني ٧٨

٢- دور الحواس في المعرفة ٧٩

٣ - العقل ٨٩

٤- الإلهام ٩٥

٥- البصائر ١٠٠

٦ - الفطرة ١١٩

٧ - الوحي ١٣٦

٨- الهداية ١٣٩

٩- التعليم ١٤٦

١٠- الرؤيا المنامية ١٥٢

١١ - القلب ١٥٩

١٢- الصدر ١٧٣

١٣ - الغريزة الجنسية ١٧٩

١٤ - الشياطين ١٨٤

١٥- التفكر والنظر والتجربة ١٩٥

١٦ - الروح أو النفس ٢٠٠

١٧ - الميزان ٢١١

١٨ - الذاكرة ٢١٦

١٩ - الكتب السماوية والانبياء ٢١٨

٢٠- المعرفة الشهودية الخارقة ٢٢٠

٢١- خلاصة نظرية القرآن في المعرفة ٢٣٣

الفصل الثالث : المقارنة ٢٣٩

١) نقاط الاتفاق بين القرآن والفلسفة ٢٤٢

٢) نقاط الاختلاف بين القرآن والفلسفة ٢٤٣

نتائج البحث ٢٥١

المصادر والمراجع ٢٥٧

المحتويات ٢٦٧

الملخص الانكليزي ٢٧١

الملخص باللغة الانجليزية

In the name of god

Holand univer sity free

Al insaniya dcpart ment (islamic education)

Aletter offered by a studcnt abdul – zahra – Turky – Fraih al fatlawi with the address (al maarifa theory between al quran and philosophy - compared study) its apart of require ments to get master degree in islamit sciences this study contains prcsentation of philosophers theories in answer about aquestion how does aman realize of things ?

In this study apresemtation and evaluation to important philosophic theories

The theories that had been studied carefully

1) al safesta Greece theory for knowledce
2) Aflaton theory
3) Dekart theory
4) feeling theory
5) Topic (model) theory
6) karel - markus theory
7) David hume theory
8) Al soofiya theory
9) Aristotle theory

All these thecories were unable to explain the following

1) memory
2) decision
3) heart feelings
4) the distiniction between the wrong the right

In the second section the presentation of al quran theory in knowledge was taken this represent general facts since the man is unable to accept these theories

This study contains

1) thoughts of nature
2) thougts given by god
3) somethings as light
4) aheart especialized in sense
5) Dreams during sleeeping
6) man experiments
7) shrine books and prophets
8) mind
9) activities that done
10) the spirit

At the end of this sctudy I pointed to agrecment between quran and philosophy in some points and the difference in other some points

Student

Abdul – zahra turky fraih al fatlawi

المؤلف في سطور

مواليد محافظة النجف ، قضاء المشخاب -١٩٦١م - ماجستير في العلوم الاسلامية - عضو اتحاد الكتاب العرب -عضو اتحاد المؤرخين العرب - عضو الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق- عضو نقابة الصحفيين العراقيين، الف الكتب التالية:-

الكتب الدينية

الافاق العلمية في القرآن- دراسة شاملة (الكتاب الفائز بجائزة الابداع العراقية لعام ٢٠٠٠) صدر سنة ١٩٩٩
الموسوعة العلمية للامام علي (ع) - ط١ صدر سنة ٢٠٠٠ م
نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة (٢٠٠٥م
مراكز الاشعاع الثلاثة / جامع الازهر / جامعة القرويين / حوزة النجف (دراسة مقارنة) (٢٠١٢)
جوهر البيان في جابر بن حيان (٢٠١٢م)
اتيان الادبار بين الاقرار والانكار (٢٠١٠م)
المذاهب الاسلامية : حقيقة أم وهم ؟ (٢٠١١م)
كرة القدم بين الاباحة والتحريم (٢٠١١م)
الدرة البهية للعقول البشرية صدر سنة ٢٠٠٣

الكتب التاريخية

قلب التاريخ العالمي (٢٠٠٨م)
المشخاب -اصالة وعطاء صدر سنة ١٩٩٩ م
علوان الياسري : فارس وراية (٢٠٠٧م)
عاشق العراق الشيخ عبدالواحد آل سكر (٢٠٠٣م)
السفيه في لغة العرب (٢٠٠٧م)
الاشراق في دراسة الاستشراق (٢٠١٢)
آخر اللقلقة في سفاهة الزندقة (٢٠١٢)
أطيب الطبيخ في فلسفة التاريخ (٢٠١٢)
الموجز في تاريخ العرب (٢٠١٢)
الحيرة تاريخ وحضارة (٢٠١١م)
أدوات التدوين عند قدماء العرب (٢٠١٢م)
منهج السرد التاريخي عند ابن قتيبة الدينوري (٢٠١٢م)
العشائر العراقية : الدور التاريخي ومهمات المرحلة الجديدة (٢٠١١م)

موبايل المؤلف ٠٧٨٠٣٩٤٥١٤٩





المركز الوطني لعلوم القرآن الكريم التابع لرئاسة الوزراء في جمهورية العراق كتب جدارية في المؤتمر الاسبوع القرآني السنوي الرابع المنعقد في مدينة كربلاء المقدسة - أيلول ٢٠١٢م - شرح فيها مضامين هذا الدراسة جاء فيها :

نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة

(عرض الباحث في هذه الدراسة لأهم نظريات المعرفة عند الفلاسفة غير المسلمين بايجاز مع تقديم نقد في المفاهيم الاساسية تاركا التفاصيل الى الكتب والمصنفات الأصيلة، لأن الاغراق- كما يرى الباحث- في الشرح والنقد سيخرج البحث عن الهدف والاتجاه المعد له وهو المقارنة بين نظرية القرآن الكريم ونظريات الفلاسفة.

ثم حاول الباحث عرض نظرية المعرفة في القرآن الكريم باسلوب جديد قبل أن يذكر نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف ونتائج الدراسة ، إذ سعى الباحث الى صياغة المعاني بعبارات تقربها الى الافهام وتسهل ادراكها.

قسم البحث على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ، كان الفصل الاول منها في نظرية المعرفة في الفلسفة إذ طرح فيه الباحث تعريفا جديدا للفلسفة يناسب مقامها واهتماماتها، وكذلك طرح تعريفا جديدا سهلا واضحا لنظرية المعرفة ومن ثم تطرق الى أهم نظريات الفلسفة بايجاز مع عرض لأهم الثغرات التي اكتشفت فيها ، وطرح الباحث في محتويات الدراسة مسميات جديدة لهذه النظريات تعبر عن محتواها بشكل مناسب لاول مرة، ومنها نظرية الافكار الفطرية ونظرية الغرائز الضامرة ، وكان الفصل الثاني في نظرية المعرفة في القرآن الكريم باسلوب موجز كذلك طرح عناوين جديدة لنظرية القرآن في المعرفة مثل: الالهام ، الفطرة ، الوحي ، الهداية ، التعليم ، الرؤيا المنامية ، المعرفة الشهودية الخارقة.

وفي الفصل الثالث: قارن الباحث بين ركني الدراسة مبينا نقاط الاتفاق بين القرآن والفلسفة ونقاط الاختلاف ، ثم وضع نتائج البحث، كما سجل عرضا منهجيا لمصادر البحث وخلاصة البحث باللغة الانجليزية.

وتوصل الباحث الى عدم وجود أثر يذكر للصراعات المذهبية في الفكر الجاد فلا شيعة ولاسنة في الفلسفة ولا في العلم وان قوة الحجة القرآنية وأصالة نظرية القرآن في المعرفة مصدرها الاساس والاول هو الاعجاز القرآني.

دار الضياء للطباعة والتصميم
النجف الأشرف ٠٧٨٠١٠٠٠٦٠٣

التصميم والإخراج الفني
محمد الخزرجي ٠٧٨٠٠١٨٠٤٥٠